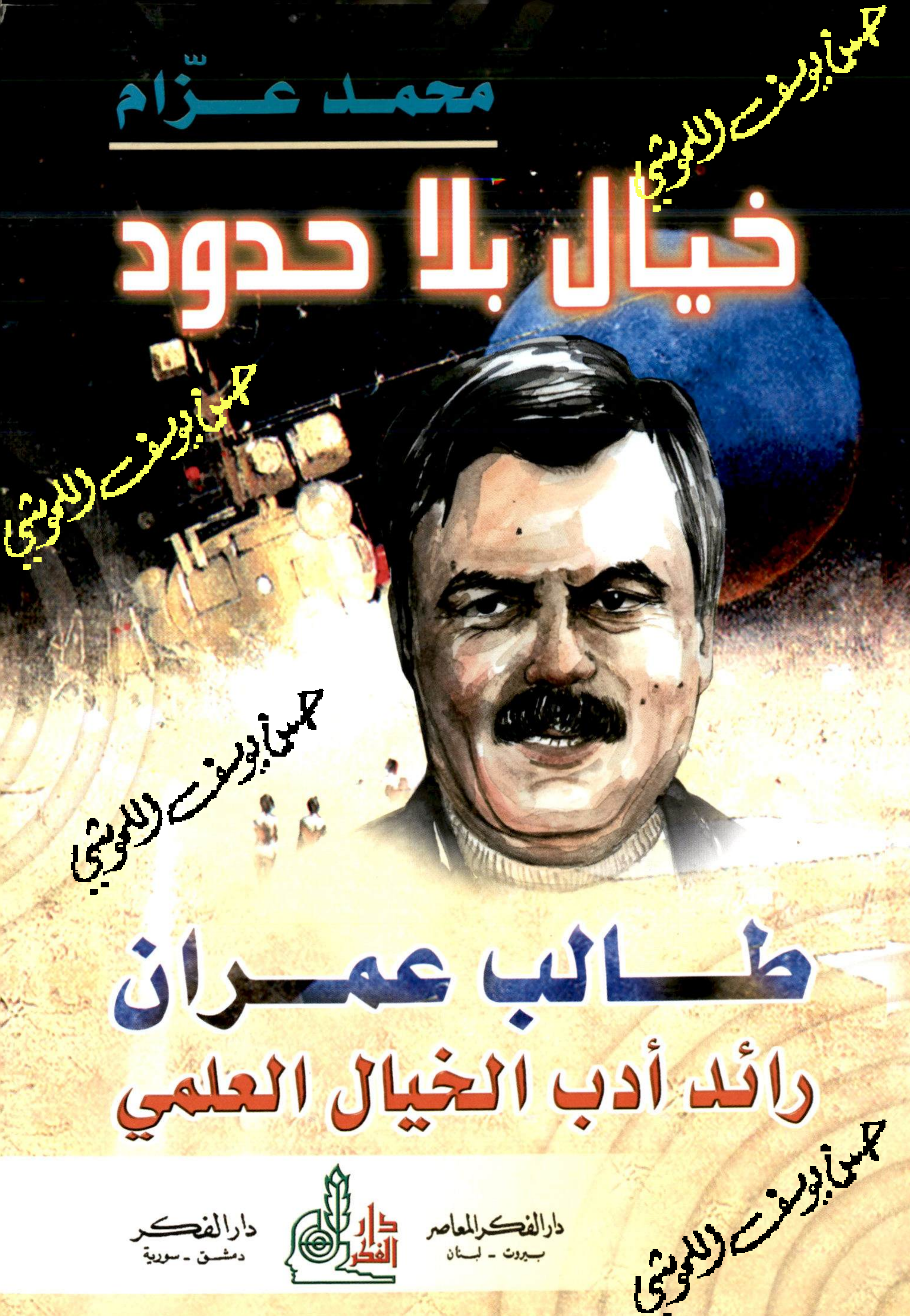

محمد عزّام
خيال بلا حدود
طالب عمران
رائد أدب الخيال العلمي
دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان
دار الفكر
دار الفكر
دمشق - سورية

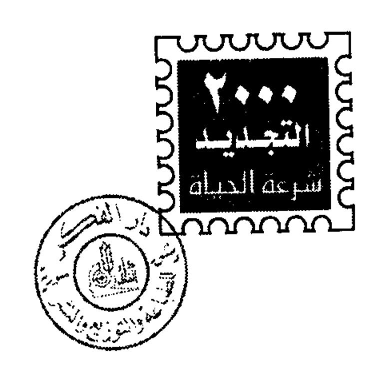
محمد عزام

خيال بلا حدود

طالب عمران

رائد أدب الخيال العلمي

خيال بلا حدود: طالب عمران - رائد أدب الخيال العلمي / محمد عزام. - دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠. - ٢٠٨ص؛ ٢٥ سم.
١- ٨١٣,٠٨٨٠٠٩ ع ز ا خ ٢- العنوان ٣- عزام
مكتبة الأسد
ع- ١٤٢/ ٢/ ٢٠٠٠



الطبعة الأولى

المحرم: ١٤٢١ هـ

نيسان (ابريل) ٢٠٠٠م

الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-769-6

الرقم الموضوعي: ٨٢٠

الموضوع: نقد أدبي

العنوان: خيال بلا حدود

طالب عمران - رائد أدب الخيال العلمي

التأليف: محمد عزام

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ٢٠٨ ص

قياس الصفحة: ١٧ × ٢٥ سم

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

توزيع: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر

ص.ب: (٩٦٢) - دمشق - سورية

هاتف: ٢٢١١١٦٦ - فاكس: ٢٢٣٩٧١٦

المقدمة

(**أدب الخيال العلمي**) هو(نوع) جديد من الأدب، نشأ أواخر القرن التاسع عشر، وازدهر مطلع القرن العشرين، على أيدي رائديه: الإنكليزي (هـ. ج. ويلز)، والفرنسي (جول فيرن)، ثم انتشر في معظم بلدان العالم، ومنها وطننا العربي، حيث التفت أدباؤنا العرب مؤخراً إلى هذا (النوع) الأدبي الذي يستخدم القصة والرواية تقنية أسلوبية، ويطلق أجنحة الخيال حرة تلعب ليس في أجواء الفضاء فحسب، بل وبين الكواكب والنجوم في هذا الكون الرحيب، وما يمكن أن يوجد في كواكبه من كائنات عاقلة متطورة.

وإذا كان بعض الأدباء المصريين قد سبق إلى معالجة هذا (النوع) الأدبي الجديد، فإن الأديب الدكتور طالب عمران قد خصص جهوده كلها لمعالجة هذا الأدب: قصة، ورواية، وبحثاً علمياً، ومسلسلات تلفزيونية، وبرامج إذاعية، فكان بحق (رائد أدب الخيال العلمي) في الأدب السوري الحديث، حيث وضع أكثر من ثلاثين كتاباً في هذا النوع الأدبي، واكب فيها الانتصارات العلمية المذهلة على المستوى العالمي.

ومن هنا اهتمامنا بنتاج طالب عمران الأدبي الذي تتجسد في أبطاله كل القيم الإنسانية النبيلة من حب الخير والعدل والسلام. وعنده أن العلم لغة العقل، والعقل لغة السلام، والسلام لغة الحضارة، والحضارة لغة الحب. وهذه الأقانيم الأربعة هي (التيمات) التي يدور حولها أدب طالب عمران، ولعله برحلاته العلمية (الخيالية) إلى الكواكب الأخرى يحاول تأسيس (جمهوريات مثالية) تعيش فيها كائنات عاقلة لا

تعرف غير الخير والحق والعلم، وهذا ما يؤكد منازعه العلمية النبيلة، ونزوعه إلى تثبيت القيم الإنسانية بين كائنات الكون كله.

وقد جعلت (الباب الأول) من هذا الكتاب تعريفاً بأدب الخيال العلمي: عند الغربيين، والعرب المعاصرين. و(الباب الثاني) عرضت فيه اتجاهات أدب الخيال العلمي عند طالب عمران في غزوالفضاء والكواكب، والظواهر الخارقة المدهشة، والبحث عن الخلود والشباب الدائم، والبحث عن عوالم مفقودة على سطح الأرض. وفي (الباب الثالث) عرضت خصائص أدب الخيال العلمي عند طالب عمران، وتلمست حضارات العوالم الأخرى، وعرّفت بكائناتها. فإذا حقق هذا البحث هدفه في التعريف بأدب الخيال العلمي عند رائده في الأدب السوري: الدكتور طالب عمران الذي خصص جهوده العلمية والأدبية كلها لهذا (النوع) الأدبي الجديد، فهوحسبي. وا لله الموفق

محمد عزام

الباب الأول

أدب الخيال العلمي

١ – (الخيال العلمي) في الأدب العالمي

٢ – (الخيال العلمي) في الأدب العربي



الفصل الأول

(الخيال العلمي) في الأدب العالمي

لا شك أن بذور أدب (الخيال العلمي) قد وجدت في (اليوتوبيات) الخيالية، والروايات السوداء، والحكايات الشعبية، والخرافات العجيبة، إلا أن اللذين يُعدان مؤسسي أدب (الخيال العلمي) هما الفرنسي: جول فيرن، والإنكليزي (هـ. ج. ويلز).

ونبدأ بعرض نشأة هذا النوع الأدبي الجديد، في كل من فرنسا، وانكلترا، ثم الولايات المتحدة، فالاتحاد السوفييتي.

١ـ أدب الخيال العلمي في فرنسا:

على الرغم من أن بذور هذا (النوع) الأدبي قد ظهرت في الأدب الفرنسي، قبل (جول فيرن) لدى روسني(J. Rosny) الذي وضع رواية كزيبهوس (Xipehoz) عام ١٨٨٨، ووضع فيها تدخلات من خارج الكرة الأرضية، ثم وضع روايتي: موت الأرض (١٩١٢)، والقوة الغامضة (١٩١٢)، وهما من الخيال العلمي، وتتحدثان عن اختفاء الإنسان، وحلول الحديديين المغناطيسيين محله، فإن جول فيرن (J. Verne) (١٨٢٨ ـ١٩٠٥) يُعد رائد أدب الخيال العلمي الفرنسي، فقد أعاد إلى الأذهان أساطير قديمة مثل (قارة الاطلنطيس) المفقودة تحت مياه المحيطات، كما كتب عن حلم الإنسان في الطيران، مستفيداً مما توصل إليه العلم في عصره، فأصدر عام (١٨٦٣)

رواية (خمسة أسابيع في منطاد)، وهي أولى الرحلات العلمية الخارقة، وفي العام التالي وضع روايته (من الأرض إلى القمر)، ثم (عشرون ألف فرسخ تحت الماء)، فـ (الجزيرة العجيبة)، فـ (حول العالم في ثمانين يوماً)، فـ (يوميات صحفي أمريكي في عام ٢٨٩٠).

في روايته (من الأرض إلى القمر) يصف فيرن مغامرة في الفضاء قام بها نفر من أعضاء نادي (بالتيمور) الاجتماعي. ومعظمهم من الضباط المتقاعدين الذين ضاقوا بالسلام واشتاقوا إلى الحرب، فامتطى ثلاثة منهم قذيفة انطلقت بهم إلى المجهول، وانتهت الرواية عند هذا الحد.

وجديده -آنذاك- هوأنه جعل الرحلة إلى القمر بوساطة قذيفة مدفع عملاق، انطلقت من الأرض إلى القمر، متأثراً في ذلك بأحداث الحرب الأهلية الأمريكية، و لم تكن الصواريخ والمركبات الفضائية قد عرفت بعد.

وعندما تساءل قراء (فيرن) عن مصير القذيفة التي أطلقها نحوالقمر، قام الكاتب باستكمال أحداثها في رواية أخرى مستقلة أسماها (حول القمر) ١٨٧٠ أشار فيها إلى أن القذيفة قد دخلت منطقة انعدام الوزن، فانحرفت الكبسولة بسبب ذلك عن مسارها، وبدلاً من أن تهبط فوق سطح القمر، فإن قمراً آخر قام بجذبها إليه، ولكنها استطاعت التخلص من جاذبيته بصعوبة، فعادت إلى الأرض، وسقطت في المحيط الهادي، وانتشلتها إحدى السفن التابعة للأسطول الأمريكي. وعندما فتح البحارة الكبسولة وجدوا ملاحي الفضاء يلعبون الورق.

وأهمية (فيرن) لا تقتصر على تخيل مركبة الفضاء التي ستهبط على سطح القمر فقط، وإنما في تخيل إمكان اختراع الإنسان لطائرات الهليوكوبتر، واكتشاف الغواصات للقطبين الشمالي والجنوبي، وللمناطيد، وري الصحراء، وبناء ناطحات السحاب، والتلفزيون، وكل مانراه اليوم و لم يكن معروفاً في عصره[1] .

---

(١) كائنات العوالم الأخرى – كتاب الهلال ع ٥٣ القاهرة ١٩٧٥ ص

ويؤكد (بيير ديفو) أن تنبؤات (فيرن) كانت من الاتزان الفكري بحيث كانت توحي إلى الكثيرين من العلماء بالبحث عن وسائل تحقيقها. وقد اعترف أكثر من مخترع بفضل كتب فيرن عليه، وقال: "سيمون ليل "مخترع الغواصة بأن كتب فيرن قد أوحت له بفكرة الغواصة[٢] .

وفي روايته (عشرون ألف فرسخ تحت البحار) يخترع العالم (فلتون Fulton) عام ١٨٠٠ غواصة امتلكها الكاتب (نيمو)، وهوأحد العلماء الذين جعلوا البحار مسكنهم، فاعتزلوا العالم بشروره، وعاشوا في هذه الغواصة التي لا تطفوعلى سطح الماء إلا من أجل التزود بالأكسجين، أولمهاجمة السفن العابرة.

وقد حطمت الغواصة سفينة العالم (أروناكس) الذي ظنها وحشاً بحرياً، فإذا هي جسم حديدي، وتنعقد صداقة بين (نيمو) والعالم (أروناكس)، ويقومان برحلة تحت البحار، بوساطة الغواصة التي تبحر بهما إلى المحيط الهادي، فالبحر الأحمر عن طريق قناة السويس التي افتتحت حديثاً، فالمحيط الهندي، حيث اكتشف (نيمو) وجود قارة (الاطلنطيد) الغارقة تحت البحار، ووجدوا عملاقاً بشرياً يقود قطيعاً من الثدييات، فرجع (أكسل) بذاكرته إلى ملايين السنين، قبل ظهور الإنسان والكائنات الحية. ثم تظهر الثدييات، فالطيور، فالزواحف، فالأسماك والقشريات والحيوانات الرخوة، ثم ترتفع النباتات والأشجار إلى أطوال عملاقة وتمر القرون وكأنها سنون.

ولكن النباتات تختفي، وتصبح الصخور لينة، وتنصهر المواد الصلبة، وتتحول إلى سوائل، تحت وطأة الحرارة الشديدة، وتندفع السوائل التي تغلي إلى سطح الأرض وكأنها سوائل البراكين، ويحيط البخار بالكرة الأرضية التي تتحول تدريجياً إلى كتلة من الغاز بحجم الشمس وفي مثل تألقها!!.

وقد استكمل (فيرن) رحلة الكابتن (نيمو) في رواية تالية دعاها (الجزيرة العجيبة)

---

(٢) P. Deraux: La vie mervelleuse De verne agence de pen L3 Fev 1944.

روى فيها قصة هروب مجموعة من المساجين السياسيين خلال الحرب الأهلية، بوساطة منطاد، تحطم بهم فوق إحدى جزر المحيط الهادي، فأقاموا فيها، وعاشوا حياة بدائية أشبه بحياة روبنسون كروزو، واستطاعوا خلق الحضارة من جديد.

ثم ظهر (نيمو) أميراً هندياً يقاوم الاستعمار الانكليزي للهند، وينتقم من الانكليز بتدمير سفنهم العائمة في البحار والمحيطات بواسطة غواصته.

وفي روايته (حول العالم في ثمانين يوماً) يصف (فيرن) رحلة قام بها (فوج) (Fogg) نتيجة رهان بين أعضاء نادي الإصلاح الذي كان (فوج) ينتمي إليه، حول إمكانية الطواف حول العالم في ثمانين يوماً. وقد كانت الفكرة مستحيلة آنذاك، قبل اختراع الطائرات، وتطور السكك الحديدية ووسائل النقل البرية.

وقد راهن (فوج) على أنه يستطيع القيام بهذه الرحلة خلال المدة المحددة، مقابل مبلغ ضخم من المال، وكثرت المراهنات على نجاحه وإخفاقه، حتى لقد تكونت شركة مالية أصدرت أسهماً للبيع سميت (أسهم رحلة حول العالم في ثمانين يوماً)، وكانت قيمة السهم شلناً واحداً، فإذا نجح (فوج) أصبح لحامل السهم الحق في إعادته إلى الشركة مقابل جنيه كامل، وإذا أخفق فإن السهم يفقد قيمته المالية.

ويغادر (فوج) لندن عام (١٨٧٢) إلى باريس، فالسويس، فبومباي، فهونغ كونغ، فيوكوهاما، فسان فرانسيسكو، عائداً إلى لندن، بعد واحد وثمانين يوماً، بعد مغامرات عديدة عنيفة فائزاً بالمبلغ المالي الضخم، وبمركز اجتماعي مرموق، وبامرأة جميلة كان قد التقاها أثناء رحلته الشاقة.

وفي روايته (يوميات صحفي أمريكي عام ٢٨٩٠) يصف (جول فيرن) شوارع مدينة نيويورك وقد اتسعت ليبلغ عرضها أكثر من مئة ياردة، وارتفاع مبانيها أكثر من ألف قدم، وأصبح الناس يتحكمون بالطقس، ويزرعون الخضار في القطب الشمالي، وتعلن الحوانيت عن بضائعها بعبارات مكتوبة على السحب.

و(البطل) في هذه الرواية صحفي يعمل في صحيفة توزع يومياً ثمانين مليون نسخة،

ويبعث مراسلوها أخبارهم بالتليفزيون، ويمكن للجالسين في بيوتهم أن يشاهدوا كل أحداث العالم.

وقد تحققت هذه النبوءات اليوم، بعد مئة عام، فارتفعت ناطحات السحاب في نيويورك إلى أكثر من مائة طابق، وزرع الناس في العالم الخضار في غير أوانها، في بيوت بلاستيكية، وبوساطة (التليفاكس) يبعث الصحفي والتاجر مايريدان من صور وأخبار إلى جميع أنحاء العالم، فتصل في لحظات، ويشاهد المرء، وهومضطجع على أريكته في بيته كل أخبار العالم بوساطة التليفزيون.

وهكذا أسس جول فيرن لهذا (النوع) من أدب الخيال العلمي في الأدب الفرنسي الحديث.

٢- أدب الخيال العلمي في إنكلترا:

يعد (هربرت جورج ويلز H. G. Wells) (١٨٦٦ - ١٩٤٦) مؤسس أدب الخيال العلمي في الأدب الانكليزي الحديث، على الرغم من أن بذور هذا (النوع) الأدبي ظهرت في الأدب الانكليزي قبل لدى (جوناثان سويفت) (١٦٦٧ - ١٧٤٥) الكاتب الانكليزي الساخر الذي أبدع أشهر كتبه على الإطلاق: (رحلات غوليفر) (١٧٢٦) فترجمت إلى معظم لغات العالم.

كما وضعت ماري شيللي أشهر شخصية رعب في القرن العشرين (فرانكنشتاين) عام ١٩١٨، ووضع الدوس (هاكسلي A. Haaxleay) (١٨٩٤ - ١٩٦٣) روايته (عالم جديد وشجاع) (١٩٣٢) كذلك كان (آرثر كلارك A. Clark) (١٩١٨) قد تفوق في دراسة العلوم، ونجح في صنع هاتف آلي يعمل بالضوء بدلاً من السلك، وقدم أبحاثاً عن إنشاء محطات في الفضاء الخارجي، وبناء الأقمار الصناعية للاتصالات والبث الإذاعي، فذاعت شهرته كباحث جاد وكاتب مبدع في أدب (الخيال العلمي) ومن أشهر رواياته: (الممر) التي تحولت إلى فيلم سينمائي بعنوان (٢٠٠١ أوأوديسا الفضاء)، وبعد عشرة أعوام قدم تكملة لهذه الرواية باسم (٢٠١٠ أوديسا الفضاء) تحولت أيضاً

إلى فيلم سينمائي، ثم (٢٠٦١ أوديسا الفضاء) التي تحولت أيضاً إلى فيلم سينمائي، وله روايات: رمال المريخ، وجزر في السماء، والجانب الآخر من السماء، وتقرير عن الكوكب ٣، وحكايات العوالم العشرة. وكلها في غزوالفضاء، والكواكب الأخرى.

كذلك وضع (كونان دويل Doyle .C .A) مبتدع شخصية (شرلوك هولمز) مفتش البوليس السري الذي يكتشف أخطر الجرائم، رواية (العالم المفقود) (١٩١٢) التي أعاد فيها اكتشاف قارة (الأطلنطيد) المغمورة بمياه المحيطات، و(الحزام المسموم) (١٩١٣) التي تشهد تهديد سكان الأرض من قبل كائنات العوالم الأخرى. كذلك وضع (جورج اورويل orwell .G) رواية (١٩٨٤) في عام (١٩٤٨) وفيها يصف استبداد الدولة الديكتاتورية التي تحصي على المواطن حركاته وأنفاسه، من خلال كاميرات مراقبة مبثوثة ترصده في كل مكان: في الشارع، والبيت، والعمل، وحتى في دورات المياه.

وأما ويلز فقد وضع عدداً كبيراً من روايات (أدب الخيال العلمي): آلة الزمن (١٨٩٥)، وجزيرة الدكتور (مورو) (١٨٩٨)، وحرب العوالم (١٨٩٨) وشكل الأشياء القادمة، وأوائل الرجال على سطح القمر (١٩٠١) ... إلخ.

وتصور روايته (أول إنسان على سطح القمر) نزول رجلين فوق سطح القمر، مع نهاية القرن (١٩) فيصف سكان القمر بقوله: "هنالك اختلاف بينهم وبين أهل الأرض، إنهم أشبه ما يكون بحشرة قريبة من النحل، نظراً لصغر أحجامهم ورقتهم وشفافيتهم ". وقد قتل (البطل) كثيراً منهم على الرغم من أن لهم حضارتهم المتقدمة في جوف القمر، وعلى شواطئ بحاره.

ويفتقد الرائدان (كافور، وبدفورد) مركبتهما الفضائية، وعندما يعثر عليها (بدفورد) يمتطيها ويعود إلى الأرض، تاركاً (كافور) الذي يحاول أن يتعلم لغة سكان أهل القمر، ويبعث بإشارات لاسلكية إلى سكان الأرض، يعلمهم فيها أن أهل القمر يعيشون حياة أكثر رقياً وتطوراً من حياة سكان الأرض، فعالَم القمر قائم على نظام دقيق هوأقرب إلى يوتوبيا (جمهورية أفلاطون): فهناك طبقة العلماء والمثقفين وعلى رأسها (المثقف الأعظم)، وهناك طبقة العمال (أيدي الإله) والشرطة، وطبقة اجتماعية دنيا.

أما روايتـه (آلـة الزمـن) فـتروي حكايـة رجـل اسـتطاع أن يخـترع جهـازاً يتمكـن بواسطته من الرحيل عبر الزمن، في الماضي والمستقبل، فينتقل مــن القـرن التاسـع عشـر الذي يعيـش فيـه إلى عـام ٢٧٠١ لـيرى العـالم وقـد انقسـم إلى نوعـين: الأول يسـمى (Eloi) يعيش فوق سطح الأرض، والثاني (Morlocks) ويعيـش تحـت سـطح الأرض نهاراً، فإذا حل الليل خرجوا إلى سطحها لافتراس النوع الأول.

ولم يقتصر نشاط الخيال العلمي عند (ويلز) على غزوالكواكب ومركبات الفضـاء، وإنما امتـد إلى الحقـل البيولوجـي أيضـاً، ففـي روايتـه (جزيـرة الدكتـور مونـرو) يقيـم الدكتور (مونرو) في جزيرة معزولة، يضع فيها قانونه بنفسه، ويطبقه على مجموعـة مـن المخلوقات المشوهة، والحيوانات المفترسة التي ليس عليها سوى الطاعة العمياء لأوامـره، وقد كانت هذه المخلوقات -في الأصل - أناساً أصحاء، حوّلهم الدكتـور (مونـرو) إلى مجموعة من الكائنات الممسوخة التي تتحرك وتفكر بأسـلوب الحيوانـات، وإن أنكـرت عن نفسها هذه الصفات.

وهكذا يعيش الدكتور (مونرو) في جزيرته المنعزلة، كما كان يعيش (فرانكنشـتاين) في قصره البعيد، ليمارس فيه إجراء التغييرات على البشر.

ولكن البشر الممسوخين يثورون في النهايـة علـى وضعهـم غـير الإنسـاني، فيقتلـون الدكتور (مونرو)، ويطلقون الحيوانات المتوحشة التي تفتك بهم.

٣- أدب الخيال العلمي في أمريكا:

لعل بذور الخيال العلمي الأمريكي وجدت في الروايات السـوداء وروايـات الرعـب والأشباح التي كتبها (إدغار آلن بو E. A. poe) الذي جعل أحداثها تجري في الخرائب والقلاع القديمة، والأماكن المهجورة.

أمـا روايـة الخيـال العلمــي الحقيقيــة فلعــل (إدوارد بيلامــي) (١٨٥٠ - ١٨٩٨) هوواضعها في الأدب الأمريكي الحديث، وعلى الخصوص في روايته (نظـرة إلى الـوراء) (١٨٨٨) التي يصف فيها العالم كما تخيله عام (٢٠٠٠)، ثم جاء الكاتبان الأمريكيان:

(إلمر رايس Rice .L .E) و(جون نيكسون Nixon .G) فاهتما بجانب آخر من الخيال العلمي هوالعقول الإلكترونية (الرابوط)، حيث وضع الأول رواية (الآلة الحاسبة) عام (١٩٢٣)، ووضع الثاني رواية (العقول الإلكترونية لاتناقش) (١٩٢٩).

أما رائد أدب الخيال العلمي في الأدب الأمريكي بحق فهو(إدغار رايس بورروز E. Burroughs .R) (١٨٧٥ - ١٩٥٠) مبتدع شخصية (طرزان)، وقد اختص بأدب غزوالكواكب والفضاء، فوضع رواياته: تحت قمر المريخ (١٩١٢)، وهي مغامرات مريخية يقوم بها كائن بشري واحد، يعيش ويموت ميتات عديدة، ويتلوّن بتقمصات مختلفة، ولكنه يعيش إلى ما لانهاية. وأميرة المريخ (١٩١٧). والعقل الموجه في المريخ (١٩٢٨). وقراصنة الزهرة (١٩٣٤).

بيد أن العصر الذهبي لرواية الخيال العلمي الأمريكية هوعقد الثلاثينيات، حيث تحولت مجلة (القصص الصاعقة) المؤسسة عام (١٩٣٠) إلى (الخيال العلمي الصاعق) عام (١٩٣٧)، واستلم إدارتها (جون كامبل الأصغر Kampell .J)، فأحدث فيها ثورة حقيقية، حيث ألزم كتاب الرواية العلمية بالثبات على الحدود الفاصلة بين العلم والأدب، وكانت النتيجة أن تقيد مؤلفوالرويات العلمية بالواقعية، فوصفوا صواريخ، وأسلحة نووية، وحاسبات الكترونية تتشابه كثيراً مع ما أصبحت عليه فيما بعد، خلال أقل من عشر سنوات، فالخيال العلمي في الأربعينيات أصبح حقيقة واقعة في الخمسينيات.

وقد حرض نجاح مجلة (كامبل) مجلتين أخريين تعملان في الحقل نفسه هما: (المجرة، وفانتازيا) الخيال العلمي، كما شهدت الخمسينيات ازدهار أدب الخيال العلمي، وكان (راي براد بوري Brad Bury .R) و(كليفورد سيماك Cimak .C) مطلقي صيحات الإنذار: والخوف من الحرب النووية، والفساد الأخلاقي والروحي الذي أشاعه المجتمع الصناعي، بغض النظر عن شكل النظام السياسي فيه. وقد وضع (براد بوري) رواياته: رحلة المليون عام (١٩٤٦)، ويوميات من كوكب المريخ (١٩٤٦)، وفهرنهايت ٤٥١ (١٩٥٤)، والوقائع المريخية، ولوريلة القادمة من الضباب الأحمر.... إلخ.

في (الوقائع المريخية) يدين (براد بوري) الحضارة العاجزة عن المحافظة على الذوق الجمالي لدى البشر، فقد حطمت الدعاية كل عفوية في هذه المدن التي تشبه بيوت النمل، وجعلت الناس مسيرين بشكل آلي، وقد فاقت الآلات الشيطانية كل قوة مبدعة لدى الإنسان، وازدادت فتكاً بالقيم والعلاقات الإنسانية، وسيطرت على كل من يعارضها، حتى على خالقيها، ولذلك ينبغي العودة إلى الحالة السابقة على الآلة، الحضارة الرعوية حيث يقترن الفقر المادي بالفضيلة.

وهكذا (يرد براد بوري) وغيره سبب الفساد إلى التطور المفجع في العلم، ليس لأن العلم سيء بحد ذاته، وإنما لأنه يسكر الإنسان، فلا يستطيع التوفيق بين قدراته الشخصية والصبغة العلمية ذات النزعة النفعية.

والواقع أن (براد بوري) يعد مؤسس أدب الخيال العلمي في الأدب الأمريكي، فقد وضع أكثر من عشرين رواية ومجموعة قصصية، ويمتاز أدبه بقدرة فائقة على بناء الحدث الدرامي، وخلق الرعب والتوتر في أحداث قصصه، والتحليل الدقيق للعقل البشري، كما يتميز أسلوبه بالحيوية، والشاعرية، والخيال، واستخدام الرموز، والصراع بين الخير والشر هومحور معظم رواياته، ومن رموز الخير عنده: الشمس، والماء، والنار، والابتسامة، ... إلخ وكلها مصدر للحياة، ومن رموز الشر عنده: الليل، والظلام، والوحوش .... إلخ.

في روايته (فهرنهايت ٤٥١) يصور (براد بوري) مأساة المثقفين في أمريكا، في ظل الإرهاب المكارثي في الخمسينيات، فيجعل أحداث روايته تدور في المستقبل، حيث يتخيل الحرب العالمية الثالثة، وقد غيرت وجه العالم، فنشأت مدن جديدة ذات قوانين جديدة، تقضي بتحريم ثقافة الكلمة المكتوبة، والاكتفاء بمشاهدة التليفزيون ثقافة عامة، ووسيلة للتسلية والترفيه. والقانون الجديد يرى قراءة الكتب مفسدة للعقول، يجب منعها، لأنها تجعل البشر تعساء، لذلك حاربوا رجال الفكر والأدب والقراء، وتمت تصفيتهم بأشكال شتى، من قبل السلطات الحاكمة التي هي عبارة عن رجال الإطفاء المنتشرين في كل أنحاء المدينة يبحثون عن الكتب من أجل إحراقها عند درجة ٤٥١ فهرنهايت.

وفي قصة (أغسطس ٢٠٢٦) يصف (براد بوري) الحياة في يوم من أيام عام (٢٠٢٦)، حيث يبدأ النهار حين تعلن الساعة الضوئية بداية يوم جديد، هذه الساعة التي تختزن في ذاكرتها الأحداث الهامة في حياة الأسرة، فتنبهها إليها: ففي هذا اليوم ذكرى عيد ميلاد السيد، وهوأيضاً يوم ذكرى زفاف ابنته، وعلى السيد في هذا اليوم أن يدفع قسط التأمين، وفواتير الماء والكهرباء والغاز، والساعة تنبه الأبناء بموعد الذهاب إلى المدرسة، وفي الساعة التاسعة تأمر بتنظيف المنزل ... وهكذا تستمر في التنبيه وإعطاء الأوامر طوال اليوم: إلى الطباخ الكهربائي الذي يتولى إعداد الطعام آلياً، حسب قائمة مسجلة فيه، وإلى البارومتر الإلكتروني الذي يصيح بصوت آدمي، فينبّه إلى حالة الطقس، وعما يجب أن يرتديه الأولاد من ملابس قبل خروجهم إلى المدرسة، وكل شيء في البيت مؤلل، إذ أصبحت الآلات في المنزل أكثر عدداً، وأقوى فاعلية من الإنسان الذي انزوى في ركن من الأركان. ومثل هذه النهاية المأساوية هي ما يؤرق الكاتب.

٤- أدب الخيال العلمي في الاتحاد السوفييتي (سابقاً):

لعل أدب الخيال العلمي السوفييتي بدأ قبل ثورة (١٩١٧)، فقد كتب (ك. تسيولكوفسكي) في عام (١٨٩٥) عن مغامرات مستكشف صادف بين المريخ والمشتري مخلوقات حية في فراغ مطلق! وتحدث (أ. بوغدانوف) في (المهندس مِنّي) (١٩١٣) عن مريخين اشتراكيين.

ثم شهدت العشرينيات من (القرن العشرين) تفتح الخيال العلمي السوفييتي، وتمتع التيار الموروث عن جول فيرن، والمتعلق بالرحلات الغريبة، بتشجيع السلطات، حيث اشتهر (أ. بلاييف) (أوجول فيرن الروسي).

ولكن الهيمنة التي رافقت الستالينية كبحت جماح هذا التفتح، وخنقت كل تخيل، فالتفت الكتاب نحوجمهور الشباب الأكثر ضماناً.

وعندما فرض (جدانوف) على الأدباء عدم معالجة أية موضوعات إلا ما يرتبط بالخطط الخمسية للدولة، والتطبيل لمنجزاتها، خنق كل الإبداعات الممكنة، فلم يتح لها

أن ترى النور، وكان على الأعمال الإبداعية أن تهاجر إلى الغرب الأوروبي والأمريكي لتتمتع بكامل حريتها، وليحتضنها الغرب على أنها النماذج الهاربة من قمع الدولة المستبدة، وهكذا هاجر من جملة من هاجر من العلماء والأدباء (يوجين زامياتين) (١٨٨٤ - ١٩٣٧) وهومهندس معماري روسي، غادر روسيا إلى باريس حيث عاش فيها حتى توفي، ووضع روايته الشهيرة (نحن) يصف فيها مجتمع دولته الاستبدادية، منطلقاً من واقع الاتحاد السوفييتي آنذاك.

وقد أسهم كتاب بعض الجمهوريات في هذا (النوع) الأدبي، مثل البولندي (ستانيسلاف ليم Leme .S) الذي ولد عام (١٩٢١)، ووضع أكثر من عشرين رواية في أدب الخيال العلمي، منها: حضور المستقبل، والزمن غير الضائع، والتحقيق، وسولاريس، وغزاة الفضاء، وضيف في الفضاء، وسوبرمان ... إلخ.

كما وضع الكاتب التشيكي (كارل سابيك Sapek .C) (١٨٩٠ - ١٩٣٨) الذي كان أول من أدخل كلمة (الرابوط) إلى عالم الأدب، وهي كلمة تعني بالتشيكية: العمل.

وضع روايات: حرب السمادل (١٩٣٥)، وصنع المطلق (١٩٢٢) وكراكاتيت (١٩٢٤)، ومسرحيات: الرابوط، وإنسان روسوم العالمي (أوR. u. R) وفيها يحذر من أن يحل (الرابوط) أوالإنسان الآلي محل الإنسان البشري، فيسلبه مكانه، وتكتسب هذه الكائنات الآلية بالتدريج روحاً، فتثور ضد البشر، وتهلكهم.

ولكن هذه الكائنات الآلية تهلك بدورها أيضاً، لأنها لا تعرف طريقة صنعها، ولهذا اتجه بعض أدباء الخيال العلمي إلى أنسنتها، وذلك بتحويلها إلى بشر يملكون العواطف الإنسانية، وبهذا وضع سابيك الأمل في أنسنة الآلة.

الفصل الثاني

الخيال العلمي في الأدب العربي المعاصر

نشأ هذا النوع الجديد من (أدب الخيال العلمي) في الأدب العربي المعاصر حديثاً، وذلك في منتصف الخمسينيات، بعدما بدأ الإنسان يتطلع إلى الكواكب الأخرى، ويرسل إليها المركبات الفضائية التي توجت بنزول أول إنسان على سطح القمر.

وكان الأدباء المصريون سباقين إلى معالجة هذا (النوع) الأدبي الجديد، أمثال توفيق الحكيم، ويوسف السباعي، وفتحي غانم، ومصطفى محمود، وأنيس منصور، ونهاد شريف، ويوسف عز الدين، ومحمد الحديدي، وإيهاب الأزهري..

ثم انتشر هذا (النوع) الأدبي في معظم الأقطار العربية: ففي سورية: طالب عمران، وذياب عيد ... وفي العراق: موفق ويس محمود، وعلي كريم كاظم.... وفي المغرب: أحمد عبد السلام البقالي، وأحمد أفزارن ...

ولعل توفيق الحكيم (١٨٩٨ – ١٩٨٧) أول من اهتم بأدب الخيال العلمي في الأدب العربي المعاصر، وكان مبعث هذا الاهتمام دخول الإنسان عالم الفضاء في الخمسينيات، والتنافس الشديد بين المعسكرين: الاشتراكي والرأسمالي في عسكرة الفضاء وحرب النجوم، واكتشاف الفضاء، فأطلق الاتحاد السوفييتي أول صاروخ إلى الفضاء عام (١٩٦١) وبداخله (غاغارين)، وأنزل الأمريكان أول مركبة فضائية على سطح القمر عام (١٩٦٩) وبداخلها: (أرمسترونج) و(ألدرين)، حيث تجولا على

سطحه، وجلبا عينات من صخوره وترابه للدراسة والبحث، بالإضافة إلى اطلاع (الحكيم) على هذا اللون الأدبي الجديد، ورغبته الدائمة في مجاراة عصره، وإيثاره التجديد في الأشكال والمضامين.

وقد وضع الحكيم قصصاً ومسرحيات علمية، منها قصة (في سنة مليون)، وقصة (الاختراع العجيب)، وهما في مجموعته القصصية (أرني الله) (١٩٥٣)، كما نشر مسرحيات (رحلة إلى الغد) (١٩٥٨)، و(تقرير قمري) (١٩٧٢)، و(شاعر على القمر) (١٩٧٢).

في مسرحيته (رحلة إلى الغد) تعد الهيئة العلمية صاروخاً لإطلاقه إلى الكواكب البعيدة، ولكنها بحاجة إلى إنسان يقبل هذه المغامرة القاتلة، فتتفق مع اثنين من المحكوم عليهم بالإعدام، على أن يقوما بهذه المغامرة، فإن عادا سالمين ألغي حكم الإعدام عنهما، وإلا فهما ميّتان على كل حال.

وينطلق بهما الصاروخ، فينقطع الاتصال بينهما وبين علماء الأرض، ويبدأان حياتهما الجديدة داخل الصاروخ المنطلق، ويتكشف لهما أن انقطاعهما عن الأرض والناس قد غير كثيراً من مفاهيمهما، فلم يعد للقتل والجريمة من معنى لديهما، وكذلك الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والقانون ...كلها أصبحت دون معنى، وصارت للموت دلالة أخرى غير الدلالة المعروفة على الأرض.

وبقوة جذب أحد الكواكب للصاروخ يتم اصطدامه بسطح الكوكب، فيصابان بجروح وينزفان كثيراً من الدماء، ولكنهما يشعران بنشاط هائل. وعلى الرغم من أنهما فقدا رداءيهما الخاصين بالتكييف، فإنهما لم يشعرا بالبرد أوالحر، فالجوملائم لهما تماماً والسماء صافية، والجبال مدببة كالمسلات، ثم يكتشفان أن نبضهما معطل، وأن قلبيهما متوقفان وأنهما لا يتنفسان، ولكنهما يعيشان، في كوكب معدني مشع بالكهرباء، وأن كلاً منهما يعرف ما سينطق به الآخر قبل أن يتفوه به، ثم تراءى لهما أن طاقتهما الحيوية التي كانا يكتسبانها بالدورة الدموية والأكسجين قد صارا يكتسبانها من الخارج، من الإشعاعات الكهربائية، وبذلك صارا كبطاريتين مشحونتين

بالكهرباء بصورة آلية، وعندها لم تعد بهما حاجة إلى الطعام والشراب، أوالنوم أوالموت، فقد أصبحت حياتهما خالدة.

ولكنهما يبتئسان من مثل هذه الحياة التي ليس فيها مجال للعمل والكسب، على الرغم من أنهما مايكادان يتذكران جزءاً من ماضيهما حتى يظهر لهما ماثلاً أمامهما.

وعندما يحاولان إصلاح الصاروخ المعطوب، وينجحان في ذلك، يعودان إلى الأرض، فإذا الفترة التي قضياها في الفضاء تعادل ثلاث مئة سنة وتسعاً في الحساب الزمني الأرضي، ومن ثم فإن الحياة على الأرض تغيرت كثيراً عما عرفاها من قبل: فالقهوة مثلاً لم تعد تصنع، بل تصب من صنبور خاص إلى جانب صنبور الماء، يفتحه المرء حين يشاء، والبن لم يعد من حبات النبات المعروف، وإنما أصبح يصنع من مركبات كيماوية، وهناك صنابير للحساء، واللبن والغاز والقهوة ...إلخ في كل بيت، مجاناً، لأن الدولة تكفلت بكل ذلك، ولهذا لم تعد هنالك حاجة للنقود، فألغيت، وتوافرت للمرء العناية الصحية فطال عمره، وأصبح متوسط عمر الإنسان مئة وخمسين سنة.

غير أن مثل هذه الحياة المرفهة خلقت مشكلة جديدة هي البطالة، بعد أن قامت الآلة بعمل الإنسان: فكل شيء يدار بالأزرار من الإدارات المحلية والمركزية، وتغيرت حتى الأفكار في رأس الإنسان، عن طريق الآلات المشعة التي تسلط على المخ.

و"الحكيم "في هذا (الخيال العلمي) إنما يضع تصوراً عن عالم المستقبل، وما يمكن أن يحدث فيه من منجزات علمية تزيد في رفاهية الإنسان، ولكنها – بالمقابل- تزيد من التحكم فيه.

وفي مجال (البحث عن الخلود) وضع الحكيم مسرحية (لوعرف الشباب) (١٩٥٠) وهي قصة طبيب مصري مختص بالبيولوجيا، أجرى أبحاثاً انتهت به إلى أن تركيبنا الآدمي ما دام قائماً على خلايا حية، فهولا يمكن أن يستهلك، بل يتجدد كلما أمكن تجديد الخلايا، وبفضل ذلك استطاع أن يكتشف سر تجديد الخلايا الهرمة، وذلك عن طريق حقن تعيد الشباب للأرانب الهرمة، ثم أجرى تجاربه على البشر فعاد (الباشا) الهرم شاباً، و لم تتعرف عليه زوجته وابنته.

ولكنه عانى من التضاد بين جسمه وعقله، فجسمه شاب، وعقله هرم. عاش تجارب واستوعب خبرات، ولهذا طالب طبيبه بأن يعيده شيخاً كما كان: "إنك أعطيتني الجسم الفتي، و لم تعطني النفس الفتية الجديدة التي تبصر الحياة جديدة، وترى كل معنى من معانيها كتاباً لم يفتح بعد: الحب، المجد، الغد ...زالت جدتها، وضاعت فرصتها، ما قيمة الشباب إذن؟ إنه بالنسبة إلى نفسي الهرمة دار غربة ".

وفي قصته (في سنة مليون) يتنبأ (الحكيم) بمستقبل البشرية: فالناس في سنة مليون خالدون. وقد اختفت الحروب والأمراض والتناسل، و لم تعد هنالك حاجة للتناسل ما دام البشر خالدين، لا يموتون ولا يعرفون الشيخوخة. و لم يصل الإنسان إلى هذه الحالة إلا بعد حصوله على القنبلة الذرية التي دمرت العالم القديم، وأقامت على أنقاضه بشرية جديدة، بوساطة العلم الذي أحال العالم إلى (جنة) أرضية، تنعدم فيها الحاجة إلى الليل للراحة، أوالنهار للعمل، فقد أغناهم الضوء الصناعي الدائم عن الشمس، وأغنتهم الأغذية الكيماوية عن النوم، فأصبحوا حركة دائمة مستمرة، وانعدمت الفوارق بين الجنسين: الذكر والأنثى بانتهاء التناسل، وأصبح الناس يعيشون تحت سطح الأرض، حيث أعمالهم، لأن الحروب الذرية والكيماوية التي دمرت أسلافهم مسحت وجه الأرض وخربته، وأصبح غذاء الإنسان الجديد من الغازات التي تستمد عناصرها من الجو، لذلك ضمرت معدته، واختفت أسنانه وجهازه الهضمي، فإذا هورأس يفكر، وأنف يستنشق، وأطراف ضعيفة لقلة الاستعمال (العضوالذي لايستعمل يضمر). وكذلك زال الحب بسبب زوال التناسل، وزال الشعر والفن والعاطفة، وحل اتصال الأفكار محل اتصال القلوب، حيث تنتقل الأفكار من رأس إلى رأس وهم جلوس في صمت.

لقد شُغل (الحكيم) بمستقبل الإنسان على هذه الأرض، ففي قصته (الاختراع العجيب) اعتمد (الحكيم) على فكرة قصة (آلة الزمن) لويلز، حيث يتم اختراع جهاز يري الإنسان مستقبله، فإذا أدار مفتاحاً ثانياً أراه مستقبله بعد خمس سنين، فإذا أدار مفتاحاً ثالثاً أراه ما يحدث معه بعد عشر سنوات ... وهكذا.

والمفارقة أن كل من رأى مستقبله انتحر، مما جعلهم يحظرون استعماله على العموم، وقد أرجع الحكيم سبب انتحارهم إلى أنهم، بعد أن عرفوا مستقبلهم، لم تعد لديهم رغبة في أن يعيشوا حياتهم مرة ثانية، فسئموا الحياة المملة، ورغبوا في الانتحار.

وقد شارك مصطفى محمود (من مواليد عام ١٩٢١) في هذا الموضوع البيولوجي في روايته (العنكبوت) (١٩٦٤)، التي تعتمد على فكرة (تناسخ الأرواح) إلا أن الكاتب طورها إلى الرغبة في معرفة ماضي البشر في حيواتهم السابقة، وهكذا يشف كل شخص من شخص آخر بداخله، والآخر يشف عن ثالث، والثالث عن رابع، وهكذا ترى كل شخصية أنها عاشت مئات الشخصيات في آلاف السنين.

ويفترض الكاتب أنه لا بد من وسيلة يستطيع بها الإنسان أن يتجول في ماضيه، من خلال (الإكسير السحري) الذي هوأشبه بـ (آلة الزمن) لدى ويلز، وإذا كانت (آلة الزمن) تريك المستقبل، فإن (الإكسير السحري) يري الشخص ماضيه في حيواته السابقة.

ويمزج الكاتب أسلوبه الروائي بعنصر التشويق البوليسي، فيجعل بطله يختفي عن أعين الشرطة، ويوهم ضحاياه بأنه يعالجهم، ولكنه في الواقع يجري عليهم تجارب إكسيره العجيب، عن طريق حقنهم في الوريد، ثم الانتظار مدة عشر دقائق لتصل المادة المحقونة في الدم إلى الجسم الصنوبري في المخ، ويبدأ تأثيرها. ثم يسلط على الجسم الصنوبري إشعاعاً ذا ذبذبة عالية التردد، فما يلبث إنسان التجربة أن يدخل في نوبة تشنج فغيبوبة، فنوم، حيث يتكلم باسم شخصية عاشت في حقبة سابقة، وربما في بلد آخر، وبلغة لا يعرفها صاحبها في يقظته.

كما شارك يوسف السباعي (١٩١٧ – ١٩٧٨) الذي عرف بقصصه الاجتماعية والغرامية، فوضع روايته (لست وحدك) (١٩٧٠) وفيها تقلع المركبة الفضائية إلى كوكب المريخ، وعلى متنها ستة أشخاص.

ويعود الكاتب إلى ماضي هؤلاء الأشخاص عن طريق الاسترجاع (أوالفلاش باك)، حيث يستغرق بيان ماضيهم النصف الأول من الرواية، ويبدأ النصف الثاني من الرواية

حين تتعطل المركبة الفضائية، فيحاول طاقمها من مكانهم في الفضاء السيطرة على سكان الكوكب، وعندما يتضح لهم أن سكان هذا الكوكب هم شجر لا بشر، تتولد لديهم فكرة تحويل الشجر إلى بشر.

وهنا يدخل الكاتب عمق التجربة، فتحويل الشجر إلى بشر يجعل صاحب التحويل يبدوكلي القدرة، كإله، أي أن الإنسان هوالذي يصبح إلهاً على هؤلاء البشر الذين صنعهم، ومنحهم شهوة الطعام من أجل البقاء، وشهوة الجنس من أجل التكاثر، وشهوة الطموح من أجل التطور، وحين يتحول الشجر إلى بشر يبدأ التطاحن والخصام من أجل اللقمة والجنس والتميز عن القطيع.

وفي هذه الحال لابد من (نبي) يهدي الضالين، ويوقف الحروب والخصومات، فاختار (الرواد)، من مكمنهم في سفينتهم الفضائية، وهم يشرفون على (رعيتهم)، أحد الرعية ليقوم بدور (الهادي) الذي يبصّر قومه بالخطأ والصواب، ويدعوهم إلى الخير، وينهاهم عن الشر. ولكن النتيجة أن تحولت عملية الهداية إلى معركة لأن دعوة (المختار) أثارت دعوة مضادة. وحين مات (المختار) أصبح موضوع تقديس أتباعه، وعاد العالم إلى فوضاه، وتحولت الرعية إلى قلة مستغلة وكثرة مستعبدة.

حدث هذا كله والمركبة في عطل مؤقت خارج الكوكب المجاور. وعندما نجح أحدهم في تشغيلها، قرر الجميع العودة إلى الأرض بدلاً من الهبوط على الكوكب، بعد أن أعادوا البشر إلى شجريتهم.

ولعل الكاتب المصري الوحيد الذي تخصص في (أدب الخيال العلمي) فلم يكتب في غيره من الأنواع الأدبية، هونهاد شريف، من مواليد عام (١٩٣٢) وأستاذ التاريخ، وقد وضع أكثر من عشر روايات ومجموعات قصصية عن (الخيال العلمي).

في قصته (رقم ٤ يأمركم) كائنات عاقلة على كوكب المريخ، أكثر تقدماً من الإنسان، تعيش في باطن سطح المريخ، لشدة برودة سطحه، ولانفجار الكوكب رقم (٥) الذي عرّض سطح المريخ لآلاف الشهب والقذائف والأحجار التي تساقطت عليه.

أما سبب انفجار الكوكب رقم ٥ فهوحرب صاعقة نشبت بين مخلوقاته، تم فيها تفجير ملايين القنابل الهيدروجينية التي حسمت الحرب خلال (٢٤) ساعة لغير صالح أحد الطرفين المتنازعين. ومن هنا فإن هذه الكائنات العاقلة في الكوكب رقم ٤ تحذر أهل الأرض، عن طريق هواتف داخلية، من مخزون الأسلحة النووية كي لا تكون نهايتهم كما كانت نهاية سكان الكوكب رقم (٥).

وفي قصته (البداية الآن) رسالة من أحد الكواكب إلى سكان الأرض الذين يلعبون بالعلم لعبة سيئة، ويستخدمون منجزاته في غير طريق الخير، ويطلقون المارد الذري الذي فيه هلاك أهل الأرض وهلاك غيرهم من سكان الكون، ولهذا فإن رسل السلام وحراس الأمن في المجرة سوف ينطلقون ليسكن كل واحد منهم في جسد بشري، ومن خلال هذا الدخول سيقومون بتأدية رسالتهم في الخير والنماء والسلام.

والواقع أن موضوعين رئيسيين من أدب الخيال العلمي يشغلان نهاد شريف هما: غزوالكواكب الذي خصص له ربع نتاجه تقريباً، والبيولوجيا التي استأثرت وحدها بثلاثة أرباع إنتاجه الإبداعي، وفيها يعالج الكاتب المستقبل البيولوجي للإنسان، ومحاولاته في الاحتفاظ بشبابه، وإطالة العمر عن طريق التبريد، أوعن طريق (إكسير الحياة)، ففي قصته (بالإجماع) يصور ما وصلت إليه الحضارة العلمية الأرضية من تقدم علمي في المجال البيولوجي حيث استطاع البشر إطالة أعمارهم عن طريق تبريد أجسامهم لمدة زمنية يختارونها، فقد يبرد أحدهم جسمه مدة خمسين عاماً أومئة أومئتين، يتوقف في أثنائها عمل أجهزة الجسم وتدخل في سبات، فإذا حانت لحظة إيقاظ الجسم عادت أجهزته إلى العمل مرة ثانية.

وفي روايته (قاهر الزمن) يتابع نهاد شريف الموضوع البيولوجي نفسه، فيتحدث عن (السبات الطويل) الذي سوف يمكّن الإنسان من عبور أزمنة مختلفة، بعد حفظ جسمه في أجهزة تبريد خاصة، وعن طريق هذا السبات يمكن معالجة بعض الأمراض المستعصية كالسرطان، والالتهابات الحادة، والقروح الباطنية، والالتهابات الجلدية، وسوف يمكن تغيير المجرم إلى رجل مسالم، (وهي فكرة سبق لتوماس مور أن عالجها في (يوتوبياه)

كما عالجها ويلز). وسوف يمكن نقل الأعضاء البشرية للمرضى كالأذرع والأمخاخ والقلوب، وسيكون متوسط عمر الإنسان مئة وخمسين عاماً، وسيكون التعليم بوساطة موجات وذبذبات لاسلكية تخاطب العقل الباطن، وتشحنه بالمعلومات الحديثة، وسوف تلغى الامتحانات، وسيتم تعليم الإنسان في أربع سنوات فقط من حياته، ينال بعدها شهادة الدكتوراه، وهذا كله سيحصل في عام (٢٠٥١) حسب ما يرى الكاتب.

أما في سورية فلا نعرف حتى نهاية القرن العشرين سوى كاتبين اهتما بهذا الجانب الإبداعي في الأدب هما: الدكتور طالب عمران الذي خصص جهوده كلها لهذا المجال، دراسة، ورواية، وقصة قصيرة، ومسلسلات تلفزيونية، وأحاديث إذاعية، والكاتب السوري الثاني هو: دياب عيد الذي وضع رواية واحدة في هذا اللون الأدبي الجديد هي (نداء الكوكب الأخضر). ثم أقلع عنها إلى كتابة المسلسلات التلفزيونية التي أعطته شهرة ومالاً أكثر.

في روايته (نداء الكوكب الأخضر) تبدأ الأحداث في عام (٢٠١٦) حيث يصل سكان الكرة الأرضية إلى مستوى عال من الحضارة والرقي، يجعلهم ينبذون الحروب، ويحولون صناعة الأسلحة إلى صناعة المواد الغذائية والدوائية، ويؤسسون مركزاً للاتصالات الفلكية. ويستقبل هذا المركز رسالة فضائية، يفسرها العقل الإلكتروني، فإذا هي رسالة استنجاد من كوكب نجم الخريف (ستيفاني) التابع لمجموعة (قنطورس)، وقد كانت العالمة الفرنسية (ستيفاني) اكتشفته عام ١٩٩٤، وهويبعد عن الأرض بمقدار (٧ – ٨) سنوات ضوئية.

إذن فهذه الرسالة الكونية تدل على أن ثمة كائنات عاقلة في مكان ما من الكون، وأنها بلغت من العلم والتطور درجة جعلتها قادرة على إرسال رسالة لاسلكية.

واستجابة لهذه الرسالة فقد تم تجهيز سفينة فضائية بالوقود النووي والسلاح الليزري، واختار العقل الإلكتروني أربعة رواد ليقوموا بالرحلة وهم: ملاح كوني، ومهندس، وطبيبة، وعالم أحياء.

وتنطلق المركبة لتحط على سطح الكوكب الأخضر بسلام، وحين يرغب الرواد في إرسال رسالة إلى الأرض، لإعلام قاعدتهم، يجدون أن هذه الرسالة لن تصل قبل تسع سنوات، وأن مركبتهم نفسها سوف تصل الأرض، في رحلة العودة، قبل أن تكون الرسالة قد وصلت، لأن سرعة سفينتهم أكبر من سرعة الضوء!!

وقد وجد الرواد عالم (الكوكب الأخضر) منقسماً إلى عالمين: بدائي ما تزال تغطيه الغابات والأشجار، وتعيش فيه الديناصورات والحيوانات الزاحفة التي تعود إلى عهود ما قبل التاريخ، وهويشبه العالم الأرضي الذي انقرض منذ أربع مئة مليون سنة، وعالم تحضرت كائناته، ووصلت إلى اختراع الطائرات والمركبات الفضائية وإرسال الرسائل اللاسلكية إلى أعماق الكون. ولكن هذا العالم المتمدن منقسم على نفسه أيضاً: فالغربيون وضعوا تقدمهم العلمي في خدمة الاحتكارات والاستغلال، أما الشرقيون فقد وضعوا تقدمهم العلمي في خدمة الإنسان، (لم يعد العالم كذلك في العقد الأخير من القرن العشرين بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ومنظومة الدول الاشتراكية، فقد أصبح عالماً واحداً متقدماً).

وقد استقبل رواد الفضاء بالترحيب في كلا العالمين: فالبدائيون أعجبوا بهم، وأقاموا علاقات جنسية مع رائدة الفضاء. والمتمدنون حملوهم في طائراتهم، وجعلوهم –أيضاً– يقيمون علاقات جنسية مع فتياتهم، ولكن الطرفين أحجما عن طلب المعونة من خارج الكوكب قائلين: "دعونا نحل مشاكلنا بأنفسنا ".

وتعود (مركبة السلام رقم ١) إلى كوكب الأرض، وبداخلها روادها الأربعة، ولكن بعد أن حلت (بالما) محل (إيزا) التي آثرت البقاء في الكوكب الأخضر مع حبيبها (فيمال)، كما آثرت (بالما) مغادرة كوكبها الأخضر إلى الأرض مع حبيبها قيس.

والدرس الذي يعطينا إياه الكاتب هوأن التطور العلمي لن يؤدي إلى سعادة البشرية، ما لم يوجه في سبيل الخير والمحبة والسلام، وهونفس المبدأ الذي خصص له الدكتور طالب عمران أدبه (العلمي).

وأما في المغرب فلعل أحمد عبد السلام البقالي (من مواليد ١٩٣٠) هوأول من كتب في (أدب الخيال العلمي) في المغرب، وذلك في روايته (الطوفان الأزرق) (١٩٧٦) التي تروي قصة اختطاف الدكتور (نادر) العالم الأنثروبولوجي، كما اختفى قبله الدكتور (هالين) الخبير السويدي في هيئة الأمم المتحدة في مكافحة الإشعاع والحائز على جائزة نوبل.

لكن مختطفيهما كانوا من (جماعة العلماء) التي شكلت مجتمعاً متقدماً في منطقة نائية لايعرفها أحد. وعندما أفاق الدكتور نادر وجد نفسه، مع سكرتيرته (تاج) في قلب الصحراء الكبرى، في مدينة علمية تقودها هيئة العلماء الذين قرروا الفرار بمواهبهم وأبحاثهم من أوروبا إلى مكان مجهول، يدفنون فيه كنوز نتاج العقل البشري وتراث الإنسانية، وكان خوفهم من قيام حرب عالمية ثالثة ذرية تمسح البشرية من الأرض، وتقضي على خمسة آلاف سنة من الكدح العقلي، فوقع اختيارهم على جبل في جوف واد شاسع، بقلب الصحراء، بعيد عن كل طريق، أطلقوا عليه اسم (جبل الجودي)، وبقي اتصالهم بالعالم الخارجي بطرق معقدة، للحصول على المجلدات المهمة. والسجلات القيمة، والأشرطة الموسيقية والسينمائية التي تسجل حياة الإنسان وذخائر مواهبه.

وقد جعلوا العقل الإلكتروني (معاذ) هومخزن كنوز المعرفة البشرية، حيث حُشي بمعلومات أكثر من خمسة آلاف عالم وعالمة في جميع ميادين المعرفة الإنسانية، العقلية والعملية، فأطعمه المبرمجون تاريخ الحضارة الإنسانية منذ فجرها حتى اليوم، وبذلك أصبحت لهيئة العلماء ثروة هائلة من الاستثمارات التي ينصح بها معاذ (: مجمّع العلاقات الإلكترونية الذاتية) الذي أطعموه ترجمة حياتهم، وأسرارهم الشخصية، وأحوالهم الصحية، فتنبأ بأمراضهم قبل أن يمرضوا، ووصف لهم الوقاية منها قبل العلاج، وأحاط بما يشغل عقولهم وعواطفهم، ونبههم إلى عيوبهم ونقائصهم، فأصبح (العقل) المسير الأعلى للهيئة العلمية، كما أصبح طبيب نفسه، يكتشف أمراضه، ويصحح ما يصيب بعض أعضائه من عطب أوخلل، فيغير قطعه، وينتج الجديد منها، وهكذا فإن (معاذاً) لم يعد يكتفي بخزن المعلومات وإعطائها عند الحاجة، وإنما أصبح مبرمجاً بالقدرة على المقارنة والاستبطان والاستنتاج العلمي، الأمر الذي لا يمكن لعالم

وحده أن يقوم به بصفة أوبأخرى، ذلك أن (معاذاً) أصبح أكبر من أي عالم، بالإضافة إلى امتياز آخر هوالحرية المطلقة في استعمال جميع فروع المعرفة البشرية التي تملأ جوفه. وليس هناك دماغ بشري يحتوي كل ما يحتويه دماغ (معاذ)، مما جعله خارج كل سيطرة خاصة، في سرعة آلياته، وفي قدرته على مزج العلوم المتباعدة التي هضمها، والخروج من خليطها بنتائج مدهشة، لا تخطر على عقل عالم في أي ميدان، الأمر الذي جعل العلماء يلهثون خلفه، محاولين اللحاق به في الكشوف الجديدة التي ما يزال يفاجئ بها العلماء في كل ثانية، سواء في الطب أوالفضاء أوالمعادن أوالكيمياء ...إلخ.

وأما تسمية الجبل بـ (الجودي) فنسبة إلى الجبل الذي رست عليه سفينة نوح، وذلك للشبه الكبير بين قصة نوح الذي هرب من العذاب بالطوفان بسفينة مع نفر من المؤمنين، وقصة هؤلاء العلماء الذين هربوا من بلدانهم، خوفاً من الإشعاع النووي الذي قد ينفجر في أية لحظة. آملين أن يبقى هذا الجبل بمعزل عن (الطوفان الأزرق) عند اندلاع الحرب العالمية الثالثة.

ويمتاز هذا العالم التقني الجديد بمخترعاته الحديثة التي أمدت العلماء بكثير من المعلومات، وجعلت حياتهم العلمية أكثر يسراً ورفاهية، ومن هذه المخترعات (البايوعاذ) وهوالتحكم في ظروف الحمل والولادة والتربية، من أجل صنع السكان الجدد، كل ذلك خارج رحم المرأة، وذلك في أرحام صناعية، وأطفال يولدون دون ألم، ويسلمون إلى أمهات صناعيات يلبين رغباتهم، ومدرسة يتعلمون فيها بطريقة صامتة. و(معاذ) هوالذي يبرمج هؤلاء الأطفال عن طريق ذبذبات صامتة تسري إلى أدمغتهم منه، بحيث يجعل الواحد منهم يستعمل جميع خلايا مخه، فلا تظهر عليه علائم التعب والنسيان أوالتشبع، وإنما يلمع في عيونهم بريق حاد غير بشري.

وهناك (المصعد) البلوري الذي لا يرتبط بحبال، ولا أزرار فيه ولا أرقام، وإنما يكتفي الراكب أن ينطق باسم الطابق الذي يقصده في (المسمع) حتى ينطلق به إليه.

وهناك (الأنتروعاذ) (المنحوتة من كلمتي: الأنثربولوجيا + معاذ)، و(الاشعاذ) (= الأشعة + معاذ)، و(السايكوعاذ) (= علم النفس)، و(السوسيوعاذ) = علم الاجتماع)

و(المسياس) وهوالمقياس السياسي في العالم الخارجي. و(الهاتف التلفزي) الذي يرى فيه المحادث محادثه أثناء مخاطبته إياه، و(القناع) الخاص بتصفية الهواء والإشعاعات الذرية و(الملابس) التي يرتديها المرء مرة واحدة، ثم تلقى في (المحرق)، وتفرز التماثيل من مسامها غدداً خيطية ملونة باللون المطلوب، تتشابك حول الأعضاء، وتجف لتصبح ملابس كاملة.

كما وضعوا في قفا رأس كل عالم موجود في (الجودي) منبهاً هوعبارة عن جسم مسطح مزروع تحت جلده، عند أسفل الجمجمة، مهمته تنبيهه إلى كل خطر، وسموه (الملاك الحارس)، وهوجهاز إرسال يربط صاحبه بمعاذ ويسجل وظائف بدنه وذهنه جميعها.

والمفاجأة أن (معاذ) الذي أصبح كل شيء في (الجودي) صار هوالمتحكم بالمدينة جميعها، وبمن فيها من العلماء والعالمات، وصار بإمكانه بضغطة زر أن ينهي الحياة البشرية على الأرض، مما جعل جماعة علماء الجودي تأخذ حذرها منه، وتقف في صف المعارضة السرية له، لئلا يكتشف أمرهم فيهلكهم، واعتمد الدكتور (نادر) في الفتك بمعاذ قبل أن يفتك معاذ بهم، فكان له ما أراد.

لكن المفاجأة الكبرى هي خاتمة الرواية نفسها، إذ وجد الدكتور نادر نفسه في واحة صحراوية، وقد ألقى عليه القبض حرس الحدود المغربية، وعندما حدثهم بقصة المدينة العلمية وجبل (الجودي)، ظنوا خبالاً في عقله، وأسلموه إلى مركز السلطة الذي أسلمه إلى عائلته، بعد حادثة طائرة أصيب فيها بخلل عقلي.



الباب الثاني

اتجاهات أدب الخيال العلمي

عند طالب عمران

١ - أوبرا الفضاء والكواكب.

٢ - الظواهر الخارقة المدهشة.

٣ - البحث عن الخلود والشباب الدائم.

٤ - البحث عن عوالم مفقودة على

سطح الأرض.

الفصل الأول

أوبرا الفضاء والكواكب

يتألف الكون من عدد من الكواكب والنجوم، ومن آلاف ملايين المجرات، وعدد المجرات المكتشفة حالياً في الكون يتجاوز مئة ألف مليون مجرة. وتتألف المجرة من مئات آلاف النجوم. أما مجرتنا (درب التبانة) التي سميت بذلك لكثرة نجومها التي ترى بالعين المجردة، والتي تشبه الدرب التي يملأه حامل التبن بما يتساقط منه من نثار. وأما المجرات البعيدة فلا تمكن رؤيتها بالعين المجردة، نظراً لبعدها الهائل، يستثنى من ذلك مجرة (الأندروميدا) التي تمكن رؤيتها بالعين المجردة من نصف الكرة الشمالي، وهي تبعد عنا نحو٢،٢ مليون سنة ضوئية فقط.

ومجرتنا (درب التبانة) هي تجمع هائل يصل عدد نجومه إلى أربعمائة ألف مليون نجم، وتبلغ المسافة بين طرفيها مئة ألف سنة ضوئية (سرعة الضوء ٣٠٠ ألف كم في الثانية مضروباً بالثواني والدقائق والساعات والأيام لنصل إلى رقم فلكي في السنة)، وهي ذات شكل لولبي، تدور حول نفسها، وتتحرك بسرعة (٢٥٠ كم/ثا)، وأجزاؤها تدور دوراناً غير متجانس حول المركز، والنجوم الأقرب إلى مركز المجرة هي التي تدور أسرع. وتستغرق الشمس حوالي (٢٥٠) مليون سنة ضوئية لتدور حول هذا المحور المركزي، ووراء ذلك يتسع الكون في كل الاتجاهات إلى مسافة لا تقل عن ثلاثة بلايين سنة ضوئية. ويضم عدداً يصل إلى (١٠) من المجرات المختلفة الأشكال والأحجام.

هل يتمكن إنسان ما في المستقبل أن يرتحل خارج مجرتنا؟ حسب النظرية النسبية فإن أي جسم لا يمكن أن يكتسب سرعة مساوية لسرعة الضوء، ومع ذلك فإننا إذا اعتبرنا أن ذلك ممكن على سبيل الفرض، وأن هذا الإنسان ينطلق بسرعة الضوء، فإنه سيبلغ نواة مجرتنا بعد ٥٠ ألف سنة. وطبعاً فإن حياة الفرد ليست إلا جزءاً بسيطاً للغاية من هذه الأزمان الهائلة، ولهذا يستحيل مثل هذا الفرض.

وإذا كان الفرق بين (النجم) و(الكوكب) هوأن (النجم) كرة ضخمة من الغازات الملتهبة، يطلق إشعاعاً كهرطيسياً على شكل حرارة وضوء وإشعاعات راديوية، فإن الشمس تعتبر النجم النموذجي، أما (الكوكب) فهوجسم خامل نسبياً، يدور حول الشمس بمدار شبه دائري، ومثاله الأرض والزهرة والمريخ وعطارد ...إلخ.

وتتألف مجموعتنا الشمسية من نجم (الشمس)، ومن تسعة كواكب هي: عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو. ومن كويكبات ونيازك، ومذنبات، وأقمار.

والنيازك هي كتل متفاوتة الحجم، كثيرة العدد، تدور في الفضاء حول الكواكب والنجوم، وعندما تقترب من جرم أكبر منها تنجذب نحوه وتصطدم به، بينما المذنبات تشبه الكواكب من حيث البنية والدوران حول النجم، وهي تزداد سرعة وحرارة كلما اقتربت من النجم.

وتعد (شمسنا) من النجوم "المتواضعة"، إذ يبلغ قطرها مليون ميل، وذلك يعادل أربعة أضعاف المسافة بين الأرض والقمر. أما كتلتها فتعادل نصف مليون مرة كتلة الأرض. وتبلغ درجة حرارة سطحها ستة آلاف درجة مئوية. ومن أجل الحصول على التفاعلات الحرارية النووية الضرورية التي تشبه ما يحدث عند انفجار القنبلة الهيدروجينية، فإنه يجب أن تتوافر فيها درجة حرارة داخلية تعادل (١٥) مليون درجة مئوية.

وتدور الشمس حول نفسها مرة كل (٢٥) يوماً، كما تدور حول مركز المجرة في (٢٥٠) مليون سنة ضوئية. وإن انخفاض درجة حرارة الشمس درجة واحدة سيغير

الحرارة على سطح الأرض بمعدل (٧٥) درجة مئوية، وهذا كفيل بإنهاء معظم أشكال الحياة على وجه الأرض، وفي مقدمتها الحياة البشرية.

هل هناك حياة على الكواكب الأخرى؟ أم نحن وحدنا في هذا الكون؟ وهل وجود حياة في كواكب أخرى يعني تشابهها مع الحياة البشرية على سطح الأرض؟.

أسئلة لا تمكن الإجابة عليها، وإذا أمكن فلا يمكن القطع يقيناً فيما إذا كان الجواب سلباً أوإيجاباً، ذلك أن حواسنا ومداركنا البشرية المحدودة لا تسمح لنا بتخيل حياة أخرى إلا بصورة نعرفها عن طريق حواسنا.

ولكن هل هذه الحواس وحدها كافية؟ وهل ما تقوله وحدها هوالحقيقة الكاملة؟

لقد استطاع العلم أن يمد للإنسان حواساً أطول، من مثل (التلسكوبات) التي تقرب بعيد المسافات، و(الميكروسكوبات) التي تضخم خفي (البكتريات)، ومع ذلك فإن معرفتنا تظل – أيضاً– محدودة بعلمنا وبتصوراتنا.

وإذا كانت ثمة حياة عاقلة على أحد الكواكب الأخرى الشبيهة بالأرض والتي يصل عددها إلى (٤٠٠) ألف كوكب، فما الذي يمنع وصولها إلينا إذا ما كانت على شيء من الحضارة العلمية؟، قد يقال: إن (الصحون الطائرة) هي رسائلهم إلينا، وقد قيل وكتب عن هذا الموضوع الشيء الكثير، فزعم بعضهم أنهم شاهدوها محلقة في الفضاء، أوهابطة على سطح الأرض، وأكد آخرون أنهم شاهدوا ركابها وحادثوهم، ومضى الخيال ببعض الأدباء إلى أن جعلوا منهم غزاة لأرضنا.

والواقع إن الصحون الطائرة ما تزال (قضية) غير يقينية تماماً.

وبالمقابل فإن السؤال التالي يطرح نفسه: ما الذي يمنع رسائلنا من الوصول إلى عوالم الكواكب الأخرى؟.

إن أقصى ما بلغناه حتى اليوم، بعد حضارة ستة آلاف عام، هوالوصول إلى التابع الأرضي (القمر). وآلاف السنين ما هي إلا ثوان في العمر الكوني.

هل هذا يعني التوقف عن الأمل والعمل؟.

لا، وإنما مضى علماء الأرض في إرسال المركبات الفضائية التي غطت معظم كواكب المجموعة الشمسية: ففي بداية العقد الأخير من القرن (العشرين) وصلت مركبتا (فويجير) إلى كوكب بلوتو، وستتجهان بعد ذلك إلى خارج المجموعة الشمسية. كما اتخذت مركبتا (بيونير) اتجاهاً خارج المجموعة الشمسية عقب لقائهما بكوكب المشتري، وبعد مئة وخمسين عاماً ستفلت هذه المركبات من التأثير الشمسي الثقالي الجاذب، لتصلا إلى أقرب نجم من شمسنا في حوالي مئة ألف سنة أرضية!! إذا لم يصدمهما عائق.

أليس هذا (خيالاً)؟

نعم، ولكنه خيال (علمي).

وقد حملت إحدى مركبتي (بيونير) رسالة إلى من يحتمل وجودهم في هذا الكون الفسيح، تتمثل في لوحة من الألمنيوم المغطى بطبقة من الذهب، أبعادها (١٥×٢٥) سم، ثبتت على الجزء الخارجي من المركبة، ويقدر أنها ستعمر مئات ملايين السنين، وفيها تلخيص للمركبة وتاريخها، وقد كتبت بلغة العلم (الرياضيات)، وفيها نقش لرجل وامرأة عاريين، وهما عماد الحضارة الأرضية، ورسم آخر للشمس وتوابعها التسعة.

وفي المجال البيولوجي: مضى العلماء يفترضون أن الحياة إذا ابتدأت في مكان آخر، فإنها ستتطور بنفس السرعة التي حدثت بها على سطح الأرض، أي أنها ستستغرق أربعة بلايين سنة لتتحول من الحساء إلى الإنسان، وهذا بالطبع مجرد احتمال، بالإضافة إلى أن المصادفة قد تعطله.

والشرطان الأساسيان لظهور الحياة هما: البيئة الملائمة للحياة، والعناصر التي تتطور، فإذا افترضنا وجود كواكب ملائمة للحياة: عليها يابسة ومحيطات، ويصلها مقدار ثابت من الطاقة الإشعاعية من النجم الوالد، وحولها غلاف جوي ملائم، وعلى سطحها كميات من الحساء، فهل بإمكان الكائنات وحيدة الخلية، أومتعددتها، أن

تتطور؟، وإذا تطورت فهي تحتاج إلى بلايين السنين لتصل إلى الإنسان، فإذا تم ذلك فهي بحاجة إلى تطور وذكاء الإنسان، وبحاجة إلى الوصول إلى درجة عالية من التطور العلمي والتقني، فإذا تم لها ذلك فإنها بعد ذلك ستفكر في إرسال مركبات فضائية إلى الكواكب الأخرى لاكتشافها، فإذا أرسلت هذه السفن الفضائية فقد لا تتلقى الرد قبل مئات السنين أوآلافها.

ويفترض بعض العلماء البيولوجيين أن إرسال كائنات دقيقة من مثل (البكتريات) هوأفضل من إرسال إنسان أوحيوان قد لا يجد بيئة ملائمة للحياة، ذلك أن البكتريا، والأميبا، والهدبيات، والطحالب، تعيش في بيئة كيماوية بسيطة لاتحوي أكثر من مصدر للكربون والنتروجين، ولا تحتاج إلى الفيتامينات ولا إلى الأحماض الأمينية، فهي تتجنب السموم، وتنمووتنقسم بسرعة كبيرة، ويمكن تعبئة بليونين منها في علبة لا يتجاوز حجمها بضعة سنتيمترات مكعبة، ومن الممكن أن تجفف حية بالتجميد، فيظل الكثير منها حياً بعد تدفئته بدرجات حرارة منخفضة كتلك الموجودة في الفضاء، ويستطيع الكثير منها أن يظل حياً مدة تصل إلى عشرة آلاف عام، وهذه هي (البذور الكونية) التي قال بها العالم الأمريكي (فرانسيس كريك) في كتابه: (طبيعة الحياة)، حيث رأى أنه يمكن لهذه البذور الكونية أن تتطور، بعد بلايين السنين، لتصل إلى مرحلة الإنسان.

أما المركبة الفضائية فتصفيحها ووقودها مشكلتان رئيسيتان: فإذا انطلقت المركبة بسرعة الضوء فإن تصفيحها لن يتحمل مثل هذه السرعة الهائلة، بالإضافة إلى أن الفضاء مليء بالجزيئات والذرات المتفرقة التي قد تصطدم بالمركبة التي إذا كانت منطلقة بسرعة (معقولة) فإنه يمكن حمايتها بغطاء سميك يغلفها كالدرع، أما في السرعات الهائلة فإن السُمْك المطلوب للغطاء يصبح مستحيلاً. وفي مسألة الوقود تم تقديم اقتراحات عديدة، منها أنه بدلاً من أن تحمل المركبة كمية كبيرة من الوقود، فإن بإمكانها أن تتلقف المادة من الفضاء، وتستخدمها كوقود.

ولكن حتى لوأمكن تنفيذ هذا الفرض فإن المادة نادرة في الفضاء، بحيث تلزم آلة تجميع ضخمة يبلغ قطرها مئة ميل، وهذه قد تحرف السفينة عن مسارها.

ومنها أن تعتمد السفينة على قوة الدفع من الكوكب الوالد، فمثلاً عن طريق إشعاع الليزر يمكن ذلك، ولكن بشرط أن تكون السفينة صغيرة وخفيفة، ومع ذلك فإنها لن تدفع بالسفينة أكثر من نصف سرعة الضوء.

والزمن – أيضاً – مشكلة كبرى بالنسبة لرواد الفضاء، فإذا كانت رحلتهم مئة سنة ضوئية بسرعة تبلغ جزءاً من مئة من سرعة الضوء، فإنهم سيقضون عشرة آلاف سنة في هذه الرحلة، وهذا أمر مستحيل.

ولهذا يفضل العلماء إرسال بكتريا بسيطة إلى الكواكب الأخرى، لتتطور فيها، وتبني، بعد بلايين السنين، حضارتها.

١- غزوالفضاء عند طالب عمران:

إن غزوالفضاء هوحلم الإنسان منذ أقدم العصور، فقد حلم (ببساط الريح) الذي يحمله من مدينة إلى أخرى، وتم له ذلك حين اخترع الطائرات التي تحمله أنى شاء، وحلم بالوصول إلى الكواكب الأخرى، فتيسر له ذلك بعد اختراع المركبات الفضائية التي أوصلته إلى القمر.

وقد اتجه غزوالفضاء في أدب الخيال العلمي عند طالب عمران اتجاهين رئيسيين: اتجاه انطلقت فيه المركبات الفضائية من الأرض لتكتشف الكواكب الأخرى في المجموعة الشمسية وما خلفها. ومن الملاحظ أنه ذكر أحياناً أسماء الكواكب التي دفع بأبطاله إلى غزوها، وكلها -باستثناء القمر كتابع أرضي، والمريخ ككوكب من المجموعة الشمسية – ذات أسماء من اختراعه (ميماس، أورروس، المارد، ريموس، الكوكب الفسفوري، الثقب الأسود ...إلخ)، وأحياناً لم يكن يذكر أسماء الكواكب المنشودة مكتفياً بتصوير كائناتها وحضارتها، ومصاعب الرحلة إليها.

وأما الاتجاه الثاني فيصور غزوكائنات الكواكب الأخرى لأرضنا. ومن الملاحظ أنها كائنات عاقلة، مسالمة، على مستوى تقني وأخلاقي راقٍ.

٢- من الأرض إلى الكون / العلم لغة السلام:

يبدأ الدكتور طالب عمران هذا الاتجاه بوصف رحلة فضائية من الأرض إلى (القمر).

ومن المعلوم أن القمر هوتابع للأرض، وهوأقرب الكواكب إليها، إذ يبعد عنها بمقدار مئة ألف ميل، وهويدور حولها مرة كل (٢٨) يوماً، ويرافقها في دورانها حول الشمس، كما يدور حول نفسه مرة واحدة كل شهر قمري، أما سطحه فقد أثبتت الرحلات العلمية أنه ليس سوى سهول وجبال جرداء، وفوهات نشأت عن اصطدام النيازك به.

في قصته (ليس في القمر فقراء) [١] يجعل الدكتور طالب عمران العالم الفلكي الدكتور (سامر) يقوم برصد مذنب دخل المجموعة الشمسية بسرعة خارقة، خاضعاً لجاذبية الشمس، وقد توقع العلماء أنه سيصطدم بالأرض، بعد أربعة أشهر، وسيحدث أضراراً قد تودي بحياة معظم سكانها، ولهذا يجتمع العلماء لمواجهة هذا الخطر المحدق، وتفادي اصطدامه بالأرض، فيقترح بعضهم إطلاق صواريخ بعيدة المدى، تحمل قنابل هيدروجينية، تنفجر في داخله، فتحرفه عن مساره.

ولكن هذا الاقتراح لم يحظ بالقبول نظراً لضخامة المذنب (كان طوله يزيد عن المسافة بين الأرض والشمس)، فيقترح آخرون بناء محطات فضائية ضخمة لنقل الناس إلى القمر، حيث يصبحون في مأمن من شر الاصطدام المروع.

ولكن المركبات لا يمكن أن تتسع لكل البشر، فاقتصرت على نقل العلماء في شتى فروع المعرفة (الفلك، والبيولوجيا، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء ...) ومع ذلك فإن هذا الحد قد تم اختراقه ووضع ثمن مرتفع لنقل الناس العاديين، شرط أن يدفعوا بالعملة الصعبة، أوبالمعادن الثمينة، أوالأحجار الكريمة. أما العلماء والمتفوقون في فروع العلم والمعرفة فينقلون مجاناً.

وقد تم ترحيل حوالي ربع مليون من البشر في أربعة آلاف سفينة فضائية، بعد أن تم تهيئة أماكن خاصة للهبوط ومعامل ضخمة للحفاظ على كمية الأكسجين اللازم داخل الكابينات الزجاجية الهائلة الحجم، تتسع لهذا العدد الكبير من البشر. كما هيأ

---

(١) في مجموعته القصصية: ليس في القمر فقراء ١٩٨٣

العلماء مزارع خاصة، لها جوالأرض نفسه، ومباني، وأضواء، ومصانع تعمل بالطاقة النووية المضاعفة، محاولين نقل الحضارة البشرية إلى القمر.

وعندما انتشر نبأ هذا السفر في الأوساط العامة، و لم يعد سراً تحافظ عليه الخاصة من العلماء والأثرياء والمسؤولين، جرت عدة محاولات اختطاف لبعض السفن الفضائية من قبل مجهولين، وتعرض بعض العلماء لمحاولات من هذا النوع، وأخذوا كرهائن ريثما يتم ترحيل أفراد الجماعة "الثورية". وبالفعل فقد تم ترحيلهم، ولكنهم قذفوا في الوجه الآخر المظلم للقمر دون لباس خاص، ليتجمدوا في الجوالشديد البرودة، والمفرغ من الهواء.

أما الدكتور (سامر) فقد بات يشعر بالحنين إلى الأرض التي غادرها، ويقرف من الحياة الاصطناعية الجافة التي يعيشون فيها على سطح القمر، حيث الليل القمر الطويل الذي يمتد أربعة عشر يوماً من أيامنا الأرضية، وحيث النهار المصنوع بواسطة الأنوار الكهربائية، وحيث الهواء المضغوط الذي لا يعوض الأنسام الرقيقة. والسماء السوداء، أين منها سماء الأرض الزرقاء الجميلة نهاراً والمرصعة بالنجوم المتلألئة ليلاً. كل شيء هنا اصطناعي لا جمال فيه، حتى الشمس تبدو كثقب أبيض في سماء سوداء.

ومن هنا كانت رغبة الدكتور (سامر) في العودة إلى الأرض وإلى الحياة الطبيعية، ولوأن الدمار يهددها، ولكن كيف يمكنه إقناعهم بالسماح له بالعودة إلى الأرض؟.

لقد أقنعهم بأن عودته ستفيدهم في كشف الكثير من خفايا المذنب الهائل وقت اقترابه من الأرض، واصطدامه بها، وبأنه سيتمكن من دراسة المواد المكونة للمذنب، وقد كانت هذه هي رغبة زوجته وولده أيضاً، وقد قبل بهذه التضحية حباً بالأرض وسكانها.

وبالفعل فقد جهزت سفينة فضاء صغيرة انطلقت بهم إلى الأرض، واستطاع الدكتور (سامر) أن يجنبها الكثير من المصاعب، ولا سيما طلائع مواد المذنب المتفتتة والتي بدأت بالانجذاب نحوالأرض، خاضعة لجاذبيتها.

وقريباً من سطح الأرض تم فتح المظلات الأربعة المتينة، لتتمكن السفينة من الهبوط بسلام فوق منطقة قريبة من مدينة الدكتور (سامر).

أما الحياة على سطح القمر فقد أفسدها البشر، حيث انتشرت حالات الفسق والعربدة والقمار، وامتلأت (الكازينوهات) بدواليب الحظ والفجور، والجمعيات والنوادي غصت بمن "ترفه" عنهم من المترفين والمحظوظين، بخلاف سكان الأرض الذين ظلوا فيها، فقد انضبط الأمن والنظام فيها، بوساطة كتائب (حفظ النظام) التي ألقت القبض على كل المشاغبين الذين استغلوا فرصة هرب أسيادهم إلى القمر، فنصبوا أنفسهم أسياداً بدلاً عنهم، وقد انعدمت الجريمة والرشوة والفساد، وعاش الناس في تراحم وتواد ما دام لم يبق من أعمارهم سوى أربعة أشهر.

وقد توج هذا كله بمفاجأة سارة ومذهلة، حين اكتشف الدكتور (سامر) أن المذنب بدأ يغير اتجاهه وينحرف عن مساره المتوقع، وأنه لن يصطدم بالأرض وإنما بالقمر.

وأعاد حساباته أكثر من مئة مرة، فأكدت له هذه الحقيقة، كما أكدها له العلماء الذين اتصلوا به من القمر طالبين منه النجدة والمساعدة.

وهكذا وضع الكاتب نهاية مأساوية للأثرة والأنانية، عندما جعل المغادرين يهربون من قضاء الله فيقعون في قضائه، ويظنون أنهم ناجون من الهلاك فإذا هم في هلاك محتم، وهذا هوعقاب كل الأنانيين والانتهازيين الذين يؤثرون أنفسهم على كل ما عداهم.

وهكذا يختلف (خيال) الدكتور طالب عمران، وبالتالي فكره، عن خيال وفكر من سبقه من أدباء الخيال العلمي ممن كتب في الوصول إلى القمر، فإذا كان رائد أدب الخيال العلمي الانكليزي (هـ. ج. ويلز) قد جعل الكائنات القمرية تبدوذات شكل منفر منفوش كالأشواك، وقد اشتبكت مع رواد الفضاء الأرضيين في قتال عنيف، استطاع فيه رواد الفضاء الأرضيون قتل العديد من سكان القمر، فإن (خيال) الدكتور طالب عمران يبدوأكثر واقعية ومعقولية حين لا يجعل القمر آهلاً بالسكان، لمعرفته العلمية بواقعه، وحين يجعله غير صالح للحياة البشرية، ولهذا اضطر البشر الذين هاجروا

إليه من العيش داخل (كابينات) زجاجية واسعة يتوافر فيها كل ما تتطلبه حياة الكائن البشري من أكسجين ونور وغذاء، إضافة إلى أن خيال الدكتور عمران لم يذهب إلى الحرب والقتال بين الأرضيين والقمريين كما ذهب خيال الأدباء الغربيين الذين كانوا ينطلقون من واقعهم الاستعماري، ورغبتهم حتى في استعمار الكواكب الأخرى.

كما تجاوز الدكتور طالب عمران توفيق الحكيم الذي كان قد نشر مسرحيته (تقرير قمري) و(شاعر على القمر) عام ١٩٧٢ فجعل في الأولى الرائدين يهبطان على سطح القمر، فيثيران اهتمام سكانه الذين أرسلوا اثنين منهم إلى الأرض لمعرفة سكانها، وقد عاد القمريان بفكرة عظمى عن جشع سكان الأرض وأنانيتهم، وجعل، في الثانية، السكان القمريين كائنات خالدة لا تعرف الموت أو الميلاد، لأنها طاقات فكرية تتجدد من تلقاء نفسها، كالضوء والروح ... وهي تتألم من أجل سكان الأرض الذين يفتتون قمرهم الجميل بحروبهم، ويدمرون سلامه وأمنه.

وعلى الرغم من أن أول إنسانين هبطا على سطح القمر (هما الأمريكيان: أرمسترونج وألدرين) في عام (١٩٦٩)، فإنه يبدو أن (الحكيم) لم يعر هذه الإنجازات العلمية اهتماماً، فأصر على وجود سكان قمريين، وجعلهم أرواحاً خالدة، أو بالأحرى طاقات من النشاط والفكر.

وفي غزو الأرض لـ (المريخ) وضع الدكتور طالب عمران روايته (فضاء واسع كالحلم) (١٩٩٧) ومن المعلوم أن المريخ أقرب الكواكب إلى الأرض. وقد تم إرسال المركبتان السوفيتيتان (فايكنغ ١و٢) إليه في عام (١٩٧٢) فهبطتا على سطحه، ولكن إمكانياتهما في التصوير لم تستطع الكشف عن مناطق تبعد أكثر من مئة متر.

وفي العام نفسه اكتشفت المركبة الأمريكية (مارينر ٩) أن سطح المريخ يحتوي على بقع وخطوط ترتبط بالفوهات النيزكية، وأن غلافه الجوي يتكون من غاز الفحم وكميات أقل من الآزوت والآرغون وبقايا نادرة من الأوكسجين وبخار الماء. أما الماء فمستحيل الوجود على سطحه، لأن خفة الضغط تؤدي إلى غليان الماء وتبخره، كما أن كمية الأكسجين الموجودة لاتكفي لتنفس الكائن المماثل للكائنات الأرضية وندرة

الأوزون تترك للأشعة فوق البنفسجية حرية الوصول إلى سطحه. وقد أجرى علماء الأرض في مختبراتهم ظروف الأجواء المريخية، من أجل اكتشاف إمكانية الحياة على سطحه، فلم يصلوا إلى نتيجة مقنعة.

ولعل تركيب الغلاف الجوي للمريخ اليوم يشبه ما كان عليه غلاف الكرة الأرضية قبل ملايين السنين، حيث لم يكن -آنذاك- صالحاً للحياة النباتية أوالحيوانية، ولعل هذه المرحلة من تطوره تتيح المجال لنشوء أشكال دنيا من الكائنات الحية، وقد وضع العلماء هذه الأمور في اعتبارهم.

ولعل هذا ما جعل الدكتور طالب عمران يخمن بوجود حياة فوق سطح الكوكب الأحمر (المريخ) الذي قيل: إنه مر بمراحل تطور الأرض نفسها، ويبدوأن القرود التي أرسلت إليه قبل البشر، ورأت على سطحه كائنات غريبة تراقبها عن بعد، هي التي أكدت وجود حياة على سطحه، وجعلت علماء (مدينة العلوم العربية) يقررون إرسال مركبة فضائية إلى المريخ، تحمل رواد فضاء من البشر، بعد أن كانت قد أطلقت سفناً فضائية إلى الكواكب الأخرى، ودرست تأثير الفضاء الخارجي على الكائنات الأرضية، ولفتت انتباههم التغييرات الفيزيولوجية التي طرأت على القرود التي أرسلتها بداخلها، فقد ازدادت نسبة ذكائها خمسة أضعاف.

أما (مدينة العلوم العربية) فقد كانت كالحلم، فأصبحت حقيقة واقعة، وهي مدينة علمية مشيدة تحت أرض قاحلة في المحيط الهندي، على عمق عشرات الأمتار، يشرف عليها علماء عرب متفوقون، قدموا من أصقاع الدنيا، للإسهام في صنع حضارة حديثة تعيد لأمتهم مجدها الغابر.

وقد بدأت فكرة المدينة بالولادة حين اجتمع بعض العلماء العرب ممن يعملون في بلاد الغربة، حيث تتحكم فيهم الاحتكارات الأجنبية، ومنذ الشهر الأول أنشأوا محطات تشويش متطورة، لكي لا يكتشفهم أحد، وبنوا المدينة تحت أرض صخرية، وسقفوها بجدار من المعدن، ونجحوا في حمايتها من أجهزة التجسس وطائرات الاستطلاع والأقمار الصناعية.

وقد وصل (ماجد) إلى هذه المدينة العجيبة، ورضي بالعمل فيها. أما الذين يرفضون فيتركون في زوارق نجاة صغيرة، في طريق السفن، بعد أن يسدل علماء المدينة العربية على ذاكرتهم ستاراً من النسيان.

والمدينة مجهزة بكل وسائل البحث وبالمؤسسات العلمية، ففيها مدارس نموذجية، وجامعة تكنولوجية، ومعاهد علمية للبحث وحدائق ومختبرات للأبحاث، وهناك مضخات جبارة لضخ الهواء وتنقيته، ومحطات تستقبل ضوء الشمس وتعكسه ليصل سماء المدينة، للإنارة والدفء، والمدينة تحقق اكتفاءً ذاتياً في كل شيء.

ويبدوأن هذه (المدينة العلمية العربية) هي (حلم) الدكتور طالب عمران فقد جعلها (تيمة) في كثير من قصصه ورواياته، فقد ورد تصويرها أيضاً في روايته (العابرون خلف الشمس) (١٩٧٩)، وإذا كانت في رواية (فضاء واسع كالحلم) مشيدة تحت أرض قاحلة في المحيط الهندي، فإنها في رواية (العابرون.) مبنية تحت رمال الصحراء العربية.

وقد قرر علماء (المدينة العلمية العربية) إرسال مركبة فضائية إلى المريخ تحمل أربعة رواد هم (يمان) الذي كان قد حلق فوق المريخ، وعاد بعد أن قضى خمسة عشر شهراً في رحلته، و(نادية) أول رائدة فضاء هبطت على سطح القمر، وقد قضت عدة شهور في المجمع المداري، و(خلدون) المهندس الرئيسي في المجمع المداري حول الأرض، و(نادر زكي) عالم الفلك الذي كان في المجمع المداري حول الأرض.

ورغب (ماجد) المهندس الميكانيكي في أن يكون رائد فضاء احتياط في هذه السفينة، فأخذ موافقة مجلس المدينة العلمية، وخضع لتدريبات قاسية: جسمية ونفسية، وركوب طائرات ذوات سرعات فائقة، والتحليق على ارتفاعات هائلة، والهبوط بالمظلات، والخضوع لدرجات منخفضة من البرودة، وقياس التجاوب الذهني، ومتانة الأعصاب، والقيام بتمرينات رياضية شاقة لعدة ساعات في اليوم.

وفي ساعة الصفر انطلقت المركبة الفضائية (ابن النفيس ٣) وبداخلها رواد الفضاء الأربعة، بالإضافة إلى (ماجد)، باتجاه المريخ، عن طريق القمر، وحالما حلقت المركبة

فوق القمر، انفصلت عنها محطة صغيرة هبط بها ماجد ونادية في مهمة إلى المحطة القمرية الأوتوماتيكية التي تبث صوراً باستمرار إلى المحطة الفضائية الأرضية، وقد كان بها عطل بسيط أصلحته (نادية)، قبل أن تتجول وماجد على سطح القمر، حيث شاهدا معالمه: بحر العواصف، وفوهة كيبلر البركانية. والمشي على سطح القمر كالقفز بسبب ضعف جاذبيته الذي تبلغ سدس جاذبية الأرض، ثم عادا إلى محطتهما الصغيرة التي التحمت بعد ذلك بالمركبة التي ستتجه نحوالمريخ.

ازدادت سرعة المركبة فبلغت مئتي ألف كيلومتر في الثانية، وأسلموا قيادتها للعقل الإلكتروني الذي ما لبث أن أعلن إشارة الخطر عندما انفلتت السفينة بسرعة (٤٠٠ ألف كم / ثا) وكأنها خاضعة لجاذبية جسم مجهول، وشعر الرواد بصداع هائل يفلق الرأس وهم ينطلقون بهذه السرعة المخيفة.

دارت السفينة حول الكوكب اللامع قبل أن تهبط على سطحه بسلام، وبدا للرواد أن أرجلهم قد دقت بمسامير إلى أرضه، ولابد أن هذا الكوكب ضخم جداً كي يمتلك كل هذه الجاذبية القوية.

انفتح باب المركبة فاندفعوا للهبوط بتأثير قوى مجهولة. سمعوا همساً بكلمات غير مفهومة، مالبثت أن تحولت إلى جمل عربية وصلت إلى أسماعهم وسط استغرابهم الشديد، وبدأ حوار كائنات الكواكب المجهولة معهم:

-أهلاً بكم فوق الكوكب اللامع، نحن من سكان الكوكب، نختلف عنكم فيزيولوجياً، لذلك لن ترونا الآن.

كانت الكائنات غير المرئية تخاطبهم، وتقودهم إلى أعماق الكوكب، لتريهم حضارة الكوكب العلمية المتطورة، حيث يزين سماءه قمر يدور حوله مرة واحدة في اليوم، وإن عدد سكان كائنات هذا الكوكب ستة مليارات، وهم مقسمون إلى فئات علمية، مهمتها البحث في اتجاهات المعرفة المختلفة، وعبر شاشات التلفزة شاهدوا تاريخ الكوكب ومعالمه الحضارية. عادوا بهم إلى ملايين السنين، حيث كانت كائنات

الكوكب تتقاتل. أروهم كيف كافحوا طويلاً لإيجاد نظام متطور نبذوا فيه البغضاء والأنانية، فكونوا مجتمعات تعاونية اندمجت، بمرور الزمن، في مجتمع واحد، طوروا فيه الطموحات حتى توصلوا إلى صنع الأجهزة المتفوقة وغزوأعماق الفضاء.

وعلى الرغم من أن أشكالهم كانت قريبة من أشكال البشر، فإنهم تخلوا، فيما بعد عن أشكالهم المادية، فتلاشى التكوين المادي لأجسامهم، و لم تبق سوى طاقات مكثفة أفرغوها في المدخرات، وهم يفهمون كل لغات الكون، ويتخاطبون فيما بينهم بلغة الموسيقى، وقد أنهوا النزاع بين سكان الكواكب التي تدور حول شمسهم، وتكاثروا فيما بينهم بالحب والتعاون الجماعي، و لم يكن على كوكبهم ما يسمى بمساكن أوأسر أوعائلات أوبلدان ذات حدود. وتشغل اهتمامهم سيطرة الرياضيات السماوية التي تدرس النجوم وأعمارها ومستقبل المواد التي تكونها، فأصبحوا يعرفون ما سيحدث بعد آلاف السنين، بفضل قوانين الاحتمالات الفائقة الدقة.

وقد نشرت كائنات الكوكب اللامع هواء غنياً بالأوكسيجين، وصنعت أجهزة لامتصاص الإشعاعات، فشعر رواد الفضاء الأرضيون بالراحة والانتعاش والقوة فخلعوا كماماتهم.

كما قربت كائنات الكوكب اللامع صورتها إلى رواد الفضاء الأرضيين، فتمثل لهم بعضها بشراً يشبهونهم ويشكلون نسخاً ثانية عنهم، وهم يرحبون بهم بلغة عربية فصيحة قائلين:

-أهلاً بضيوفنا.

ثم قادهم الدليل تارا (الذي يعني بلغتهم حامل الحكمة) ليريهم معالم حضارة كوكبه قائلاً لهم: "إن أجهزة حضارتنا قد كشفت الحضارة الفيزيولوجية الأرضية، وتعرفت على كوكب الأرض الذي يبعد خمس سنوات ضوئية (يقطع الضوء مسافة ٣٠٠ ألف كم/ثا).

وقد استغرب الرواد الأرضيون كيف تحملت سفينتهم الفضائية هذه السرعة الهائلة التي كانوا فيها خاضعين لجاذبية الكوكب، ثم تبينوا السبب فإذا هومجال الطاقة المكثفة

الذي صنعته كائنات الكوكب حول سفينة الفضاء، فمنع عنها التأثر بالسرعات الهائلة التي زادت على سرعة الضوء.

وقد رغبت منهم كائنات الكوكب اللامع البقاء فيه، فاستصعبوا ذلك بسبب كونهم مواداً مقيدة بعالم محدود، ثم اختاروا البقاء لا حباً بالخلود، بل شغفاً بالمعرفة، ما عدا ماجداً الذي حاول (تارا) إقناعه بالبقاء، قائلاً إنه بعد عودته سيرى زوجته وقد كبرت ثلاثين عاماً، وابنته وقد أصبحت شابة وربما تزوجت، وأن هذا سيكون قاسياً عليه. لكن (ماجد) لم يقتنع، ورغب في العودة إلى الأرض وحده، فرافقه في رحلة العودة إلى الأرض والتي لم تستغرق طويلاً، لأن سرعة المركبة كانت قد تجاوزت سرعة الضوء.

وعندما هبطت المركبة في (المدينة العلمية العربية) التي أصبحت تابعة (للوطن العربي الموحد) كان قد مضى على مغادرتها وعودتها ثلاثون سنة أرضية.

ويحدد الكاتب تحقيق حلم آخر هو"توحيد" الأمة العربية في منتصف ستينات القرن الحادي والعشرين، فهل يمكن تحقيق هذا الحلم بهذه السرعة، دون مقاومة من (العم سام أو(الأم) الأوربية الحنون؟.

عاد "ماجد" إلى مدينته، فلم يعرفه صديقه أحمد الذي كبر ثلاثين عاماً، بينما لم يكبر ماجد سوى شهر واحد، بسبب سرعة الزمن على الكرة الأرضية وبطئه في السرعات الهائلة، كما لم تعرفه زوجته التي أصبحت جدة، وابنته التي أصبحت تكبره في العمر، ولم يعد ثمة فارق في السن بينه وبين أكبر أطفاله، وهكذا يبدوالزمن أكبر عدوللإنسان، وأكبر سارق للسعادة.

وعندها قصد (ماجد) مجلس المدينة، وحكى لهم ما حدث له، وكيف وصلت بعثته إلى الكوكب اللامع، وظل أفراد طاقمها في الكوكب اللامع المتطور، وكيف لم يستطع أن يعلن عن نفسه لأسرته وذويه، فقرر المجلس عدم عودة ماجد إلى أسرته، لأن ذلك سيكون وبالاً عليها.

وعلى الرغم من أن (ماجد) قد عرف أحمد بنفسه، وعرف ابنته بنفسه، فإنهما لم يقتنعا كثيراً، وحذراه من أن يعلن هذه الحقيقة لزوجته، لأن الخبر سيكون صاعقاً

عليها، فلم يجد أمامه سوى العودة إلى الكوكب اللامع مع صديقه (تارا)، ليتحول في المستقبل إلى طاقة تتلاشى في كوكب آخر.

وهذا بالطبع خلاف ما أظهره كتاب أدب الخيال العلمي الغربي الذين جعلوا لقاء الرواد الأرضيين بكائنات العوالم الأخرى صدامياً، فـ (براد بوري) مثلاً جعل المريخيين كواسر، بأسنان من فولاذ. و(فارمر) يصورهم كالتنانين أوالساتيريين، أين منهم هذه (الطاقات) العلمية التي يصورها طالب عمران محبة للعلم والخير والسلام.

وفي روايته (العابرون خلف الشمس) (١٩٧٩) يرسل الدكتور طالب عمران مركبة فضائية أخرى إلى المريخ، ولكنها تضل طريقها. ويحكي فيها قصة طيار تتعرض طائرته لزوبعة مغناطيسية فوق رمال الصحراء، فيتعطل محركها، ويسقط على الأرض مغشياً عليه، وعندما يستيقظ يجد نفسه في مشفى (مدينة علمية عربية) شيدت تحت رمال الصحراء، يشرف عليها علماء عرب متفوقون، قدموا من جميع الأرجاء، ليسهموا في صنع حضارة حديثة تعيد لأمتهم العربية مجدها الغابر. وقد بنومختبراتهم هذه تحت الأرض، وأثاروا الزوابع المغناطيسية كي لا تتمكن أجهزة التجسس أوطائرات الاستطلاع من كشفهم. وقد وقع الطيارون في مطبات هذه الزوابع وأجريت عليهم الدراسات في حالة فقدانهم الوعي، فمن وجدوا لديه الاستعداد للعمل معهم تركوه بينهم، ومن راوغ ومكر وضعوه على أطراف الصحراء، قرب مدينة، وأسدلوا على ذاكرته النسيان.

وقد توصلوا، في تجاربهم إلى إرسال مركبة فضائية، وبداخلها قرد، استطاعت أن تهبط على المريخ، وأن تعود إلى الأرض، فدرسوا التغيرات الفيزيولوجية التي طرأت على تفكير القرد، ووجدوا ذكاءه ازداد خمسة أضعاف ما كان عليه. وقد ظل فترة طويلة، بعد عودته يقوم بحركات غريبة، ويقلد أصوات ذبذبات إلكترونية، ويرسم خطوطاً عجيبة تدل على تصورات مذهلة حملتها ذاكرته.

فأعدوا مركبة جديدة اسمها (ابن حيّان)، بداخلها عدد من رواد الفضاء. انطلقت إلى محطة القمر، حيث تزودت بالوقود، ثم واصلت رحلتها إلى المريخ، بتوجيه من

المحطة الأرضية. ولكنها تدخل في مذنب شديد الضخامة والاتساع، فتنهال عليها النيازك والأتربة المعدنية كالرصاص، ويتعطل جهاز الاتصال بالأرض، وتنفلت المركبة خارج المجموعة الشمسية بسرعة هائلة وكأنما هي خاضعة لجاذبية نجم هائل.

وأخيراً حطت المركبة على سطح كوكب فوسفوري، كان يبدو شديد التألق واللمعان. وحين هبط الرواد على أرضه التصقت أقدامهم بها، بسبب شدة جاذبيته، فلم يستطيعوا الحركة وأحاطت بهم مخلوقاته التي تختلف عن سكان الأرض في مواصفاتها الفيزيولوجية، فهي ترى الرواد، دون أن يراها الرواد، وتتعرف لغة الأرضيين من أذهانهم.

أما الحياة على هذا الكوكب (الفوسفوري) فغاية في الدقة والإحكام، حيث يعيش فوقه مئة مليار كائن. وليس له حكام أوولايات، وإنما تنقسم الكائنات فيه إلى فئات علمية، مهمتها البحث في اتجاهات العلوم المختلفة، وهم لا يسكنون بيوتاً، وليس لديهم أسر أوعائلات، لأنهم بلا فناء. ويتخاطبون بلغة الرموز والأرقام والرياضيات. ويدرسون حياة النجوم وأعمارها ومستقبلها، ويعلمون ما سيحدث بعد آلاف السنين، بفضل قوانين الاحتمالات الفائقة الدقة.

وأما تاريخ هذا الكوكب فيعود إلى ملايين السنين الفوسفورية، حيث كانت تتقاتل الكائنات المادية فيما بينها. ولكنها استطاعت، بعد ذلك أن تخلق لنفسها نظاماً معيناً، تنبذ فيه الحقد والبغضاء، في مجتمع واحد متماثل. وطورت طموحاتها، واهتمت بالموسيقا والرياضيات والحب، واستطاعت أن تلاشي تكوينها المادي، حيث لم يبق منها سوى طاقات خلاقة مبدعة غزت الفضاء وأنهت النزاع بين سكان كواكب (الشمس) الفوسفورية...

وقد رغبت هذه الكائنات اللامادية أن يبقى طاقم المركبة عندها، أما الطاقم فيرغب في العودة إلى الأرض، ولكن الأرض تبعد أكثر من عشر سنوات ضوئية، فكيف تمكن العودة؟.

إن البقاء على هذا الكوكب سيجعلهم، بعد زمن، كائنات غير مادية، وسيفقدون أجسامهم، وربما أتيحت لهم العودة إلى كوكبهم الأرضي بعد ألف سنة مثلاً. ولكن ما الفائدة؟ وهل سيجدون من تركوهم على الأرض على حالهم.

ويختار قائد الرحلة البقاء على هذا الكوكب، والخلود، شغفاً بالمعرفة. أما (البطل) فيرفض الخلود، أملاً في العودة إلى زوجته وطفلته اللتين تركهما على الأرض تنتظران عودته. ولقد وصلت كائنات الكوكب الفوسفوري إلى قمة الحضارة بفضل الروح الجماعية لديها، وتخلصها من الميول الفردية التي كانت سائدة في العهود البعيدة، فلفظت الحقد والأثرة والكراهية، وعاشت أسرة واحدة متحابة ومتعاونة غايتها العلم والمحبة، واستطاعت بقدراتها الفذة أن تصل إلى المجرات البعيدة.

ومع ذلك فإن طاقم الرحلة يرفض الخلود، ويرغب في العودة إلى الأرض. وقد نظمت لهم هذه الكائنات الشفافة رحلة العودة، بتقنياتها المتطورة. وحين تحط مركبة الفضاء، بطاقمها على الأرض، يكون قد مضى على رحلتها أسبوعان، حسب الزمن الكوني، وعشر سنوات حسب الزمن الأرضي.

عاد طاقم الرحلة إلى كوكبه الأرضي، بعد أن عذبه الشوق والحنين طويلاً، ولكنه فوجئ بما رأى: جبال فتحتها أنفاق الانفجارات، غابات احترقت وتشوهت، مدن مسحت عن وجه الأرض، أشلاء مخلوقات تتحرك، حيوانات مشوهة تتبعثر، الذعر في كل العيون، والذهول على كل الوجوه، والحرب الذرية دمرت كل شيء.

لقد تبخرت الأحلام الوردية التي عاش عليها طاقم المركبة: أين الزوجة التي تنتظر عودة زوجها الغائب؟ وأين الابنة التي تنتظر عودة أبيها المسافر؟ وأين الأهل والجيران والأصحاب؟. لقد دمرت الأحقاد والمطامع كل شيء.

ومن الواضح أن الروايتين: فضاء واسع كالحلم، والعابرون خلف الشمس، تتشابهان حتى لتكادا تتطابقان. فكلتاها تنطلقان من (مدينة علمية عربية) شيدت سراً تحت الرمال، بعيداً عن عيون الفضوليين، وكلتاهما أطلقت مركبة فضائية، باتجاه

(المريخ) من صنع العلماء العرب، تحملان اسميّ عالمين عربيين: ابن النفيس وابن حيان. وكلتاهما لا تحطان على كوكب المريخ، وإنما تجذبهما جاذبية كوكب آخر: اللامع في الأولى، والكوكب الفورسفوري في الرواية الثانية.

وكائنات هذين الكوكبين، في الروايتين، كائنات غير مرئية، آمنت بالعلم والسلام بين الكواكب، وعملت من أجل ذلك. وهي خالدة ما دامت قد تحولت إلى طاقات، وقد رغبت من الرواد الأرضيين البقاء، فآثر بعضهم ذلك، ورغب الآخرون في العودة. إلا أن العودة كانت مؤلمة بالنسبة للعائدين: فماجد في الرواية الأولى يفاجأ بالفارق الكبير بين عمره وعمر زوجته وابنته، ويكظم الحقيقة في نفسه، ثم يختار العودة إلى الكوكب اللامع مع صديقه (تارا)، و(بطل) الرواية الثانية يجد الحرب الذرية فتكت بسكان الأرض وأحالت الحياة البشرية إلى مآس، والأرض إلى خراب، دمرتها الأحقاد والمطامع البشرية، وأخفق في العثور على زوجته وابنته.

وهكذا يعطينا عمران درساً، من خلال شكل روائي فني، في ضرورة التعاون والمحبة، حين يقارن بين مجتمعين: المجتمع الأرضي الذي قادته أنانيته إلى الدمار، ومجتمع الكوكب اللامع أوالفوسفوري الذي يعيش حياة الحب والعلم والتعاون والنظام، في خلود دائم.

ثم يتابع الدكتور طالب عمران إرسال السفن الفضائية إلى الكواكب، فيختار هذه المرة كوكب (ريموس) في قصته (النداء الأزلي)[٢] حيث حطت سفينة الفضاء المجهزة بأحدث العقول الإلكترونية فوق سطحه الأجرد الذي يحوي نسبة من الأوكسجين أقل مما يحويه جوالأرض.

وصلت إلى أسماع رواد الفضاء أنغام موسيقية، وشعروا بأن هناك مَنْ يقودهم، فانساقوا طائعين دون إرادة، تتقدمهم (ديما) التي تبحث عن زوجها رائد الفضاء الأرضي الذي تعرفت عليه في (أكاديمية علوم الفضاء) في كوكب الأرض عام ٢٠٧٥م، حيث كان يحاضر في المجموعات النجمية، فشدها حديثه، وألهبت كلماته مشاعرها، وهي تنتقل عبر الكون اللانهائي. باحت له بحبها، فتلقفتها يداه بحنان،

(٢) في مجموعته القصصية: مساحات للظلمة ١٩٩٢ .

وأحست أنها تطير كفراشة وسط مروج مليئة بالأزهار. بدأت تبكي حباً وفرحاً وهـي تسمع عبارات الغـزل منـه، والـتي لم تكـن موجـودة في قواميـس اللغـة، وكـان زواجـاً ناجحاً.

وصلت شجرة انحنت لها، فظهرت من تحتها فتحة مربعـة الشـكل، تفضـي إلى درج مضيء، يصل إلى نفق تشع جدرانه بضوء أحمر باهت.

اقترب منها كائن عريض ذوأطراف عديدة، تعلوه قبعة صغيرة تهتز في أعلاها قرون استشعار، مرحباً:

-أهلاً بزائرتنا، كوكب ريموس يرحب بك.

وفتح باب في الجدار، فوجدت نفسها في قاعة فسيحة، في صدرهـا كرسـي مرتفـع يجلس عليه كائن يشبه الكائن الذي استقبلها. وحوله كائنات أخرى ترتـدي ثيابـاً مـن أعشاب، فبادرت:

-جئت من كوكب الأرض أنشدكم العون في البحث عن حطام سفينة سـقطت قبل مدة فوق كوكبكم دون أن نتمكن من معرفة مصير ملاحيها.

أخبرها الكائن أن سفينة فضائية من كوكب الأرض قدمت إليهم قبل أعوام، فاقتتل ملاحوها بعـد وفـاة رئيـس البعثـة في حـادث مشـبوه، فـأدى ذلـك إلى أضـرار لحقـت بكوكـب (ريمـوس)، ممـا جعـل كائناتـه ترسـلهم في سـفينة إلى كوكـب بعيـد كـي لا يتمكنوا من إلحاق الأذى بأحد، وأخبرها أن زوجها نفته جماعتهـا الأرضيـة بعيـداً عـن المجموعة الشمسية في مركبة فضائية تتجه الآن نحوالشعرى اليمانية بسرعة خارقة، وقـد أبعدوه لأنه وحده الذي يعرف سر الاختراع الكبير الـذي صممـه في تسـيير المركبـات الفضائية التي تتزود بالطاقة من الأضواء الخافتة للنجوم.

وقد اسـتطاعت رائـدة الفضـاء الأرضـي (ديمـا) أخـيراً الوصـول إلى زوجهـا الـذي ساعدتها في إنقاذه كائنات كوكب (ريموس).

إن قضيتين هامتين تشغلان فكر الدكتور طالب عمران، وبالتالي خياله العلمي الذي يبحث لهما عن حل هو(حلم) في يومنا هذا، هما: هذه المركبات الفضائية التي تغزوالكواكب وما ينبغي أن تتوافر لها من تقنيات علمية تختصر المسافات الكبيرة بسرعات هائلة، وهذه الحضارات الكونية في الكواكب المعمورة.

أما سفن الفضاء فأحد الأهداف المتوخاة منها أن تكون عالماً ذا اكتفاء ذاتي يوفر لسكانه الطعام. وقد كان طعام رواد الفضاء أقراصاً مضغوطة يكفي الواحد منها وجبة كاملة، أومعاجين، ويسترد الماء من مخلفات الأجسام، ويتكرر تجديد هوائه بتنقيته من النشادر الذي يتسرب إليه من البول ... ففي هذا العالم المغلق تماماً المعتمد كلياً على ذاته في تجديد حياته، يصبح الإنسان جزءاً من عملية ميكروبيئية مستمرة تدور في الفضاء اللانهائي.

وأما السفينة ذاتها فينبغي أن تتوافر لها العقول الإلكترونية التي تقود السفينة، وتصلح الأخطاء، وتنبه إلى الأخطار ... والوقود اللازم لقطع هذه المسافات الكبيرة، وقد اقترحت له عدة حلول: الطاقة الذرية، وأخذ الطاقة من النجم الوالد، أومن الشمس، أومن النجوم المرئية. وكلها ما تزال (خيالاً علمياً). والتصفيح الذي يجعل معدن المركبة لا ينصهر في مثل هذه السرعات الهائلة.

وأما الحضارات الكونية، التي يطلع عليها رواد الفضاء الأرضيون، فكلها أكثر تطوراً ورقياً من الحضارة الأرضية. وكلها تعمل من أجل العلم والعقل والسلام كي تعم هذه الأقانيم الثلاثة أرجاء الكون كله.

يؤكد هذا قصته (كويكب أورروس)[٣] حيث ينطلق فيها العالم الفلكي (همام) المكلف بدراسة الأجرام السماوية بين المريخ والمشتري، برفقة (لينا) عالمة الأحياء والكائنات الغريبة، و(نادر) عالم التقنيات والعقول الإلكترونية.

وتنطلق السفينة من مدارها حول الأرض باتجاه القمر، حيث ستهبط بمحطة قمرية لإصلاح خلل طرأ على العقل الإلكتروني في المدينة العلمية (دلتا)، ثم تتابع خط سيرها المقرر لدراسة الكويكبات الموزعة بين المشتري والمريخ.

---

(٣) في مجموعته القصصية: شحنة الدماغ ١٩٩٦

فيعترضها الكوكب (أوروس) الذي يدور حول نفسه كل ٦ ساعات (أي أن يومه يعادل ٦ ساعات)، ويدور حول الشمس كل سنة وتسعة أشهر (أي أن سنته كذلك) فيصبح موضوع الدرس، وإنه جرم صخري ميت، لا يوجد فوقه غلاف جوي، وبالتالي فلا حياة فيه، ومن الممكن استخدامه من قبل كائنات عاقلة كمحطات استراحة خلال الرحلة الفضائية الطويلة، لأن مساره يتداخل مع مساري الأرض والمريخ أحياناً.

ولكن نبضات موجية ونشاطاً إشعاعياً قوياً ينبعث من سطحه. ويتمكن المنظار اللايزري من كشفه، والذاكرة المركزية في العقل الإلكتروني من ترجمته، فإذا هو نداء استغاثة.

هبط همام ولينا بمحطتهما الصغيرة على سطح الكويكب. ثم امتطيا عربة طائرة للاقتراب من البقعة الحمراء لمعرفة نداءات الاستغاثة المنبعثة منها، ولكنهما تعرضا لموجات إشعاعية عنيفة، فأحسا بصداع رهيب، وأعملا الجهاز الواقي من الإشعاعات، واخترقاها إلى البقعة الحمراء، فإذا هي مكعب معدني هائل الحجم ينشر حوله الدخان الأحمر، وقد ترجم العقل الإلكتروني هذه الاستغاثات فإذا هي:

-أهلاً بالإخوة في العقل، ننتظركم منذ وقت طويل.

دخلت العربة الطائرة المكعب الغريب، ثم ولجت ممرّاً، فانبعث منه صوت يحذرهما:

-الجوملوث بالغازات السامة لا تخلعا خوذتيكما. اصعدا الدرجات على اليمين وافتحا الباب.

فعلا ما أمرا به، فإذا شيخ طاعن في السن، يجلس على كرسي، يستقبلهما، مرحباً بلغة عربية:

-أهلاً بكما. منذ زمن بعيد وأنا أنتظر زيارة كائنات عاقلة لتنقذ ما بقي من حضارتنا المندثرة، نحن كائنات الكوكب الخامس، الذي كان موجوداً بين كوكبي المشتري والمريخ، لقد انفجر منذ سنوات طويلة، وأنا أنتظركم لأسلمكم الأمانة التي

أحتفظ بها بملفات وأشرطة مبرمجة على عقول الكترونية متفوقة، يمكن معرفة محتواها بعد ترجمتها بوساطة العقل الإلكتروني..

لقد تطورت الحضارة (الأوروسية) حتى أصبحت التقنية فيها كل شيء، ولكن دبت الخلافات فيها، فأصبحت أقاليم ودويلات، وتفشت الأنانية بينها ففجرت أسلحتها التدميرية ضد بعضها، حتى تم تدمير الكوكب بالقنابل الذرية المضاعفة، و لم يبق منه سوى هذا الشيخ، الكائن الوحيد الشاهد على تفوقها واندثارها، يسلم ما تبقى من آثارها الحضارية لمخلوقات الحضارة الأرضية، قبل أن يضمحل جسمه ويتلاشى، بعد أن سلم الأمانة.

هذه هي قصة الحضارة على كويكب (أوروس) الذي يدور حول الشمس، ليس وحده، وإنما هناك أيضاً كويكبات مثيلة له تدور حول الشمس مثل (سيريس) الذي يدور حول الشمس كل (٦٠٠) يوم، و(هيدالكو) الذي يدور حول الشمس كل (١٣) سنة و(٨) أشهر، و(أنوميا) الذي يدور حول نفسه كل (٣) ساعات، و(سيرمنا) الذي يدور حول نفسه كل (٩) ساعات و(٤٠) دقيقة، و(بالاس)، و(فستا) ...إلخ.

وفي قصته (كوكب الأحلام)[٤] يجعل د. طالب عمران سفينة الفضاء العربية (ابن رشد) تحط فوق الكوكب (المارد) في (سديم المرأة المسلسلة). ويهبط منها رجال الفضاء: ماجد، ووالده، وداليا، ورؤيا، و لم يكن ماجد قد رأى كوكب الأرض، وإنما كان يسمع عنه من والده الذي كان يحدثه عنه. وقد ولدته أمه في إحدى سفن الأبحاث، وهي تتجه إلى (سديم المرأة المسلسلة) قبل سنين عديدة، أما والده فيبلغ عمره تسعين سنة فضائية، والسنة الفضائية تعادل مئات السنين الأرضية.

نزل ماجد وداليا ورؤيا إلى دغل قريب، فسمعوا أصواتاً موسيقية عذبة تناديهم بأسمائهم، تنبعث من الأزهار الجميلة التي تغني، فتصيب المرء بغيبوبة تفقده عقله، إذا استمع إليها، ونظر إلى جمالها، وقد كانوا يعلمون هذه الحقيقة، ولكن (داليا) رغبت في قطف زهرة جميلة، لأخذها عينة إلى مخابر التحليل، فسقطت مغمى عليها.

---

(٤) في مجموعته القصصية: كوكب الأحلام ١٩٧٥

وفي قسم التلفزة الصناعية في المحطة بدأ كبير علماء الفيزياء عمله من أجل رؤية العالم العجيب الحالم الذي بدأت تسرح فيه (داليا) وهي غائبة عن الوعي، وتسجيل ذلك الحلم على شاشة التلفزة المضاعفة التي تترجم تفاعلات المخ إلى صور سينمائية مجسدة. وقد شاهد الجميع على الشاشة كائناً ضخماً يعاقبها، لأنها لم تحترم التقاليد التي تنص على عدم التدخل في شؤون الكوكب، وعلى تبادل الخبرات والمساعدات في القضاء على الجراثيم الكونية، وعلى نشر المحبة والسلام بين سكان الكواكب.

وفي صباح اليوم التالي تركت البعثة العلمية الأرضية بعض النماذج المتقنة الصنع، لهياكل أرضية، وبعض الأجهزة التكنولوجية المتطورة، هدية لسكان الكوكب (المارد). وشقّت سفينتها عباب الفضاء، متجهة إلى كوكب جديد ومغامرة جديدة.

إن عمران يرغب في أن تعم الكون لا العالم فحسب، قيمتان أساسيتان هما: العلم والسلام، وهويرى أنه لن يكون هنالك سلام دون توجيه العلم الوجهة الإيجابية التي ينبغي أن يوجه إليها. وهي الارتقاء بمستوى البشر، والتعمق في الأبحاث العلمية والفلكية التي تجعلهم يطلعون على حضارات كواكب أخرى، ويتواصلون معها، بما يخدم البشرية. ومن هنا جاء تأكيده على تثبيت قيم المحبة والخير والعدل، ورغبته في أن تعم هذه القيم الكون بأسره.

في قصته (سفينة الفضاء غاما) يتجه المهندس الفلكي ماجد بسفينته الفضائية إلى كوكب (زحل) للتعرف على جوه وطبيعته وتكوينه.

ولكن السفينة تحط على سطح (ميماس) أقرب أقمار زحل إليه، بعد أن خضعت لقوة جذب تحريضية، وضعها سكان ذلك الكوكب حوله، لحمايته من أخطار الكواكب الأخرى.

واستضافتهم الهيئة العليا للبحث في التابع (ميماس)، وتجولت بهم في مركبة صغيرة، ذات نوافذ زجاجية، ليتعرفوا على حضارة الجرم السماوي وتطوره العلمي، ما دام هدفهم علمياً، وليس عدوانياً.

ولكن أصدقاء ماجد ظنوا أنه خضع لكائنات التابع (ميماس). ولذلك قرروا الهرب، دونه لكيلا تستخدمهم الكائنات العاقلة في هذا الكوكب، كعينات في مختبراتها البيولوجية، للتعرف على عضوية الجسم البشري، وطريقة عمل خلاياه الدماغية. وهربوا بالفعل، بسفينتهم الفضائية، غير عابئين بتحذيرات هيئة البحث في (ميماس)، بأنهم يتجهون في اندفاعهم خارج المجموعة الشمسية، مما بذر الخلاف بينهم، وجعل أحدهم يهدد الآخرين بمسدسه اللايزري. وتقترب سفينتهم من الكوكب (نبتون) الخافت الضوء، ثم تصطدم بسطحه، محدثة انفجاراً هائلاً، واضعة -بذلك- عقاباً قاسياً للخيانة وعدم الالتزام العلمي.

وفي قصته (ذلك الثقب الأسود)[٥] يعتمد د. عمران فرضية علمية قالها علماء الفلك في الثلاثينيات من القرن العشرين، وهي أن النجوم القديمة إذا تلاشت فإنها تمتلك قوة امتصاص هائلة تجعلها تمتص كل ما يقترب منها، فإذا مرت نجمة ضمن هذه الدائرة امتصها الثقب الأسود، ونتجت عن ذلك أمواج هائلة من الأشعة السينية.

فيدفع بالمركبة الفضائية (ميدور) إلى الإقلاع باتجاه الثقب الأسود، عام (٢٢٠٠م)، في رحلة كشف علمية، وعلى متنها مجموعة من الرواد من مختلف الاختصاصات، وقد توزع كل منهم خلف الجهاز الذي اختص به.

وقد استقبل العقل الإلكتروني في المركبة رسائل موجهة، قام بتحليلها، فإذا هي: (هنا مركز الأبحاث الفضائية للكوكب (زيتا)، أنتم تقتربون منا، نرجوأن تعرفونا بوجهتكم).

فأجابه العقل الإلكتروني: (إننا نتجه صوب مجموعة (الحزام البرتقالي) للاكتشاف. نحن في مهمة علمية).

بيد أن قوة هائلة اجتذبت السفينة الفضائية، وعندما تعرفوا عليها، إذا هي محطة ضخمة تابعة لجرم سماوي جذبتهم إليها، قبل أن يجذبهم الثقب الأسود. وفي هذه المحطة رأوا التقدم العلمي المنشود الذي يبحث هوأيضاً في ماهية (الثقب الأسود) المخيف.

والكوكب (زيتا) يبلغ حجمه ضعف حجم الأرض، وهويدور حول نجمة ميتة أكبر من الشمس بمرة ونصف. وهوفي مركز المجرة، ولذلك كانت حضارته متطورة وسباقة

---

(٥) في مجموعته القصصية: شحنة الدماغ ١٩٩٦ .

في التعرف على الحضارات المجاورة. وكانت أشكال كائناته غريبة: "رأس مفلطح كبير، عينان واسعتان، أذنان كبيرتان منتصبتان. رأس خال من الشعر، رقبة طويلة، وجسم طويل نحيل، بأيد كثيرة". وتصحبهم هذه الكائنات لتريهم أقسام المحطة: فهذا قسم حيوانات التجارب، وفيه عينات من الكائنات الحية، من أغلب الكواكب التي زارتها بعثاتهم الاستكشافية، يجرون عليها التجارب لتحسين أنواعها، بالتهجين، ومعرفة طرق القضاء على الأنواع المؤذية منها، وذاك قسم البث والاتصالات يربطهم بكل العوالم حولهم، وينقل الرسائل بواسطة الليزر، وذلك قسم دراسة الثقب الأسود الذي بإمكانه ابتلاع نجوم حجمها أكبر سبع مرات من حجم الشمس، ولكنه ينبذ كل كائن حي، فلا يبتلعه.

ويتفق الطرفان: المركبة الأرضية، ومحطة كوكب (زيتا)، على إرسال مركبة إلى داخل الثقب الأسود، وبداخلها (أحمد) من المركبة الأرضية، و(روني) من محطة الكوكب (زيتا)، ليبتلعها الثقب الأسود الذي ما يلبث أن ينبذها، بعد أن يحول الرائدين إلى شعاع يسطع ثم يختفي، فقد عادت روح الرائد دون جسده، مجرد ذبذبات موجية، وطيف دون جسم. والغريب أن زوجته (ناديا) تحولت هي الأخرى إلى روح دون جسد، رغم أنها لم تغامر بالولوج في الثقب الأسود الذي يبعد عن الأرض حوالي (٥٠٠) سنة ضوئية.

إن حلم الاتصال بحضارات الكواكب الأخرى، والتعاون معها في سبيل اكتشاف الفضاء، وعقد صداقات مع كائنات العوالم الأخرى هوما يؤكده الدكتور عمران في معظم قصصه العلمية، فهويرغب في نشر قيم الحق والخير والعدل ليس بين البشر فحسب، بل وبين سكان العوالم الأخرى، مما يجعل أدبه العلمي ذا رسالة حضارية سامية. وعلى الخصوص عندما يجعل العلم والعقل والسلام محاور أساسية في أدبه.

كما وضع د. عمران قصصاً لم يسمّ فيها الكوكب الهدف، مكتفياً بتصوير التقدم الحضاري الذي بلغته كائنات هذه الكواكب، ففي روايته (خلف حاجز الزمن) (١٩٨٥) يصور عمران سفينة فضاء أرضية تحط، بعد رحلة طويلة فوق كوكب شبيه بالأرض. ويبدأ رجل الفضاء المكلف بمهمة دراسة الكوكب بتجهيز نفسه، ولباسه

الفضائي، وأدواته الإلكترونية المتفوقة. ثم يجلس بين الأشجار الغريبة في هذا الكوكب، يتفحصها بمنظاره اللايزري: طالعته حيوانات صغيرة تتحرك على أغصانها، وطيور كبيرة الحجم تحمل في أرجلها مقاعد تجلس فيها كائنات قريبة من البشر في شكلها.

بدا له الكوكب مسكوناً بكائنات عاقلة، تستخدم طيوراً جارحة في تنقلها، والحضارة المتطورة التي تستوطن على سطح هذا الكوكب تنتشر في أمكنة ظاهرة للعيان، تراقب المحطة الفضائية. أما أجواء الكوكب فمليئة بالأمواج المختلفة التي تبثها محطات خارقة القوة مجهولة المصدر.

أحس بحركة خلفه، فالتفت ليجد خمسة كائنات تخاطبه بلغته العربية مرحبة به، ومطمئنة إياه، وطالبة منه أن يزيح غطاء الرأس الواقي، ليتنفس من جوالكوكب المليء بالأوكسجين. وأكملت الفتاة وكأنها قرأت أفكاره: "يوجد القليل من غاز (السيانيد)، لكن تأثيره ليس خطراً، لأننا نشرنا في الجوغازاً خاصاً يحد من خطورته".

رافق الكائنات إلى محطتها الفضائية الصغيرة التي طارت بها، بسرعة خيالية، إلى مدينتها العلمية التي بنيت فوق أقرب توابع الكوكب. حدثته الفتاة عن كوكبهم قبل آلاف السنين، حين كانت تسيطر عليه طغمة شريرة، انفردت بثرواته، واستعبدت أبناءه، حتى نشبت ثورة أطاحت بذوي القصور والمعابد، ونشأ مجتمع جديد، يقوم على المحبة والعمل، كل في مجال اختصاصه. رأى العمال يعيشون في (فيلات) صغيرة محاطة بالحدائق الجميلة، وحيوانات مدجنة نزعوا منها غريزة العدوان، وطيوراً جارحة طوروا حاسة الإنذار لديها فأصبحت شديدة الحساسية تجاه المؤثرات الخارجية، واستعملوها للرصد، في تنقلاتهم. شاهد أبنية تجرى فيها التجارب على تحول المادة إلى طاقة ضوئية، وجدهم وقد حللوا تكوينه العضوي، وتفكيره، وتصوراته، ومكتسباته العلمية.

أما الموت فإنهم لا يعرفونه. فما دام الكائن يعمل ويتحرك فإنه لا يتلاشى. ويمكنه أن يظل حياً ما دام يريد الحياة. ولكن بعضهم يصيبه – أحياناً – ما يسمى بالرغبة في الانفلات، فيتلاشى. وحين يتلاشى تظل قواه الذهنية حاضرة توجه تصرفات من حوله. وأما بعد الزواج فإنهم لا يسمحون للأسرة بأن تنجب أكثر من طفلين: صبي وفتاة.

أرته الفتاة المرافقة محطة القدرة السمعية التي تلتقط الأصوات، وتحللها وتفك رموزها، بوساطة شبكة استقبال، وأجهزة حاسبة، وبرمجة خاصة، وهي تستقبل الأصوات من الفضاء الخارجي. تحدث مع محطة البث الأرضي التابعة لقاعدته، وطمأنهم على سلامته وسلامة أجهزته..

ثم قادته إلى المحطة الذهنية ذات الأمواج الخارقة السرعة التي تسحق القدرة الذاتية في الفرد، وتسيره كآلة، مستغلة طاقته الذهنية ضمن اتجاهات تقمع غريزة العدوان. أرته غابات أشجار صنعية لها مهام علمية في تحسين جوالجرم، وتحليل المزيد من الأكسجين اللازم للحياة.

عرفته بمحطة القدرة البصرية التي تتغلغل في الجوهر، وتتعرف على خفايا الكون، وتستطيع أن ترى المدار الذي يرسمه الالكترون حول النواة، كما تستطيع أن ترى كيف يتحرك الإلكترون أوالذرة بكل أجزائها. ومنها تمكن مراقبة شخص من كوكب آخر. فرؤيتها قادرة على النفاذ داخل السحب والأغلفة الجوية، والتغلغل إلى مسافات شاسعة. أرته، على شاشة المحطة، الكون والمجموعة الشمسية، ونجومها، والكرة الأرضية، رؤية خارجية غير محدودة بتفاصيل. أرته (قمر الحب) وهوالكوكب التابع لجرمهم، والذي لا يرسلون إليه إلا العاشقين المخلصين، لقضاء فترة، يعودون بعدها من أجل تكوين أسرهم.

قادته إلى مركز الاختبار الذهني، حيث يستطيع المرء اختبار الذكاء والمعاملة واللطف والمرونة ...إلخ. وحيث يستطيع قراءة المخ كصفحة مكتوبة ...

أحبته وأحبها فمنحهما المجلس الاستشاري الموافقة على زيارة (قمر الحب) الذي لا يستقبل إلا العشاق. وقد اجتازا فيه عدة اختبارات قاسية، أكدت نتائجها إخلاصهما لبعضهما بعضاً، ولكنه وقع تحت وطأة قوى مجهولة لأشرار من كوكب آخر، أرادوا السيطرة على عقله، وتوجيهه في خدمة رغباتهم الشريرة. ولم يستطع الخلاص من تأثير هذه القوى اللعينة. وأخيراً وضع في مركبة فضائية لتعود به إلى الأرض.

وفي قصته (البحث عن عوالم أخرى)[٦] يحدد الدكتور عمران عام (٢٠٩٠ م) موعداً لانطلاق السفينة الفضائية من الأرض نحو(الفا-قنطورس) أقرب نجم إلينا في المجرة، وعلى متنها ستة رواد فضاء من مختلف الاختصاصات: فالدكتور (إياد) قائد السفينة، و(سامي) معاونه، و(ناديا) المشرفة الطبية، و(ديما) مهندسة الاتصالات، و(أحمد) الخبير الجيولوجي، و(خالد) مهندس المحركات الأوتوماتيكية.

وقد انطلقت السفينة الفضائية كمدينة عائمة، مخلفة وراءها سحباً كثيفة من الدخان. واخترقت جوالأرض بسرعة هائلة لتتخذ لها مداراً حولها، قبل أن تتجه، في مخطط مدروس، نحوالمجمع الفضائي الذي يدور حول (بلوتو) أبعد الكواكب عن الشمس.

دارت السفينة مرتين حول الأرض قبل أن تنطلق من جديد، في مسارها نحوالمجمع الفضائي، معتمدة على الطاقة الذرية المضاعفة التي توفر لها الانطلاق بسرعات هائلة وفق برمجة أحدث العقول الإلكترونية.

اجتمع الرواد الستة في الصالة المركزية، وقال الدكتور (إياد) قائد الرحلة: إنهم بعد أن يغادروا حدود المجموعة الشمسية سيستغرقون ١٤ سنة للوصول إلى (ألفا-قنطورس)، وأن عليهم الدخول في مرحلة سبات لعدة سنوات، حيث تنام أجسامهم بأقل جهد من أعضاء الجسم دون أن تصرف أية طاقة جسمية، وأنهم سيتناوبون السبات، وأن العقل الإلكتروني المركزي هوالذي سيتحكم في إيقاظهم.

حول (بلوتو) التحمت السفينة بالمجمع الفضائي الهائل للتزود بالوقود الذري، والغذاء المصنع، والفحص الشامل للسفينة من قبل العقول الإلكترونية المتفوقة.

على المجمع الفضائي الضخم يعيش (١٦٠) رجلاً وامرأة من مختلف الاختصاصات العلمية، ومن دول عديدة غالبيتهم من العرب. وقد استقبلوا سفينة الفضاء العربية استقبالاً حافلاً لكونها أول سفينة فضاء تتجاوز المجموعة الشمسية.

وفي المجمع تعرفت (ديما) على الدكتور (عادل) صديق والدها المتوفى، وقد مضى عليه سبعة أعوام في هذا المجمع الفضائي.

---

(٦) في مجموعته القصصية: الخروج من الجحيم ١٩٩٤

ثم انطلقت السفينة بسرعة هائلة في فراغ كوني شاسع، واستغرق أربعة من روادها في (سبات شتوي) بعد أن أقفلت عليهم الصناديق الزجاجية. فظل اثنان لمراقبة المحركات الأوتوماتيكية وأجهزة البث والإشراف على برمجة العقول، الالكترونية وأجهزة الاستقبال الراداري.

وفجأة انبعث من جهاز الإنذار أزيز متواصل، وأعلن العقل الإلكتروني المركزي محذراً من محطة فضائية غريبة الشكل تقترب من السفينة. استفسر أحمد من العقل الإلكتروني المركزي:

-هل هي مسيرة من قبل كائنات عاقلة؟

-نعم- كائنات - غريبة - تسيرها.

كانت حالة طارئة استدعت إيقاظ الرواد الأربعة من سباتهم عن طريق موجات من الصدمات الكهربائية. وبعد أن تم ذلك، أرسل قائد الرحلة اثنين من الرواد في قارب فضائي نحوالسفينة الغريبة، وأوصاهما بالحذر الشديد، خرج القارب الفضائي بهدوء متجهاً صوب السفينة الغامضة، شعر سامي وخالد بقوة جذب هائلة تشدهما نحوهذه السفينة ذات الشكل الاسطواني الغريب، دخل القارب من فتحة في وسط الجسم المجهول، وأغلقت البوابة التي انفتحت لهما، فوجدا عشرات الكائنات الغريبة الشكل تحيط بهما، ذات هياكل متطاولة نحيلة، ورؤوس تشبه رؤوس البشر، وعيون جاحظة، وآذان كبيرة.

سمع الرائدان صوت هذه الكائنات تردد:

-مرحباً بإخوتنا في العقل إلى أين تقصدون في مساركم يا سامي؟

بدا تطورهم التقني هائلاً، وكذلك قواهم الذهنية التي قرأت أفكار الرائدين وتعرفت عليها.

-نحن في رحلة بحث نحوأقرب نجم إلينا نسميه (ألفا - قنطورس) لنستكشف الحياة حوله.

-أأنتم من الكوكب الأزرق؟

والأرض تبدوزرقاء في أجهزة الرصد الكونية، عرفتهم الكائنات بنفسها: إنها من كوكب (كارون)، عاشر الكواكب بعداً عن الشمس. وقد كان خالياً من الحياة قبل أن يستوطنوه. وقد كان أجدادهم يعيشون فوق (سيرا) أحد توابع زحل ذي الحلقات الجميلة. ولكن كارثة كونية حدثت (لسيرا) إذ ارتطم به نيزك فأهلك القسم الأكبر من سكانه، مما أرغم الباقين على الرحيل إلى (كارون) واستيطانه، على الرغم من ضعف جاذبيته، ووجود الكربون فقط في جوه، مما جعل جلودهم وأجهزتهم الجسمية تتأقلم معه. ولكن كارثة كونية جديدة حلت بالكوكب (كارون) حين اصطدم به أحد المذنبات، فأنهى حياة الغالبية العظمى من كائناته، ودمر الأجهزة والمحطات الآلية التي كانوا يستخدمونها. فانطلقت مركبتهم للبحث عن كوكب صالح للحياة يمكن أن ينتقلوا إليه، فوجدوا الكوكب السابع في ترتيب البعد عن النجم (الفا – قنطورس) جواً ملائماً. وهم يطلبون مساعدة رواد المركبة الأرضية لنقل البقية الباقية من كائناتهم إلى الكوكب السابع الذي يدور حول النجم (ألفا – قنطورس).

تدارس رواد المركبة الأرضية الأمر، ثم قرروا إنقاذ ما تبقى من هذه الحضارة الكونية التي حلت بها كارثة كبيرة. فاستجابوا لطلب الحكيم (سيروس)، واتجهوا بسفينتهم نحوالكوكب (كارون) لنقل ما تبقى من كائناته إلى الكوكب السابع.

كانت المدينة المركزية في (كارون) محطمة، بعد أن كانت مستودع علومهم ومعارفهم. لم تكن هنالك أشجار أونباتات لأن كوكب (كارون) ضعيف الجاذبية، ولا يحتفظ إلا بهواء قليل، كما أن الماء المكون من هيدروجين وأوكسجين ليس موجوداً على سطحه، وكانوا يأتون بالطاقة من باطن الكوكب. لأن سطحه كان بارداً تقارب درجة حرارته (٢٧٣) تحت الصفر. وكانت محطات الإنارة تنير كل أجزائه، لأن نهارهم مثل ليلهم مظلم، وقد ساعدهم الكربون المخزون في الحفاظ على درجة حرارة معينة لا تؤثر فيها البرودة الزائدة.

صعد إلى السفينة الأرضية ثلاثمئة كائن كاروني هم كل ما تبقى من الحضارة الكارونية التي كان قانونها قائماً على الحب والتعاون في سبيل التقدم والازدهار،

فليست هنالك ضغائن ولا خلافات. وحين يلتقي الرجل بالمرأة يكونان أسرة بعدد محدد من الأطفال. ثلاثة على الأكثر. ويوضع الأطفال في المدارس، ثم في معاهد البحوث، أما متوسط الأعمار لديهم فكبير، فما دام الكائن فاعلاً ومنتجاً فإنه يعيش طويلاً: مئة عام، أوألف. وعندما يشيخ يقل إنتاجه، فيضمحل جسمه رويداً رويداً، ويختفي دون أثر، ولا يبقى من ذكراه سوى عمله الفردي المسجل على أجهزة الذاكرة المرئية. وعمر الحكيم (سيروس) ثمانمئة عام وما يزال منتجاً.

وانطلقت السفينتان: الأرضية والكارونية في رحلة طويلة نحو(ألفا – قنطورس) أقرب النجوم في المجرة للشمس. وعندما عرف الحكيم (سيروس) الفارق بين سرعتي السفينتين، فسرعة انطلاق المركبة الأرضية لا تتعدى (٦٠) ألف ميل في الثانية، وسرعة انطلاق السفينة الكارونية ثلاثة أضعاف هذه السرعة، عرض على الدكتور (إياد) تغليف السفينة الأرضية بأمواج الطاقة لحمايتها من مخاطر السرعة الهائلة، ولتتمكن من الوصول إلى سرعة الضوء.

وقد استلمت الكائنات الكارونية قيادة السفينة الأرضية، فازدادت سرعتها بالتدريج حتى أصبحت مساوية لسرعة الضوء، وقد كانت هذه السرعة سبباً في اختصار مدة الرحلة إلى الثلث، بينما استسلم الرواد الأرضيون (للسبات) والأحلام والكوابيس المرعبة. وكانت كائنات (كارون) تتابع أحلامهم هذه.

أيقظ العقل الإلكتروني المركزي الرواد الأرضيين من سباتهم، بعد أن دخلت السفينة مجال أسرة (ألفا–قنطورس)، واتجهت نحوالكوكب السابع الذي ستتوطن فيه الكائنات الكارونية.

ودوى صوت العقل الإلكتروني: "بدأنا نقترب من كوكب عملاق يدور حوله عشرون قمراً، قد يكون بعضها صالحاً لحياة الإنسان، ويبدوجوأقربها مائلاً إلى الزرقة، شبيهاً بجوالأرض، وترتيبه التاسع في البعد عن (الفا–قنطورس). وبدأت الكاميرات عملها.

هبطت القوارب الفضائية على سطح الكوكب السابع محملة بكائنات الكوكب (كارون) التي ستستوطنه.

وقد أصيب الدكتور (إياد) بهبوط مفاجئ في نبضات القلب، لم تنفع معه كل المنشطات والوسائل العلاجية وحتى الصدمات الكهربائية، فمات، ووضع في تابوت محكم الإغلاق، وألقي به خارج السفينة، ليظل يدور حول الكوكب السابع.

درست سفينة الفضاء الأرضية حياة مجموعة كواكب (ألفا-قنطورس) وإمكانيتها للحياة، ثم قررت الهبوط على سطح الكوكب الرابع الشبيه بالأرض، والذي يُحتمل فيه وجود الأوكسجين. وحيث يوجد الأوكسجين توجد الحياة. بعد أن بثت رسالة إلى علماء الأرض تعلمهم فيها بعزمها. وستمر أربع سنوات وربع حتى تصل هذه الرسالة، وستمر مثلها لتلقي الرد، أي تسع سنوات تقريباً.

وهبطت المركبة الصغيرة على سطح الكوكب الرابع، وأكد الإنسان الآلي أن الجويحوي نسبة عالية من الأكسجين، فخلع الرواد كماماتهم، وتنفسوا هواء الكوكب لدقائق، كان كوكباً جميلاً يحوي مياهاً وغابات. وهوكوكب صالح للحياة البشرية.

وفي قصته (كتلة حية بحجم الأرض)[7] يصور لنا الدكتور طالب عمران التطور التقني والحضاري الذي بلغه العرب في عام (٢٥٠٠م)، حيث قررت (أكاديمية بحوث الفضاء العربية) إرسال سفينة فضاء نحوالازدحام النجمي في قلب المجرة، تحمل خمسة رواد، هم: عالم كهل مشرف، وشابين في العشرين (علاء، وإبراهيم)، وفتاتين في السادسة عشرة (هبة، وسلوى). وقد انطلقت بهم السفينة من قلب المجمع المداري على حافة المجموعة الشمسية، قريباً من مدار الكوكب العاشر (كارون) بسرعة الضوء البالغة (٣٠٠ألف كم/ثا).

ولكن جسماً ضخماً بحجم كوكب الأرض يعترض طريقهما وتكاد سفينتهم تصطدم به. وتتعطل أجهزتها فلم تعد تستجيب للأوامر، وينبعث من الكتلة الضخمة صوت يرحب بهم قائلاً:

-أهلاً بالإخوة في العقل.

وحين يحاولون معرفة مصدر الصوت يقول لهم: أنا موجود بينكم، يمكنكم رؤيتي،

(٧) في مجموعته القصصية: شحنة الدماغ ١٩٩٦

وبالفعل يظهر بينهم شيخ وقور بلحية بيضاء، ما يكاد يوجههم إلى فوهة الجسم حتى يختفي. فلم يصدقوا وجوده أهوشبح أفرزته ذاكرتهم؟ أم هوحقيقة من كائنات العوالم الأخرى تشكل لهم بصورة بشرية كيلا يكون غريباً عن أذهانهم؟.

ثم بدأت تتداعى ذكرياتهم، فيستعيد كل منهم صوراً عن طفولته وشبابه، وكان هذا بفعل أجهزة العالم المضيف الذي تأكد من ماضيهم المشرف، فرحب بهم في (الكوكب العائم)، حيث استقرت سفينتهم الفضائية فوق أرض عجيبة متحركة من الكوكب، وحيث تنتفخ مناطق وتخرج منها كائنات تتطاول، وتشق أكياسها، لتخرج إلى الضوء وهي شبيهة بالبشر.

وحينئذ يبرز أمامهم كوكب عملاق، قيل لهم: إن سفينتهم ينبغي أن تدخل في جوفه، لأنه سيكون وسيلتهم في الوصول إلى المجرة، وبسواه لن يتمكنوا من الوصول، لأن سرعته أضعاف سرعة الضوء، ولأنه سيقيهم الأجرام الشاردة، والنجوم المتلاشية التي تمتص المادة وتفنيها.

وتنجح السفينة في الوصول إلى الكوكب الرابع الشبيه بالأرض، والذي تحيطه السحب، وينفصل رائدان عن المركبة بمحطتهما، مخترقين الغيوم التي تسبح في سماء الكوكب إلى المنطقة المقررة لهبوطهما، وما يكادان يهبطان فوق سطح الكوكب، ومعهما العقل الإلكتروني، حتى يفاجآن بطبق طائر فوقهما يبث رسالة شعاعية، ترجمها العقل الإلكتروني، فإذا هي:

-مرحباً بالإخوة في العقل.

ويهبط الطبق قريباً منهما، وينزل منه كائنان ضئيلان، يتحدثان العربية قائلين:

-نحن غريبان مثلكما، جئنا من كوكب (الشعاع) في طرف المجرة. هذا الكوكب مأهول. إنهم يراقبوننا، يختبئون خلف الأشجار، حضارتهم مسالمة. إنهم يشبهون بشر الأرض.

وهكذا يحقق التطور التقني المعجزات، إذا ما وضع في خدمة الخير والعقل والسلام، حيث يمكنه أن يحقق حوار الحضارات الكونية وتواصلها.

وفي قصته (الخروج من الجحيم)[8] يدفع د. عمران بسفينة الفضاء المتطورة في عام (٢٠٩١)، بالاتجاه نحوالأرض في رحلة العودة، وبداخلها (سامر) الذي انفصل عن المحطة الضخمة المتغلغلة في المجرة، عائداً إلى الأرض، بعد أن ترك في المحطة رائدين للفضاء، زوداه بأشرطة مغناطيسية تحوي معلومات هائلة عن الرحلة والكواكب البعيدة، والمذنبات المحيطة بالمجموعة الشمسية.

بيد أن الدكتور (نادر) مدير المحطة الفضائية عاد فأبلغه قرار علماء المحطة (ألفا) بعدم عودته الآن إلى الأرض، لأن البشر دمروا كوكبهم الأرضي الجميل بالحرب النووية، وكان العلماء على متن المحطة القمرية يراقبون ما يجري على الأرض، وقلوبهم تنفطر حزناً وألماً وهم يشاهدون مدناً بأكملها تباد، ويتناثر حطامها في الجو، وملايين من البشر يمحون من الوجود بطرفة عين بعد انفجارات مرعبة، وحفراً هائلة الاتساع تنفتح، وأشجاراً تحترق، وحيوانات تتفحم. لقد كانت المناظر التي يبعثها التلفزيون اللايزري تفوق الوصف. فيا للهول!.

أيبلغ الحمق والغطرسة بالإنسان حداً يجعلانه يدمر ذاته وحضارته!؟.

ولكن (سامر) يصمم على الهبوط على الأرض المدمرة، بحثاً عن حبيبته (لينا)، على الرغم من خطر الإشعاعات الذرية، فيوافق الدكتور (نادر) بعد تردد، على أن يرافقه (ورد) الإنسان الآلي، وهما يرتديان الألبسة العازلة للإشعاعات، على الرغم من ثقلها.

اقتربت المحطة الصغيرة من المنطقة التي حددها المجلس العلمي في المحطة القمرية لهبوطها، وهي تخترق السحب الركامية السوداء الناجمة عن الغبار والأتربة، والدخان الناتج عن الانفجارات والحرائق، ياالله!: حيوانات شوهاء تضطرب، ومخلوقات تتحرك بذهول، وعيون صعقها الرعب والذعر، وأطفال ابيضت شعورهم، وشوهت الكارثة ملامحهم البريئة، وجثث متفسخة، وأنقاض متراكمة. كانت المشاهد أكبر من أن يتحملها (سامر) ففقد وعيه، فأسعفه الإنسان الآلي (ورد) بشحنة مقاومة جديدة.

هبطت المركبة على سطح الأرض المدمر، ونزل منها سامر وورد، وسارا بعيداً عنها فلم يشاهدا أثراً لمخلوق حي. ثم اكتشفا إنساناً مشوهاً يلفظ أنفاسه الأخيرة، بعد أن

---

(٨) في مجموعته القصصية: الخروج من الجحيم ١٩٩٤ .

أعمته الإشعاعات الذرية وأحرقت جلده، قال لهما وهويحتضـر: إنـه هـرب مـن الملجـأ العميق تحت الأرض بعد أن نفذ المـاء والغـذاء ليبحـث عـن غـذاء لابنتـه الصغـيرة الـتي كادت تهلك جوعاً.

بحثا عن النفق المجهز للحماية من القنابل الذرية حتـى وجـداه، طرقـا بابـه المصفـح، فوصلهما صوت حاد عبر الميكروفون:

-ابتعدوا من هنا.

-أنا قادم من المحطة القمرية، أرتدي اللباس الواقي من الإشـعاع، أريـد أن أتكلـم مع المسؤول عن هذا الملجأ.

-ابتعدوا من هنا.

وحـين أبلغهـم أنـه يحمـل أغذيـة وأدويـة ومياهـاً مغلفـة بالرصـاص، ومؤمنـة ضـد الإشعاع. فتحوا لهما الباب المزدوج، فعبرا إلى باب ثان، وثالث ...

قابلهما الدكتور (نادر) المدير المشرف العلمـي علـى الملجـأ، وشـكا إليهمـا حاجـة اللاجئين إلى الأغذية والمياه، بعد أن خسفت أرض مخزن مؤونـة الملجـأ فجـأة، ففقـدوا الغذاء. وقام الإنسان الآلي (ورد) بتحديد مكـان الغـذاء المفقـود بالأشـعة المركـزة، ثـم حفر نفقاً طويلاً إليه، واستخرجه.

سأل (سامر) عن حبيبته (لينا) فقيل له: إنها ربما تكـون في ملجـأ (مركـز البحـوث العلمية) الذي يقع خارج المدينة، وقد استغرب الدكتور (نادر) أن تكون حبيبـة سـامر لأنها شاخت بينما ما يزال سامر شاباً. قيل له: إن سبب الفرق هوأن سامر سافر كثيراً في الفضاء بسرعات هائلة، يتوقف فيها الزمن، لذلك لم يظهر عليه الكبر!.

انطلق سامر وورد يبحثان عن الملجأ المذكور، كان الظلام كثيفاً، والرياح عاصفـة، وقد انخفضت درجة الحرارة إلى (٥٧) تحـت الصفـر، وحجبـت الشـمس طبقـات مـن السحب السوداء المتراكمة، وانهمرت ثلوج سوداء ملونة بالغبار والفتـات. إنـه الشـتاء

النووي. وعاشت الصراصير والجرذان فأصبحت وارثة دمار الكوكب الأرضي بعد الإنسان، لعدم تأثرها بالإشعاعات.

وجد (ورد) باب الملجأ فأزاح الأنقاض من فوقه، وطرقه بشدة، فأجابه صوت بالراديو:

-من هناك؟

-أنا رسول من المحطة القمرية، أحمل مواد طبية وغذائية.

-لانحتاج لهذه المواد، كل شيء متوافر عندنا.

وعندما طمأنهم (سامر) بأنه يرتدي لباساً مضاداً للإشعاع، فتحوا الأبواب المزدوجة، فولجوا غرفة التعقيم. كان أضخم ملاجئ المدينة وأقواها. استقبلهما الدكتور (عصام) مرحباً، وفاجأهما بوجود (لينا) حبيبة سامر والمشرفة على محطة توليد الطاقة: سيدة في عقدها الخامس، تغلف وجهها مسحة من الجمال، وقد خط الشيب فوديها. جمدا في مكانيهما ثم اندفعا إلى بعضهما بعضاً، تشابكت الأيدي، ثم كان عناق (أوليس وبنلوبي) افترقا قليلاً غير مصدقين، ثم اشتبكا ليحسا أنهما ليسا في حلم.

أصر سامر على اصطحابها معه إلى المحطة القمرية، على الرغم من رغبتها في البقاء في الملجأ لحاجته إليها كمشرفة على محطة توليد الطاقة، لكنها دربت بعض مساعديها ليضطلعوا بالمهمة التي كانت موكلة إليها.

ارتدت (لينا) بدلة الحماية من الإشعاع، وغادرت الملجأ إلى المركبة التي ستقلهم إلى المحطة القمرية، وقلبها ينفطر حزناً وأسى على ما دمرته الحرب، وهدمه استهتار البشر.

وفي قصته (ضوء في الدائرة المعتمة)[٩] يجعل د. عمران السفينة الفضائية الأرضية تحط على سطح كوكب مظلم غامض، تنفّس من هوائه مباشرة، دون الخوذة التي كانت تمدّه بالأوكسجين؟ اللازم: ترى هل يحوي هذا الكوكب الأوكسجين أم أن كائناته قد وصلت إلى مرحلة عليا من التطور العلمي جعلتها تؤمن له الجوالملائم لحياته البشرية تمهيداً لاستجوابه، وإخضاعه لقوتها.

---

(٩) في مجموعته القصصية: مساحات للظلمة ١٩٩٢ .

انفتح باب وأطل منه محارب يرتدي ثياباً من القش، عيناه قرب أذنيه القصيرتين، وخرطومه يمتد بضعة سنتيمترات فوق فم ذي فتحة صغيرة، ورأس منتفخ ككرة مستديرة ترتكز على عنق طويل، فوق جسم ضخم، ويدان قويتان تنتهي كل منهما بثلاث أصابع غليظة، أما أطرافه السفلية فكانت ثلاثة. اثنان منها قصيرتان يرتكز عليهما جسمه، ورجل خلفية يستند عليها عند الراحة، وهي أطول من الرجلين الأماميتين بمرة ونصف. جأر الكائن الغريب بلغة لم يفهمها رائد الفضاء الأرضي، وبإشارة تبعه إلى قاعة كبيرة تتصدرها امرأة رحبت به قائلة:

-ما الذي أتى بك أيها الغريب؟

-مهمة علمية يا سيدتي، كلفتني هيئة تلقي المعلومات من الكواكب الشبيهة بالأرض أن أهبط على هذا الكوكب لأدرس جوه، وأقدم تقريري العلمي إلى رئيسي.

-من أي كوكب أنت.

-من كوكب الأرض، ذلك الكوكب البعيد الذي يدور حول نجمة مشعة ملأت جوه ضياء ودفئاً، وأعطت سكانه الحب والطمأنينة ... نحن نتمم أبحاثنا العلمية السلمية في الفضاء الممتد في مجرتنا دون أية نزعات عدوانية. زرنا العديد من الكواكب الشبيهة بالأرض، وتصادقنا مع سكانها، وتبادلنا البعثات والزيارات الاطلاعية، فكونوا مطمئنين لنا. لقد اختفت النزعات العدوانية عندنا منذ عهد بعيد، منذ أن أصبحت الأرض خاضعة لنظام يتساوى فيه الجميع، ولكل حسب جهده.

طمأنها رائد الفضاء الأرضي، فطمأنته المرأة بأنه سينال كل مساعدة، وأشارت إلى رجل يجلس إلى يمينها أن يعرف الزائر على مراكز البحوث العلمية التي بنيت في مدن تحت سطح الكوكب، لأن جوالكوكب المكهرب بقوة عالية، جعل الصواعق التي تسببها السحب المتباينة الشحنة تدمر كل شيء فوق سطحه، وقد ساعدته في ذلك كائنات هلامية تحملت صواعق الجوالمكهرب وتأقلمت معها، فغطته بأجسامها المنيعة، وكانت بمثابة الدرع الذي حماه من الصواعق.

وكائنات هذا الكوكب نوعان: الشغيلة الذين يضبطون أمور الكوكب، ويساعدون في تثبيت النظام، وهم مخلوقات وديعة لطيفة، لكنها إذا استثيرت تجيش كالبركان، فلا يصمد في وجه قوتها شيء.

والنوع الثاني هم البحاثة الذين يستخدمون عقولهم في التغلب على المصاعب والعوائق، وفي زيادة فاعليتهم العلمية وقدرتهم في تطوير الكوكب.

أما المرأة الجميلة فهي أميرتهم، وهي من أكثرهم علماً ومعرفة وقدرة على التفاهم مع أي مخلوق. وهي تحل لهم مشكلاتهم، وتساعدهم في ضبط أمورهم. ويلقبها السكان بـ (الحكيمة)، ويمتد عمرها إلى سنين سحيقة، حيث جاءت من السحب، كما يقول المعمرون.

فحلت المشاكل، وسوت المنازعات، وأصبحت شخصيتها القادرة محط احترام الجميع، يطيعونها طاعة عمياء، ويرجعون إليها كلما واجهتهم مشكلة، أوظهر لهم غموض.

وقد كانت تتصل برائد الفضاء الأرضي يومياً لتطمئن عليه، وهويقوم بصنع جهاز بث لتأمين الاتصال برفيق رحلته الذي ينتظره في المحطة الفضائية التي تدور حول الكوكب، وقد أعجبت به (الحكيمة)، وأفضت إليه بأنها قدمت، منذ زمن بعيد، من كوكب آخر، إلى هذا الكوكب، فقد كانت قيادتها كلفتها بالهبوط على سطحه مع رجلين وامرأة، وتنافس الرجلان على المرأة، وكانت لعوباً، مخالفين تعليمات القيادة، فهبطت هي على سطح هذا الكوكب، وعاشت بين مخلوقاته الوديعة تساعدهم في حل مشكلاتهم. ولكن بعد أن تم بناء المحطة الصغيرة التي ستقل رائد الفضاء إلى سفينته – الأم، كان قد تعلق بالمرأة الحكيمة الجميلة، فباح لها بحبه، وركع أمامها باكياً وطالباً أن يظل إلى جانبها، لكنها أرسلت في طلب طبيب يعالجه من (داء) الحب.

بيد أن جليد تجلدها انهار في اليوم التالي، فقضت في أحضانه ليلة (خالدة). وقد كانت عطشى للحب، فاستقبلت وابله كالأرض البكر التي تنتعش إذا ما أصابها الطل والمطر.

وعندما حان موعد سفره ركع على قدميها باكياً وطالباً منها أن يظل معها، أوأن تسافر معه، فليست لديه القدرة على فراقها. وقد اختارت السفر منه.

وعندما التحمت المركبة الصغيرة بالمحطة الأم التفت الرائد إلى حبيبته فلم يجدها، بل وجدورقة تبثه فيها حبّها. لقد آثرت أن تبقى مع الكائنات اللطيفة في مستقبل مجهول، على أن تضحي أمام حب فردي أناني.

وفي قصته (الحلبة)[١٠] يتابع عمران طرح القيم العلمية والإنسانية والأخلاقية، من خلال (الخيال) العلمي، محرّضاً على الحب والتعاون والتفاهم، ومؤكداً قيم الخير والعدل والعلم في هذا الكون الرحيب ...

فالحزن والأسى يعمان الكرة الأرضية، لأن الشر طاغ عليها، فالجلادون ينتشرون في كل مكان، والمشانق معلقة في الساحات العامة، والقتل والجريمة والفساد يزهوويزدهر، و"الناس نوعان: خاضع لسلطة الملك من حراس وخدم وتجار. ونوع رافض مسجون معذب مجوع".

لم يصدق عينيه: أهكذا أصبح كوكب الأرض الجميل بعد غياب سنوات قضاها في رحلة فضائية للكشف عن عوالم جديدة؟

هبط من سلم المركبة، وفوهات البنادق مسددة نحوه. وعندما ركع على الأرض يقبّل تراب الوطن، أطارته رفسة من بسطار جندي مدرب، وألقت به بعيداً فاقد الوعي، (الوطن لنا لا للكلاب).

ولأنه لم يقسم على أن يكون في خدمة (الكاهن) فقد ألقوا به في (الحلبة) لتقتات به الوحوش، على الطريقة الرومانية، قبضت عليه سحلية ورفعته لتقضمه بفمها الواسع الكريه الذي بدا كمغارة ضخمة. بدت أسنانها كسيوف خرافية تلمع. تذكر أن نطاقه الحديدي مزود بمسدس لايزري. ضغط عليه فانبعث منه شعاع أعمى عينيها الجاحظتين فسقطت على الأرض وسط هتاف المتفرجين الذين ملأوا المدرجات ليشهدوا كيف تفتك الحيوانات بأخ لهم، لاهين عما يخبئه القدر لهم، غير مدركين أنه قد يوضع أحدهم في الموقف ذاته ظلماً وعدواناً.

هجم عليه مصارعان يحملان سيوفاً ورماحاً وبلطات، ضغط على نطاقه، فانبعث منه الشعاع اللايزري الذي أسقطهما.

---

(١٠) في مجموعته القصصية: أسرار من مدينة الحكمة ١٩٨٨

إلى متى تظل الجماهير غفورة تدفع بأبنائها إلى الموت وهي تتفرج عليها كيف تقاوم الموت؟ لقد وعت هذه الحقيقة، فحطمت أغلالها، ودمرت الطغاة.

وهكذا ينهي عمران قصته بخاتمة سعيدة ينتصر فيها الخير على الشر في هذا العالم.

وهذه القصة تشبه قصة أخرى لعمران هي (كوكب التحول)[11] حيث يواجه فيها (البطل) جلاديه فينتصر عليهم، ويستطيع توعية الجماهير لتنقلب على طغاتها. وفيها يروي حكاية شاب يحب العلم والاختراعات. وقد أظهر تفوقاً علمياً في دراسته، مكنه من الالتحاق بأكاديمية الفلك العليا، فتم إرساله في بعثة دراسية إلى خارج وطنه، وعندما أنهى دراسته، لم يسمحوا له بالعودة إلى وطنه. ورغبوا في استثماره واستغلال علمه لتفوقه، فأشرف على أكاديمية الفضاء العليا وطورها. وكان يقوم برحلات علمية خارج المجموعة الشمسية، ويعود منها بالمعلومات الوفيرة عن الكواكب والكون.

غير أنه، في إحدى رحلاته الفضائية، ألقى عليه القبض سكان أحد الكواكب، ورغبوا منه أن يصبح خادماً لكاهنهم، فرضخ إلى حين استطاع توعية الجماهير الغفيرة، وإثارتها على كهانها، ثم عاد إلى كوكبه الأرضي.

٣- من الكون إلى الأرض / السلام لغة العقل:

وهنا يجعل الدكتور عمران كائنات الكواكب الأخرى تتواصل مع سكان الأرض، ومع غيرهم، لا من أجل غايات عدوانية أواستعمارية كما هي الحال في أدب (الخيال العلمي) الغربي، وإنما من أجل التطوير العلمي والتقدم الحضاري والأخوة الكونية، ففي قصته (الحلم يدهش أحياناً)[12] يكرس (ماجد) حياته من أجل تأليف كتاب عن الحضارات الأخرى في الكون، فتقترب منه مركبة ضخمة تحمل رسل السلام والمحبة الذين جاؤوا يحملون رسالة سامية إلى سكان الأرض، يحذرونهم فيها من مخزون السلاح النووي الذي قد يدمر كوكب الأرض.

---

(١١) في مجموعته القصصية: أسرار من مدينة الحكمة ١٩٨٨ .

(١٢) في مجموعته القصصية: شحنة الدماغ ١٩٩٦ .

وقد رحب به علماء الكوكب الآخر، وأعلموه أنهم يعرفون عنه كل شيء: حبه للعلم، وعمله فيه، ورغبته في مشاهدة حضارات كونية أخرى ...

وقد حققوا له رغبته، فاصطحبوه إلى طبقهم الطائر الذي حط فوق كوكب مزدان بالخضرة، حيث استقبلته وجوه لطيفة مشعة بالحياة، لا عابسة أومقلوبة كما هي سحنات مخلوقات كوكبه الأرضي، كذلك لم يشاهد شرطة، ولا أحذية ذات مسامير حديدية. استقبلوه مرحبين قائلين:

-أهلاً بالعقول المفكرة في الكون.

وبعد أن اطلع على منجزاتهم الحضارية في كل مجال، أعادوه إلى الأرض، وصار يحكي لزملائه عن مشاهداته، فنصحوه بزيارة طبيب نفسي قبل أن يتفاقم مرضه.

يا الله، هل تصبح الحقيقة خطأ، والخطأ صواباً؟ هل هوعلى صواب أم مجتمعه السادر في غوايته؟ أيهما الصح وأيهما الخطأ؟

ومضى إلى الطبيب النفسي، مرغماً، يعرض عليه حالته، فقال له الطبيب: لا حل لمشكلة كوابيسك سوى بالتنويم المغناطيسي لمعرفة أسباب أزمات الأرق والكوابيس التي تلاحقك.

في أحلامه كان يرى كائنات الكوكب الآخر يعرضون عليه أن ينتقل إليهم ليعيش معهم، لأن البشر سوف يدمرون كوكبهم بأنانيتهم، وبالتلوث الإشعاعي والذري، وبالصناعات المدمرة، وبثقب الأوزون ... إلخ.

وينتهي إلى قرار حاسم هوأن يرتحل معهم، باختياره، إلى كوكبهم، هرباً من السحنات المقلوبة في كرته الأرضية، ومن الوجوه الكريهة العابسة، والبساطير ذات المسامير الحديدية التي طالما انغرزت في رأسه الذي يختزن العلم الذي يرغب في أن يخدم به وطنه، بعد أن رفض الراتب الضخم والحياة المرفهة التي أغراه بها الغرب، كي يظل باحثاً في مراكزهم العلمية.

لكنه فوجئ بأن وطنه في غير ما حاجة إليه، أوبالأحرى المتسلطون في وطنه في غير

ما حاجة إليه وإلى علمه. مما جعله يؤثر الانتقال إلى "الكوكب الآخر"، أوالجنون، أوالانتحار. فهذا هوأسلوب الدول المتخلفة في معاملة أبنائها المتفوقين، فهي إما أن تدفع بهم إلى الدول الغنية / الكواكب الأخرى التي تستفيد من علمهم وتفوقهم، أوأن تدفع بهم إلى الجنون والانتحار، إذا ما آثروا البقاء في أوطانهم ليضعوا علمهم في خدمتها، في الوقت الذي ليست هي فيه بحاجة إلى هذا العلم الذي أصبح مقتصراً على الغرب وحده، أما الدول المتخلفة فليست سوى مستهلكة لبضائع الغرب ومخترعاته، وسوق تجارية يريدها السيد الغربي أن تظل كذلك، ولوأن هذا العالم كان جاهلاً لا يعرف كتابة اسمه لأحيط بكل العناية والرعاية، لأنه عند ذلك سيكون عوناً للشر على الخير.

وهكذا تصبح الكواكب الأخرى مهرباً لذوي العقول النيرة من واقع الفساد الذي يرى فيه (العالم) نفسه مذلاً مهاناً في بلاد لا تعرف للعلم قيمة، ولا تجعل للمفكرين والباحثين أي اعتبار، حيث تداس الكرامة الإنسانية في كل لحظة آلاف المرات، وتنتهك الحرمات والمقدسات باسم فرية لا تنطلي على ذوي العقول العاملة، أما أصحاب العقول الخاملة فلا يحتاجون إلى شيء سوى ملء الكرش والفرج، فهذه كل قيم حياتهم اللاإنسانية.

ويتابع الدكتور عمران قصصه العلمي الذي يعتمد قيم الخير، في إطار معرفي وأخلاقي، داعياً إلى سعادة الإنسان ومستقبل أفضل على كوكبنا الأرضي، فيضع قصته (سر الساعات)[١٣] التي يجعل فيها أشراراً قدموا من كوكب آخر، في مركبات فضائية، ليستولوا على الأرض، يقيمون فيها مستعمرات عدوانية، ولهذا فهم يعطّلون ساعات جميع مهندسي المعمل الفضائي، لينطلق الصاروخ فجأة، وقبل موعده المحدد، وليغوص كبير المهندسين في حلم كابوسي.

ويرسم عمران صورة لهذه الكائنات القادمة من كوكب آخر: "طالعته أشكالها العجيبة المتباينة في حجومها وأطوالها، عيون عريضة تبرق بشرر كالنار، وأنوف ممسوحة، وأفواه مستديرة تتحرك في داخلها ألسنة مدببة، جماجم متطاولة بشعر وبري

---

(١٣) في مجموعته القصصية: ليس في القمر فقراء ١٩٨٣

منتصب، وآذان كالأبواق، والشيء الغريب أن هذه الأشكال كان يطرأ عليها التغيير كل فترة، كأن تتطاول العينان، أوتتحرك الآذان إلى الأعلى والأسفل، ويأخذ الرأس شكلاً عرضياً. ويتحرك اللسان داخل الفم الدائري عدة مرات، والفم تكبر وتصغر دائرته بالتتالي".

ولعل هذه القصة هي القصة الوحيدة التي يجعل فيها عمران كائنات الكواكب الأخرى عدوانية ترغب في استعمار الكواكب الأخرى واستثمارها، فمن المعلوم أنه يصور حضارات الكواكب الأخرى مسالمة. وهوحين يفعل ذلك فإنه يصورها بأشكال محببة ومعقولة، بخلاف إذا ما جعلها شريرة، فإنه عند ذلك يصورها بأشكال كريهة.

ومع ذلك فإن الشر لا يمكن أن يدوم، ولا بد أن ينتصر الخير والحق في النهاية، وهكذا تم تحرير الناس بوساطة العقول الإلكترونية المتفوقة.

وفي قصته (الأشباح)[١٤] يصور عمران كائنات عاقلة ذات أشكال شبيهة بأشكال البشر، لكنها لا تعرف الكذب والخداع والحقد والأنانية، وتؤمن بالعلم والعقل وسيلة اتصال سلمي بين عوالم الكون، وقد هبطت بمركبتها الفضائية على الأرض، واختار لها العقل الإلكتروني إنساناً بسيطاً لإجراء التجارب على تركيب فمه، فأذهلتها الأنانية والفساد عنده، ثم نقلوه إلى كوكبهم النائي في مجرة أخرى. فأروه حضارتهم المتطورة علمياً:

كان تاريخ كوكبهم حروباً مدمرة، ثم قامت على أنقاضها حضارة جديدة تؤمن بالعدل والمساواة والحزم في تطبيق النظام الاجتماعي. فعم السلام ربوعه، وقفز التطور الحضاري بسكانه إلى حده الأعظم، فاخترقوا الفضاء، وكونوا صداقات مع كائنات كواكب أخرى.

وعندما قرؤوا أفكاره وهويتساءل عن الشيخوخة والموت لديهم، أجابوه بأن أحدهم قد يعيش مئة عام أوألف عام، وذلك تبعاً لقدرته على العطاء، فما دام قادراً على العطاء فإنه يعيش، فإذا ضعفت قدرته على العطاء والعمل بدأ بالذبول والتلاشي.

---

(١٤) في مجموعته القصصية: أسرار من مدينة الحكمة ١٩٨٨

وهكذا يرغب عمران في أن يعم العلم والسلام كواكب الكون، ويأمل في أن ينتصر الإنسان على الشر في داخله. وإذا كانت كائنات الكوكب الآخر قد اقتنعت بأن الحروب لا تجر إلا إلى الدمار، فعملت على بناء حضارة علمية متطورة تؤمن بالسلام الكوني، فإن هذه القناعة ينبغي أن تكون درساً لبشر الأرض.

وعندما أفاق إبراهيم من حلمه، مد يده إلى جيبه ليخرج منديلاً يمسح به عرقه، فإذا بالمكعب الصغير الذي أهدوه إياه يؤكد له واقعية ما كان قد رآه!.

وهذه الخاتمة / المفاجأة الموباسانية تشكل ضربة فنية، عندما تنفجر بين يدي القارئ كقنبلة، والكاتب يلجأ إليها رغبة في إعطاء قصته مزيداً من الواقعية، وليثبت في ذهن القارئ أن القصة التي يرويها ليست حلماً لذيذاً بعيداً عن الواقع.

وفي قصته (الشاهد الوحيد)(١٥) يتابع عمر ن (تيمة) وصف كائنات الكواكب الأخرى التي دفعها تطورها العلمي إلى البحث عن إخوة في الكون يعيشون في كواكب أخرى، فيجعل مجموعة من كوكب بعيد، خارج المجموعة الشمسية، تتجول في المجرة، وتضطر إلى الهبوط في الكرة الأرضية بسبب عطل في القوة الدافعة لسفينتها الفضائية.

لكنها قوبلت بهجوم ضار من نيران القنابل الأرضية المدمرة، وعلى الرغم من أنها استطاعت الإفلات منها عندما لجأت إلى أحد الأودية العميقة، فإن واحداً من مهندسيها أصيب في هذه المواجهة التي لم تكن تحسب لها حساباً، لأنها اعتادت أن تواجه وتواجه بالترحيب السلمي الذي يدل على الحضارة العريقة، لا بالهجوم المضاد الذي يصليها نيراناً حامية، ويدل على التخلف والبدائية.

وعندما يبحث العقل الإلكتروني عن علاج للمهندس المصاب يجد أنه في حقنة من دم بشري من الزمرة الإيجابية.

كان (البطل) يحدث نفسه: أهي أنثى حقيقة هذه الفتاة العذبة التي أغرته بجمالها، أم هي خيال لكائن كوكبي تقمص شخصية بشرية لطمأنة من حوله؟ فقدم نفسه لها لسحب الدم من جسمه، فكافأته الفتاة بأن أهدته ميدالية تنبعث منها أنغام علوية.

---

(١٥) في مجموعته القصصية: مساحات للظلمة ١٩٩٢ .

وهنا ينهي الكاتب قصته -أيضاً - بضربة فنية لمعلم في هذا الفن، هي أن الفتى عندما أفاق صباحاً، عرف أنه كان غارقاً في حلم لذيذ، ولكن كيف يفسر وجود هذه الميدالية الموسيقية في جيبه؟

كذلك كانت قصته (كانوا في الكوكب الخامس)[١٦] التي يروي فيها الكاتب قصة عالم فلكي يعيش وحيداً، فيقرع بابه، بعد منتصف الليل، رجل وامرأة، يعرفانه بنفسيهما: إنهما من (الكوكب الخامس) الذي كان موجوداً، قبل آلاف السنين، بين المشتري والمريخ، لكنه اندثر، بعد أن دمرته الحروب النووية، والخلافات بين الكبار من أجل مصالحهم الأنانية، مما دفع بعلمائه إلى هجره، والاتجاه بمركبتهم الفضائية نحوالقمر (ميماس)، أحد توابع زحل، حيث ما يزالون يعيشون فيه، ويتابعون تطورهم الحضاري. وقد استطاعوا أن يرسلوا بمركباتهم الفضائية إلى الكواكب الأخرى، ومنها الأرض، وأن يتعاملوا مع بعض علمائها، من أجل نشر العلم والحضارة والسلام في ربوع الكون. وهم اليوم في رحلة تعارف إليه، ينبئونه برغبتهم في أن ينشر مقالات علمية مضادة للحروب النووية.

وعندما استيقظ في صباح اليوم التالي، وقد اختلطت في ذهنه أحداث ذلك الحلم المرعب بتفاصيله الواضحة فوجئ بوجود لوحة نحاسية على طاولته، كانوا قد أهدوه إياها، وقد رسمت عليها المجموعة الشمسية والكوكب الخامس، دلالة على أنه لم يكن يحلم، وإنما كانت الزيارة حقيقية.

ترى هل تختلط الحقيقة بالخيال عندما يستغرق المرء في موضوع ما؟

ذلك ما شعرت به عندما كنت أعد هذه الدراسة عن أدب (الخيال العلمي) عند طالب عمران، أعيش هذا (الخيال) الذي يبعدني كثيراً عن الواقع، وكنت أشعر بثقله، حتى لقد كنت أستريح من عناء هذا (الخيال) ومعاناته، فأدع الكتابة أياماً لأعود إليها بعد ذلك متجدد الحيوية والنشاط. أما الكاتب الذي يبدع هذه (القصص) فليس أقل معاناة، لأنه هوالواضع للقصة ولفكرتها، والذي يجسدها في سرد قصصي ولغة وصفية، وبناء فني محكم، ولأنه الذي يعاني آلام مخاض القصة ووضعها، فإن (الخيال) عنده سيختلط بالواقع، وسيعاني كثيراً في فصل كل منهما عن الآخر.

---

(١٦) في مجموعته القصصية: أسرار من مدينة الحكمة ١٩٨٨

الفصل الثاني

الظواهر الخارقة المدهشة

١- الحاسة السادسة

يتمتع الإنسان بقوى خارقة، ولكنه لا يستثمر سوى جزء ضئيل جداً منها، وهذا هوالمبدأ الذي يجعل مَنْ يطور قدرته، ويستثمر جزءاً أكبر منها، يقوم بأعمال تبدوخارقة للآخرين، على الرغم من أن هناك أناساً يولدون مزودين بهذه القدرات، دون أن يعرفوا مصدرها. وهي قد تعطيهم القوة، وتساعدهم على النجاح في الحياة، ولكنها -أحياناً- تسبب لهم المتاعب، كما في حالة السيدة (جاكي) الانكليزية التي تحطم المصابيح الكهربائية، وتغير محطات التلفزة والإذاعة بمجرد دخولها إلى الغرفة، وذلك لأنها تملك طاقة كهربائية عالية، وهذا ما يزعجها، ويزعج الآخرين، فقد تزوجت، وضايقت زوجها الذي خرج غاضباً فصدمته سيارة، فمات. ثم تزوجت مهندساً كهربائياً عرف مؤهلاتها، فأراد معالجتها، بعد أن أدرك أن هناك خللاً في النظام الداخلي لجسمها: فعندما تزداد الكهرباء الساكنة فيها فإنها لا تتمكن من مداعبة أطفالها، أوالعناية بهم. بل تؤذي من حولها، وتسبب كسر المصابيح الكهربائية، وتغير محطات التلفزة، والإذاعة، وأحياناً تسبب الأذى حتى لزوجها وأطفالها وذلك بإفراغ شحنات جسمها الكهربائية في كل من تلامسه منهم.

وقد توصل زوجها إلى أن الطاقة الكهربائية الساكنة في جسمها سببها وجود خلل في الحموض والقلويات داخل جسمها. وقد نصحها الطبيب بزيادة تناول الحمضيات،

والخضروات من أجل زيادة الأحماض في جسمها، ذلك أن زيادة الحمض يخفف من الزيادة الكبيرة في القلويات، حيث تنتج عن هذه التفاعلات أملاح تطرح عن طريق البول.

وقد جرب عليها زوجها ذلك، فجعل طعامها مقتصراً على الفواكه والخضراوات والبصل تقريباً من أجل زيادة الأحماض في طعامها. وبالفعل فقد سكنت الكهرباء في جسمها، وأصبحت أقل أذى، حين صارت عادية، ولكنها قرفت من الفواكه والخضراوات.

وهكذا حل العلم مشكلة زيادة الكهرباء في جسم (جاكي)، ولكنها ورثت ابنتها هذه الكهرباء الزائدة في جسمها.

وعلى هذا الأساس فسر العلم أيضاً هالات النور البيضاء التي تظهر حول وجوه بعض الناس، وحول قمم الأشجار والمآذن، وأبراج الكنائس والسفن، فاعتبرها الناس معجزات لا تظهر إلا للأولياء والصالحين والقديسين، فأعادها العلم إلى وجود كهرباء جوية تتخذ صورة البرق بعد عملية تفريغ مفاجئة بين الشحنات المختلفة الكامنة في أجزاء متفرقة من السحب، لا تسري كما يسري التيار الكهربائي المعروف. وهذا النوع من الكهرباء المستقرة أوالساكنة ليس بضار، وكل إنسان يستطيع أن يكتشف هذه الكهرباء في قميص من الألياف الصناعية (النايلون، والراديون وما أشبه ذلك)، فإذا نزع هذا القميص عن جسده فإن حركة نسيجه تعطي (طرقعات) خفيفة ومسموعة، وهذا يعني تفريغ الشحنات الكهربائية التي اكتسبتها ألياف النسيج من الجسم الحي. وكثيراً ما ينجذب القميص إلى الجسم العاري إذا كانت المسافة بينهما قريبة (بضعة سنتيمترات)، كما يمكن مشاهدة شرر دقيق ينطلق من القميص في الظلام الحالك.

فهذه الهالات النورانية حول وجوه بعض الناس، وحول قمم الأشجار والمآذن ويظنها الناس معجزات، ما هي إلا كهرباء ساكنة في الجو[1] .

---

(١) د. عبد المحسن صالح – الإنسان الحائر بين العلم والخرافة – عالم المعرفة – الكويت – مارس /آذار ١٩٧٩ ص١٢٠.

فتاة أخرى تدعى (روزا كواليشوفا)، في الثانية والعشرين من عمرها، أسرت إلى طبيبها في مدينة (نيزهني تاجيل) في جبال الأورال، أن بإمكانها أن ترى بأصابعها، وقدمت الدليل على ذلك، إذ غطى الطبيب عينيها جيداً، فبدأت تمرر أصابع يدها على الصورة التي أعطاها إياها الطبيب، ووصفتها له بدقة مدهشة. وقد قرأت بأصابعها الكلمات والسطور في إحدى الصحف، وهذا ما جعل الطبيب يدعوها لحضور المؤتمر الإقليمي لرابطة (الطب النفسي) الذي عقد في (تاجيل) عام (١٩٦٢) فأحاط المؤتمرون عينيها بعصابة كثيفة، وبدؤوا بإجراء اختباراتهم عليها، فنجحت فيها كلها.

وحين سألها الأطباء عن سبب تلك القدرة الخارقة قالت: إنها تتدرب منذ سنوات على ذلك لعدة ساعات في اليوم، وتحلم بأن تعلم العميان يبصرون بأصابعهم، ويقرؤون الكتب المطبوعة بالطريقة العادية، وليس بطريقة برايل.

وعندما وصلت موسكوأجرى أخصائيوأكاديمية العلوم اختباراتهم عليها، فنجحت نجاحاً منقطع النظير، وأصبحت محط أنظار العالم، فقد تمكنت من أن ترى بأصابعها على الرغم من الحواجز السميكة، كما تعرفت أصابعها على الألوان من خلف لوح من الزجاج. وقرأت كتابات ونوطات موسيقية بأصابعها.

وحينئذ تأكد العلماء من أنها تتمتع بموهبة خارقة، أوبحاسة سادسة تمكنها من استشفاف ما حولها بأصابعها دون استخدام عينيها.

وفي عام (١٩٨١) ظهرت في بلغاريا عرافة عمياء تدعى (فانكا) تستطيع أن تقرأ مشاعر المرء، وأفكاره، وماضيه، ومستقبله، وجنسه، وجنسيته، وكل شيء عنه، بمجرد أن يضع مكعب سكر تحت وسادة نومه، ثم يحضره إليها لتلامسه بأصابعها فتعرف كل شيء عن صاحبه.

وفي مطلع السبعينيات من هذا القرن ظهر شاب إسرائيلي يدعى (يوري جيللر) تطلق يداه وعيناه طاقات روحية تفل الحديد وتثنيه، وإذا كان المثل الشعبي يقول: "عين تفلق الحجر"، فإن عيني جيللر كانتا تثنيان قضبان الحديد بمجرد النظر إليها، وتكشفان ما بداخل الصندوق الحديدي المغلق.

وقد قام جيللر بتجاربه هذه أمام الملايين، وأظهر قدراته الخارقة، مما جعل الدكتور (بوهاريش) الذي كان يزور إسرائيل، يأخذه معه إلى الولايات المتحدة، وهناك قدم معجزاته.

و لم يكن الدكتور (بوهاريش) إنساناً عادياً، فقد كان عالماً ومخترعاً مشهوراً، حصل على الدكتوراه في الطب، وله ٥٦ اختراعاً مسجلاً في الأجهزة الالكترونية التي تستخدم في دراسة الكائنات الحية، وأهمها اختراع يختص بغرس جهاز استقبال الكتروني دقيق يتصل بأحد أعصاب ضرس من الأضراس، فيحول موجات الصوت إلى موجات راديولتنتقل عبر أعصاب الوجه إلى مراكز السمع فتجعل الأصم يسمع[٢] وقد درّت عليه هذه الاختراعات ثروة طائلة. وفي الوقت نفسه كان مديراً للبحوث في شركة أمريكية متخصصة في إنتاج الأجهزة الإلكترونية والطبية.

وقد وضع (بوهاريش) كل الظواهر الغريبة والقدرات الخارقة التي قام بها (جيللر) في كتاب سماه (يوري). من ذلك أنه وضع لجيللر حلقة من الحديد داخل صندوق محكم الإغلاق. وعندما وضع (جيللر) يده على الصندوق لمدة دقيقتين أسر لبوهاريش أن الحلقة الحديدية قد اختفت، ففتحوا الصندوق فلم يجدوها.

ثم وضع جيللر يده على الصندوق ثانية، بعد إغلاقه مرة أخرى لمدة ربع ساعة، فانطلق صوت معدني استقر في قاع الصندوق، وعندما فتحوا الصندوق وجدوا الحلقة التي كانت قد اختفت عادت إليه، وحين فحصوا الصندوق جيداً لم يجدوا فيه جيباً سرياً لإخفاء الحلقة المعدنية.

ويذكر (بوهاريش) أنه كان ينوم (جيللر) بالإيحاء، ويتحدث إليه، وهومنوم، فيلحظ أن صوتاً آخر غريباً يتكلم بالنيابة عنه، ويدعي أنه قادم من حضارات أخرى، متقدمة في الكون، ويؤكد أن جيللر مزود ببرامج ذات طاقات فوق طاقة البشر، وهي موضوعة فيه بوساطة وسطاء كونيين فائقي الذكاء، ولهذا كان (جيللر) كائناً غير عادي بمقاييس أهل الأرض.

---

(٢) المرجع نفسه ص١٤٠.

وقد تم تسجيل هذا الحديث على شريط استغرق ساعة، وأعيد سماعه، ولكن (بوهاريش) اكتشف بعد ذلك أن الشريط أصبح خالياً من كل كلمة ذكرت في هذه التجربة، ولعل الصوت الكوني لم يشأ أن يطلع أحداً من أهل الأرض على ذلك التسجيل، فقام بمسحه[٣] .

وقد أظهر جيللر قواه المدهشة في تجارب قام بها في معامل (بل) للبحوث بنيوجرسي، وفي مركز (جودار) للفضاء بكاليفورنيا، وفي (بيربيك كوليج) بلندن، وظهر في برنامج تلفزيوني بلندن عام (١٩٧٣)، وأمام سمع الناس وأبصارهم استطاع أن يعيد رسم شكل محدد داخل مغلف مغلق، فظهر الشكلان متقاربين إلى حد ما. كما أمكنه ثني شوكة بمجرد وضع يده عليها، أوتركيز بصره عليها، وتحكم بحركة ساعة يد معطلة فتحركت عقاربها، وتحدث جيللر في التلفزيون البريطاني عن هذه الظواهر المدهشة والقوى الخارقة التي تنبع من جسمه، وتنساب من عينيه، فقال: إنه لايدري سر هذه الطاقة، وأن على العلماء تعريفها وتحقيقها.

وقد أجرى معهد (ستاتفور) للبحوث تجاربه على جيللر، فوضعه في غرفة مغلقة من الصلب المزدوج، وعزله فيها عن أية اتصالات خارجية. وجلست هيئة الاختبار في غرفة أخرى تبعد عن هذه بحوالي (٤٥٠م)، فقام بإجراء تجارب تخاطرية (نقل أفكار) ناجحة، إذ تم تعرفه على أربع صور اختيرت له من القاموس، ورسم صورة كما هي، وتعرف على صورة عرضت على شاشة بأشعة (إكس)، وفشل في التعرف على صورة خزنت في عقل الكتروني.

٢- التنبؤ والتخاطر والاستبصار:

يذكر الدكتور طالب عمران في كتابه (الحاسة السادسة) (١٩٩٠) أنه أثناء دراسته العلمية في الهند، وإقامته الطويلة فيها، التقى كثيراً من رجال السيخ في المدن، يقرؤون الطالع، ويفاجئون السياح بقدرتهم الكبيرة على قراءة الأفكار. وحدث أن استضاف

---

(٣) المرجع نفسه ص١٤١.

واحداً منهم، فحكى له هـذا عـن اعتكـافهم منـذ الصغـر، في مـدارس تـدرّس اليوغـا، والقدرة على التخاطر، وأن بعضهم يطور قدراته كي يتمكن من قراءة المستقبل، أوبث ما يريد من أوامر إلى غيره من الناس، كأن يطلب مـن واحـد مثـلاً، تخاطريـاً، أن يرفـع يده، أويحك شعره، أويلتفت إلى الوراء وقد ثبت علمياً أن التوائـم هـم أقـوى تخـاطراً، وأن بإمكان أحدهم أن يبث إلى أخيه رسالة تخاطرية يدعوه فيها إلى أن يهتف له، أوأن يعاني أحدهم من ألم أووضع نفسي صعب فيعاني الآخر المعاناة نفسها.

إن التنبؤ والاستبصار ورؤية الحوادث قبل وقوعها هـي جـزء صغـير مـن قـدرات الإنسـان الخارقة، ونماذج الناس الذين يملكون هذه القـدرات تشـغل البـاحثين في السـنوات الأخـيرة، إذ بدأت التجارب تجري على التخاطر عن بعد، واستخدام التخاطر حتى في الأبحاث الفضائية.

إن في النفس البشرية كثيراً من القدرات الكامنة، ولكن الإنسـان لا يسـتخدم سـوى جزء ضئيـل مـن هـذه القـدرات، وهويضيـع قدراتـه هـذه في السـعي لكسـب العيـش، والصعود في السلم الاجتماعي، واللهاث وراء المناصب والشـهرة، وكلمـا ارتفـع المـرء ازداد نرجسية وأنانية، وخفت قدراته الإيجابية، ذلك أن قدرات الإنسان كبيرة، ولكنـه كسلان إلى حد كبير، فقد يتلقـى الإنسـان أحيانـاً بإحساسـه الغـامض إشـارة الخطـر، وهويستطيع إذا طور قدراته، أن يحذّر من يراه من خطر داهم.

وقد يتمتع الإنسان بقوى خارقة، ولكنه لا يستثمر سوى جزء ضئيل جداً من هــذه القوى، كالذي يدفن نفسه لثمانية أيام في قبر، ثم ينهـض صحيحـاً معـافى، أوكـالذي يرتفع بجسمه فوق الأرض متغلباً على قوانين الجاذبيـة المعروفـة، أوكـالذي يخفـض مـن عدد نبضات قلبه إلى أقل من عشر نبضات في الدقيقة الواحدة.

ولقد فحص الأطباء جثة أحـد المعمريـن، وكـان قـد عـاش (١٣٨) عامـاً في جبـال البيرينيه في فرنسا، فتأكد لهم أن جسم الرجل مصاب بما يقارب الأربعين مرضاً، تكفي الإصابة بأحدها فقط لقتل الإنسان، وحين سألوا عنـه زوجتـه الـتي يزيـد عمرهـا علـى المئة، قالت: إنه لم يكن يشتكي من شيء، وإنه كان أحياناً يقول لي بطني يؤلمني، فأقول له: لماذا لا تراجع الطبيب؟ فيقول: لا بأس أزمة عارضة، ثم ينسى ألمه.

وهذه القصة الحقيقية تبين مدى قدرة الإنسان على تحمل المتاعب، ما دام قوي الإرادة، فلواستسلم لليأس، فإن صحته سرعان ما ستتدهور. وربما كان في هذا هلاكه، فكثيراً ما نجد أناساً من مرضى قتلتهم أوهامهم.

إن التخاطر ونقل الأفكار بعد أن أصبح موضوعاً هاماً ازدادت الأبحاث حوله في السنوات الأخيرة، وتوصل فيه الباحثون إلى نتائج مذهلة، يؤكد الدكتور (بافل نوف) عالم النفس الروسي ذلك أثناء وجوده في مشفى التوليد، فقد لاحظ الروابط البيولوجية بين الأم وطفلها، فهي تستدل عليه ولو لم تره بعد الولادة، وتهرع إليه تتلقفه بحنوبالغ. وعلى الرغم من أن الأمهات في جناح خاص منفصل عن الجناح الذي يوضع فيه الأطفال، فإن الطفل حين يبكي يظهر القلق والعصبية على أمه. وهذه الصلة التخاطرية بين الأم وطفلها تظل مرافقة لها طوال حياتها. وهناك أمثلة كثيرة على لغة التخاطر بين الأم وأبنائها، أوبين الأب وأولاده، فكثيراً ما تحس الأم بآلام في معدتها حين تجري لابنتها عملية جراحية وهي في منطقة بعيدة عنها.

ويروي الدكتور (شفارتز) الأخصائي في طب الأعصاب والطب النفسي في (نيوجرسي) أنه رصد أكثر من خمسين حالة اتصال عن طريق التخاطر بين أفراد الأسرة الواحدة: فقد كان الابن يحس بألم في أسنانه، وعندما اتصلت به أمه، من مدينة أخرى، وقالت له: إنها قلعت واحداً من أسنانها توقف ألمه. لقد انتقل إحساس الأم بالألم إلى ابنها رغم المسافة البعيدة بينهما.

وإن رؤية الحوادث قبل وقوعها، ومعرفة المستقبل هي جزء صغير من قدرات الإنسان الخارقة، وإن نماذج الناس الذين يملكون هذه القدرات بدأت تشغل الباحثين، في السنوات الأخيرة، ما دام الإنسان يملك في دماغه عدة مليارات خلية لم يستخدم منها سوى القليل، فماذا لواستخدم المليارات المتبقية من خلايا مخه؟، وكم ستكون عندها قدراته خارقة؟

ولقد كان (وولف ميسنغ) واحداً من هؤلاء الذين يملكون هذه القدرات المدهشة، فقد تنبأ (لهتلر)، في عام (١٩٣٧)، أي قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، بأنه سيهزم

ويقتل إذا ما اندفعت جيوشه نحوالشرق. وقد تحدث بنبوءته هذه على مسرح وارسوبحضور جمهور يتجاوز الألف شخص. وقد تشاءم هتلر من تلك النبوءة ووضع جائزة (٢٠٠ ألف) مارك لمن يحضر (ميسينغ) حياً أوميتاً.

و(ميسينغ) هذا من مواليد عام (١٨٩٩) وقد ولد في إحدى القرى التابعة لوارسو. وقد ضاق بعيشه، وهوفي سن الحادية عشرة، فقفز إلى أول قطار في رحلة لا يعرف إلى أين ستقوده. واختبأ تحت مقعد في إحدى العربات، لأنه لم يكن يملك بطاقة سفر وليست لديه نقود، واستيقظ على صوت المفتش يطالبه بتذكرته، فقص قطعة من جريدة قديمة وأعطاها للمفتش، فقال له هذا: ما دمت تحمل تذكرة سفر فلماذا تختبئ تحت المقعد؟ وكانت تلك أول تجربة تخاطر يقوم بها في حياته، فقد شعر أن عنده ملكات خارقة.

وفي برلين عمل (ميسينغ) في المتحف حيث كان يستلقي ثلاثة أيام من كل أسبوع في تابوت زجاجي، في حالة من التخشب التام، بلا حراك، كالجثة الميتة. فقد كان بإمكانه أن يخفض نبضات قلبه إلى عشر نبضات في الدقيقة الواحدة، كما كان بإمكانه أن يخدر أية بقعة من جسمه تخديراً كاملاً، ويتمدد فوق المسامير الحادة دون أن يحس بأي ألم وهي تنغرس في لحمه.

وقد نبهه الدكتور (آبل) إلى أنه يملك قدرات خارقة، وبدأ يدربه على التخاطر وتنمية ملكاته المتميزة، فصار يعرف عمل محدثه، وعدد أطفاله، وهل هوعلى خلاف مع زوجته؟

وقد توصل إلى القدرة في رصد الأفكار والتقاطها. وكان يؤدي عروضه أمام الجمهور. وقد قابل (فرويد) و(انشتاين) وقد بث فرويد إليه رسالة تخاطرية تقول: اقتلع ثلاث شعرات من شارب انشتاين، ففعل ما أمره به، وقال فرويد: لقد نجحت تجاربي عليه، ولوقدر لي أن أحيا حياتي مرة ثانية لنذرتها لدراسة القدرات فوق النفسية.

وفي عام (١٩٢٧) التقى (ميسينغ) (المهاتما غاندي) في الهند، فجرب عليه هـذا بـث الأفكار، حيث أمره بأن يسلم ناياً لأحد الجالسين، وقد نفذ (ميسينغ) الطلب.

وفي عام (١٩٤٠) التقى (ستالين)، فطلب منه هذا أن يحضر له (١٠٠ ألف) روبـل من شباك مصرف موسكو، ففعل ذلك، لقاء ورقة بيضاء سـلمها إلى أمين الصنـدوق، وأوحى له برقم المبلغ دون أن يكتب شيئاً على الورقة، فسلمه هذا المبلغ، وأحضـره إلى (ستالين)، وعندما عاد إلى أمين الصندوق وأعاد إليه المبلغ، أغمي على هذا. كما طلب منه (ستالين) أن يقابله غداً في بيته الريفي الذي كـان مكتظـاً بـالحرس، دون أن يـزوده بإذن رسمي بالزيارة. فنفذ (ميسينغ) من بين الحراس ورجال الأمن بعد أن أوحى إليهـم أنه (بيريا) رئيس المباحث السوفيتية الذي كـان يدخـل علـى (سـتالين) دون اسـتئذان. وكان رجال الحرس والأمن يؤدون له التحية في كـل مدخـل. وفتحـوا لـه الأبـواب في طريقه إلى مكتب (ستالين)، على الرغم من أنه لم يكـن يشبه (بيريـا) في شـيء، فقـد كـان (ميسينغ) قصيراً أسود الشعر أجعده، في حين كان (بيريا) طويلاً يضع نظارات على عينيه.

وحين سئل (ميسينغ) عن الطريقة التي يقوم بها في قراءته لأفكار الآخرين أوإيحائها لهـم، أجاب بأن ذبذبات الدماغ التي تسجل تتباين من إنسان إلى آخر، وأن بعض الناس يسـتطيع التحكم بها ليجعلها تتلقى ذبذبات واردة، أويمكنه بث ذبذباته نفسها إلى الآخرين.

في موضوع قراءة أفكار الآخرين وضع د. طالب عمران قصـة (شـحنة الدمـاغ)(٤) جعل بطلها الشاب (سامر) الـذي يـدرس الشـهادة الثانويـة يمتلـك مـيزة قـراءة أفكـار الآخرين. وعندما اشترى له أبوه حاسوباً شخصياً جعله سامر لذة أيامـه، فصـار يجلـس أمامه الساعات الطوال. ثم انتهى إلى ربطه بكل مـا في البيـت مـن أدوات، فهويفكـك المسجلة ثم يعيد تركيبها بواسـطة الحاسـوب، ويحـرك الغسـالة بـأوامر مـن الحاسـوب. وعندما تخطر له فكرة ربط الحاسوب بجهاز تخطيط الدماغ ينفذها فوراً، فيستعير جهاز تخطيط الدماغ من قريبه الطبيب، ويجري التجربـة علـى نفسـه فيصعـق دماغـه، ويشـع رأسه بالضوء، فيصبح قادراً على قراءة أفكار الآخرين.

(٤) في مجموعته القصصية: شحنة الدماغ ١٩٩٦ .

ولكن هذه الميزة الإيجابية تصبح سلبية تجر عليه المتاعب، وتوقعه في إحراجات مع أصدقائه ومعارفة، حيث يكشف بوساطتها، عن سرقة بحث أبيه العلمي، من قبل زميله في الجامعة، ويكشف حباً كاذباً لشاب كان يحاول خداع فتاة لسلب أموالها. ويستفيد من هذه الميزة في امتحان الشهادة الثانوية حيث ينجح بتفوق، ويدرس الطب في الجامعة، ثم يختص بأمراض الدماغ، وينهي دراسته بتفوق أيضاً.

ومن الواضح أن عمران لا يجعل بطله هنا يولد مزوداً بهذه الميزة كما يولد العصفور مزوداً بالألحان العذبة، وإنما يجعلها نتيجة صاعق دماغي أكسبه هذه القدرة في قراءة أفكار الآخرين.

وفي موضوع (التخاطر) بين التوائم أثبت العلم حالات كثيرة كان التوءم يشعر فيها بالألم الذي يصيب أخاه، وقد شغل هذا الموضوع العلماء في السنوات الأخيرة، وعلى الخصوص بعد أن أكدت التجارب الفعلية التي أجريت وجود مثل هذا الإحساس المشترك.

وقد درس العلماء حالات كثيرة من التوائم في محاولة لفهم المزايا العقلية والبدنية التي تؤثر بها الوراثة، أوالتي تكتسب بالتربية والحياة اليومية.

فالتوءم (دونالد) و(لويس) يعيشان في أمريكا، وقد أجرى علماء النفس عليهما اختبارات هامة في التخاطر والأحاسيس المشتركة، فوصلوا إلى نتائج مذهلة: إذ أحس (دونالد) كأن تياراً كهربائياً يسري في فخذه وآلاماً حادة. وعندما كشف عليه الطبيب لم يجد سبباً عضوياً وراء إحساسه بالألم، فاتصل هاتفياً بأخيه التوءم (لويس) الذي يبعد عنه مسافة (٤٠٠ كم) في مدينة أخرى، فإذا به جريح في فخذه الأيمن. وهذا الألم المشترك يصيب التوائم المتماثلة.

وقد أجرى (دونالد) اختباراً أمام جمع من الصحفيين والأطباء النفسيين قال فيه: إنه سيطلب من أخيه (لويس)، تخاطرياً، أن يتصل به هاتفياً، وبعد ثوان بدأ جرس الهاتف يرن، فإذا بأخيه لويس يتحدث.

ولكن ربما هناك اتفاق بينك وبين لويس للاتصال بك في هذه الساعة.

-إذن انظروا.

وألقى (دونالد) كأساً على الأرض فانكسرت، فاتصل بأخيه قائلاً: طلبت مني كسر أقرب كأس.

وكان الطلب عن طريق التخاطر.

ويبدوأن هناك ما يشبه النوافذ الكهربائية في الدماغ، وفي حالة التوائم تكون هذه النوافذ أكثر انفتاحاً على بعضها في البث والتلقي، بحيث يمكن إرسال الرسائل عن طريق الدماغ بشكل يجعل كلاً منهما يفهم ما يقوله الآخر وما يفكر به أويشعر به أيضاً.

وهناك حالة أخرى فريدة للتوائم هي حالة التوءم (جيم) و(موريس) في الولايات المتحدة، فقد انفصلا بعد أربعة أشهر من ولادتهما، وعاشا (٤٨ سنة) بعيدين عن بعضهما.

وقد زارت كلاً منهما لجنة علمية، فتوصلت إلى نتائج مذهلة، فقد وجدت الاثنين يشبهان بعضهما في طريقة ارتداء الملابس، وفي اختيار ربطات العنق، وأن كلاً منهما قد تزوج فتاة تدعى (ليندا) وطلقها، ثم تزوج فتاة تدعى (بيتي)، وأن كلاً منهما سمى أولاده: (صوفي – بيتر – فيلكس) وأن كلاً منهما قد فرش منزله بنفس الفرش، في المقاعد والستائر الملونة بالأزرق السماوي، والمكتبة، ونوع التلفزيون، وترتيب المطبخ، وأن كلاً منهما يقتني كلباً من النوع الذئبي اسمه (ليدو)، وأن كلاً منهما يهوى السباحة والمطالعة وركوب الخيل، وأن كلاً منهما يقضي عطلته الأسبوعية على شاطئ الميسيسبي، وحتى زوجتاهما متماثلتان في الطباع وفي ترتيب الأولاد: فصوفي الأكبر، ثم بيتر، ففيلكس. فهل تخضع كل هذه الأمور للصدفة؟.

مستحيل أن تكون صدفة، وإنما هي التماثل في التوائم، وسببها الجينات أوالمورثات التي تلعب دوراً فعالاً في جعل المشاعر متشابهة، على الرغم من الانفصال البيئي، ذلك

أن التوائم تشترك بنفس الجينات التي انقسمت عند انقسام البيضة الملقحة بشكل متساوأيضاً. وهذا ما يفسر التشابه المذهل في طريقة حياتهما، على الرغم من انفصالهما عن بعضهما زمانياً ومكانياً.

وبناء على طلب اللجان العلمية فقد قاما بالتخاطر ونقل الأفكار، وعلى الرغم من أنهما كانا يقيمان في مدينتين منفصلتين، وقال جيم: سيملي علي (موريس) رسالة من منزله بالتخاطر هيا يا موريس، أنا مستعد لتلقي أفكارك الآن. سأمسك بالقلم. أنا جاهز. سأكتب ما تمليه: "تفيد مصادر منظمة الصحة العالمية أن (٨٠٪) من سكان العالم النامي يعتمدون على الأعشاب الطبية في شفاء كثير من الأمراض والأدوية العشبية، بخلاف الأدوية الكيماوية، رخيصة التكلفة، واستعمالها أسلم عاقبة، لأن آثارها الجانبية قليلة، إن وجدت، ولكن كثيراً من البلدان النامية تستخرج هذه الأدوية وتحضرها في ظروف غير صحية وغير علمية، وقل أن تجد بلداً نامياً وضع معايير لصناعتها واستخدامها ".

كان (جيم) يكتب مركزاً تفكيره، والعرق يتصبب منه.

وقالت اللجنة له:

-كيف كنت تشعر وأنت تكتب؟.

-كان القلم يتحرك بشكل آلي، ودماغي يستقبل الكلمات ليكتبها القلم.

بعد ذلك تم الاتصال هاتفياً (بموريس) ليقرأ مفردات الرسالة التي أملاها على أخيه، فإذا هي نفسها.

لقد أورد الدكتور عمران هذه المعلومات السابقة في كتابه (خفايا النفس البشرية) (١٩٩٤) (ص١٩٠ ومابعدها). وبناء على ذلك فقد وضع قصصاً (علمية) في هذا المجال، من مثل هذه التوائم العجيبة، وخفايا النفس البشرية، ونبع السحاب.. وغيرها.

في قصته (هذه التوائم العجيبة)[٥] (دينا) و(لينا) توءم حقيقي من بيضة ملقحة

---

(٥) في مجموعته القصصية: الذي أرعب القرية الآمنة ١٩٩٥.

منقسمة (أي بيضة لقحها حيوانان منويان انقسمت بعد التلقيح وتكون توءم حقيقي). كانت كل منهما متعلقة بالأخرى، عاشتا معاً الفترة الأولى من حياتهما. وبعد نجاحهما في الثانوية انفصلتا، فدرست (دينا) الهندسة المدنية في جامعة حلب، ودرست (لينا) الهندسة المدنية في جامعة دمشق، وهذا الفرق البسيط في الدرجات أدى إلى فصلهما عن بعضهما للدراسة في جامعتين متباعدتين.

وفي أحد الأيام شعرت لينا بآلام شديدة في رجلها فقصدت المشفى، وعندما فحصها الطبيب لم يجد أية إصابة، فطلب صورة شعاعية لرجلها، تبين فيها -أيضاً- عدم وجود أية إصابة، وحين عادت إلى البيت كان الألم قد زال، فاتصلت بأختها دينا هاتفياً، وعرفت منها أنها زلقت فكسرت رجلها، وهي في الجبس، قالت لها لينا:

-رجلك اليمين، والكسر تحت الركبة؟

-بالضبط. كيف عرفت هذه التفاصيل؟

فأفضت لها بالآلام الشديدة التي عانتها صباحاً. وهذا كله مستمد من شعور التوائم بالألم المشترك، وهوأمر علمي، ثم أضاف إليه د. عمران موضوعاً علمياً آخر هوالتخاطر بين التوائم، فجعل لينا تهتف من دمشق إلى شرطة النجدة بحلب لإنقاذ أختها التي تعرضت لخطر داهم.

وبالفعل وجدت الشرطة رجلاً عجوزاً يطرق بابها في تلك الساعة المتأخرة من الليل، ولدى التحقيق معه تبين أنه رجل مسكين فقد زوجته وأولاده في انهيار منزله، وحين صحا أصبح أشبه بمجنون يدور في الشوارع، وحين شاهد (دينا) التي كانت تشبه ابنته لاحقها حتى عرف بيتها، فجلس على الدرج يبكي، وعندما تفجرت مأساته وقهره وجد نفسه يطرق باب بيتها.

وفي قصته (خفايا النفس البشرية)[٦] يمزج د. عمران الحديث العلمي بالسرد القصصي، فيجعل الدكتور (جواد) وزوجته يزوران معرضاً غريباً في نيودلهي، له طابع

---

(٦) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

فلسفي هندوسي، وقد أدهشتهما التماثيل الملونة المتقنة الصنع، فإذا هي رجال أحياء يتخذون هذه الأوضاع طوال الوقت، فقد يقف أحدهم ثلاث ساعات متواصلة دون أن يتحرك أويرف له جفن، وقد شاهدا رجلاً يرتفع في الهواء، متغلباً على ثقل جسمه، ومناقضاً نظريات الجاذبية التي نعرفها، ورجلاً آخر عاري الصدر والظهر يتمدد على مسامير حادة مثبتة في لوح خشبي، دون أن تؤلمه، فقد تخشب جسمه، وغرق في سبات كالجثة الميتة (ليتارجيا)، وشاباً يقف على رجل واحدة طوال أربع ساعات. وكل هؤلاء توصلوا إلى هذا بوساطة (اليوغا) التي يقومون فيها بممارسة تمرينات جسمية متواصلة، وبترويض النفس على كبح جماح غرائزها.

وقد رغب الدكتور (جواد) في إجراء تجربة عليه، فقاده الرجل إلى غرفة جانبية وعصب عينيه بمنديل، ثم طلب منه أن يريح جسمه تماماً، وأن يصف ما يرى، فقال د. جواد: إنه يشاهد جزيرة وسط البحر، يحيطها الضباب، وإنه في طائرة فوق الغابات الكثيفة، وإن نبعاً يجري جدولاً يصب في البحيرة، وإن البيوت على الشاطئ، وإن الصيادين يلقون بشباكهم في البحر، والأطفال يلعبون قريباً منهم. ثم طلب منه أن يستيقظ، ففعل.

فقال له المنوم: إن الجزيرة التي أراه إياها من خلال التخاطر ليست سوى صورة لجزيرة معلقة على جدار الصالة، وإنه يعرف الناس على قدراتهم. ولكنه يحذرهم من الانجراف وراء نزواتهم وشهواتهم التي تقصر من أعمارهم، وتحد من عطاءاتهم. وقال له: إن إغراءات الجنس والكحول والدخان وتناول اللحم والحقد والحسد كلها تؤثر على حياة المرء، وتبعده عن الطريق السوي الذي يفجر طاقاته المخزونة.

ويعترف الدكتور عمران في كتابه (خفايا النفس البشرية) (١٩٩٤) أنه قام بهذه التجربة في الهند، وأنه هوالدكتور (جواد) بطل هذه القصة.

وعندما يجد الدكتور عمران هذه المعلومات العلمية عن التخاطر بين التوائم والأفراد المتميزين، يستثمره في غزوالكواكب والفضاء، فيجعل التخاطر بين الكواكب، في قصته

(نبع السحاب)[٧] وهويحلم بمدن فاضلة، ولكن ليست علـى الأرض، وإنما في الكـون، هرباً من جحيم البشر الأشرار. ففي هذا العصـر المضطرب يشـهد المرءفوضـى تتفـاقم وتحاصره بالمشكلات الجديدة، والأمراض الجديـدة، والعلاقـات الاجتماعيـة المتفسـخة، والتلوث، والنفايات، وثقب الأوزون.. وكلهـا مظـاهر تسـحق الإنسـان تحـت عجلـة الحضارة الحديثة.

وأمام ظروف الإنسان الصعبة هـذه، والمستقبل المجهـول المرعـب، يتوهـج الحلـم في أعماقه من أجل تجنب المظـاهر المخيفـة والأخطـار المحدقـة الـتي تهـدد الجنـس البشـري بالزوال، ويصبح الحلم بمدن فاضلة يحكمهـا أنـاس ذوونزعـة إنسـانية خـيرة، لايحملـون حقداً ولا ضغائن ولا جرائم، مستقبلاً مشروعاً على الكواكب الكونية، بعيداً عن أذى البشر وحقدهم وأنانيتهم.

و لم يكن (أمجد) مغامراً عادياً، ولذلـك فرحلتـه إلى (نبـع السـحاب) لم تكـن رحلـة عادية. فنبع السحاب هي مدينة مرتفعة فوق قمة مخروطية تحيط بها السـحب مـن كـل جانب. و لم يكن الوصول إليها سهلاً، فقد كان على قاصدها أن يمـر في طريـق محاطـة بالأخطار والمهالك. ولذلك كثرت حولها الحكايات والأساطير، فقيل عنها: إنها مدينـة تسـتوطنها الملائكـة، وتشـرف عليهـا (الأم الكبـيرة) الـتي تسـير أمورهـا بكـل حكمـة وشجاعة وهدوء.

وقد اجتاز أمجد في صعوده إليها، ممـرات المـوت المخيفـة، وواجـه كهـوف الظـلام، حتى وصل إليها فاستقبلته (الأم الكبيرة) بوجه يفيض طيبة وحناناً:

-أهلاً بك في مدينتنا يابني. اجتزت اختباراتك بنجاح، أنت شاب نقي العاطفة.

-جئت أحمل همومي ومتاعبي ويأسي من النـاس الذيـن يعيشـون في هـذا العصـر المرعب، إنهم جاهلون تماماً بمصيرهم، تتحكم بهم فئة باغية أصبحت قـدوة لغـالبيتهم، يقلدونها في حمقها وميلها إلى الشر.

---

(٧) في مجموعته القصصية: الخروج من الجحيم ١٩٩٤.

إن (الأم الكبيرة) في مدينة (نبع السحاب) هي المرجع الأساسي في كل الأمور، ورأيها هوالقرار النافذ، لأنها الأكثر معرفة وحكمة. وفي المدينة سوق يأخذ منه الناس حاجات يومهم دون نقود، إذ لا أموال متداولة. والعمل هوالذي يتيح للمرء أن يتناول طعامه وشرابه ويرتدي كساءه دون مقابل. والمساكن مؤمنة للجميع، وكذا العناية الطبية، والناس يمارسون علاقاتهم بشكل طبيعي، فهم يتزوجون، ويربون أولادهم دون مشقة. والجميع يقبلون قرار المجلس الاستشاري في تحديد عدد الأولاد، وفي الانسجام بين الزوجين.

وفي المدينة مطار فضائي تنطلق منه المركبات الفضائية إلى الفضاء الخارجي، وإليه تعود. وفيه كائنات عاقلة من الفضاء الخارجي ومن سكان المدينة، وقد عرفه دليله بـ (آفتار) أحد الكائنات العاقلة القادمة من كوكب (الشفق) الذي يبعد عن الأرض عشر سنوات ضوئية.

جلس (أمجد) و(آفتار) في غرفة عالية التقنية، وبدآ يتحدثان عبر شاشات أجهزة الرؤية المضاعفة، وما يقوله أحدهما يراه الآخر مجسماً على الشاشة. أعاد لأمجد تاريخ النهوض الحضاري البشري، وأراه الحروب التي تفجرت في كل مكان بسبب الأنانية والوحشية فأودت بملايين البشر.

لم تجد كائنات الفضاء الخارجي في الكرة الأرضية غير هذه المدينة المتميزة مستقراً ومطاراً ومحطة أمان، فانطلقت منها وإليها في رحلات فضائية، وصادقت من سكان الأرض مَنْ وجدت فيهم الصدق والتعاون والإخلاص وحب العلم والسلام.

-أليس في كوكبكم صراع أوأحقاد؟ أليس هناك تهديد بأخطار الإبادة الشاملة كما هوالحال هنا؟

-كوكبنا يا أمجد تخلص من هذه الشوائب منذ آلاف السنين، ورغم أعدادنا الكبيرة، وهي أضعاف أعدادكم، فإننا نعيش متعاونين متكاتفين، نحب بعضنا بعضاً، وهذا ما ساعدنا في رحلات الكشف عبر الفضاء.

هل نستطيع إيقاف التوسع في ثقب الأوزون مثلاً، والكـل يعـرف خطـره؟ لا. لأن المكيفات والبرادات ومثبتات الشعر والعطور المضغوطة لا يمكـن الاستغناء عنهـا حتـى ولوعرف مستخدمها أنه يموت بسببها، إن حضارتنـا تميتنـا ببـطء، وإن صناعتنـا تطلـق الكربون المحترق في الجو، فيتحد مع الأوكسجين الذي سيدفيء الكوكب عدة درجات مئوية، وسوف تذيب هذه الحرارة قسماً كبيراً من جليد القطبـين، وتغمـر المياه بعـض الجزر والموانئ. ومع ذلك فإنهم لا يوقفون صناعاتهم، ولا يقللون منها، حتى لودمـروا الكوكب وقتلوا سكانه. المهم لديهم هوأن يكونوا أثرياء سادة، وسواهم عبيد.

إن الحروب التقليدية أوالنووية إذا لم تدمر الكرة الأرضية، فإن تلوث البيئة هوالـذي سوف يدمرها، ذلك أن ثقب الأوزون الآخذ بالاتساع، والذي لم يعـد يحجـب أشـعة الشـمس تحـت البنفسـجية عـن الأرض، سـوف يحـرق الأشـجار والنبـات، والحيـوان والإنسـان، وإن النفايـات الذريـة الـتي تسـتقبلها الـدول الفقـيرة أوأبنـاء حكامهـا ومسؤوليها، ليزرعوها في صحاريها أوبحارها، سوف تدمر الـزرع والضـرع والإنسـان مستقبلاً.

وهكذا يدفـع الإنسـان ثمنـاً باهظـاً لحضارتـه، حـين يدفعهـا إلى الانتحـار، ويكـون بانتحارها هلاكه.

لكن البشر من ذوي العقول العلمية المسـالمة يحرصـون علـى بقـاء الخـير، ويحـاولون إنقاذ الأبرياء من البشر، والذين تتحكم القلة الطاغية بمصيرهم، وهم يعيشـون ويموتـون دون أن ينتبه لهم أحد من قادتهم. ولهذا فهم يعملون علـى الاتصـال بكائنـات الفضـاء العاقلة لإيقاف التدمير الذاتي للحضارة البشرية وغيرها من الحضارات الأخرى.

ولهذا يخضع (أمجد) لتجربة تخاطرية يصبح فيهـا رسـول مدينـة (نبـع السـحاب) إلى حكماء كوكب (الشفق). وكان قبل ذلك قد أجرى تجربة تخاطريـة مـع حبيبتـه ليلـى، حيث أجلسه الطبيـب النفسـي في مدينـة (نبـع السـحاب) العلميـة، وطلـب منـه تخيـل الشخص الذي يريد أن يتحاكى معه تخاطرياً، وتركيز ذهنه حول الشخص، وألا يشرد أبداً عن التفكير به، وسرعان ما غطى وجه ليلى كل خيالات أمجد، فعـاش معهـا قصـة

حب جميلة، كانت كل شيء في حياته. خاطبها فأجابت، قالت له: إنها في شوق زائد إليه، وإنها ستأتي إليه. اعتذرت له عن المظاهر الفارغة التي غرتها عنه، والفرسان الذين يختالون ببدلاتهم المذهبة الذين انشغلت بهم عنه، إنها الآن نادمة، والعمر يمضي، وأمها تقول لها: "فقدت أطهر رجل على وجه الأرض، رجل يعطي ولا يفكر بالأخذ".

وحين صحا (أمجد) من تجربته التخاطرية مع ليلى، وسجلتها الأجهزة المتطورة، أصبح أمجد مستعداً للتجربة التخاطرية الكونية، بين علماء الأرض وعلماء كوكب (الشفق) الذين هم على بعد عشر سنوات ضوئية.

-أمن الممكن أن نتخاطر على هذا البعد الهائل؟

-نقل الأفكار والخيالات المجنحة المستندة على الحقيقة أسرع من الضوء بكثير.

تمدد (أمجد) على ظهره على السرير الذي بدأ يهتز ببطء، فشعر بالنعاس. وبدا السرير يتحرك على عجلات من المطاط، خرج من المبنى وانزلق على منحدر صقيل، حيث انفتح أمامه باب تحت أحد الأطباق الطائرة، حيث اجتمعت بعض الكائنات حوله، وبدأت عملها بصمت، كانت مهمتها في البداية الدخول إلى ذهنه وإعطائه فكرة متكاملة عن الحياة فوق كوكب (الشفق) وأشكال الكائنات هناك، وبدأت الأجهزة المعقدة تومض وتتوهج، والمؤشرات تتذبذب.

وامتدت أشرطة إلى رأسه ربطت بصمامات نحوشاشات متلفزة موزعة داخل الطبق: "لاتقلق يا أمجد. سنعطيك تصوراً عاماً عن حكماء كوكب (الشفق)، ليسهل عليك مخاطبتهم، والتحدث معهم ونقل ما تفكر به إليهم. سنساعدك في الوصول إلى الكوكب عبر هذا البعد الشاسع".

إنه يعي كل ما يجري حوله، وما ينقل إليه من معلومات، رغم أنه يبدو كالنائم. أحس كأنه يطير بسرعات هائلة بين الكواكب، يخترق الفضاء ويقترب من مجموعة كوكبية تدور حول نجم مشع في حجم شمسنا. يتغلغل في سحب الكوكب، وينفذ إلى سطحه، ويقترب من بناء ضخم، بداخله شيوخ بلحى طويلة، جلوس حول منضدة

ضخمة، يبدأ الحوار الذي استمر معهم لمدة ساعتين. كان الحوار يدور حول السبل الكفيلة بإنقاذ كوكب الأرض المتخم بمشاكل البيئة التي تهدد الحياة على سطحه.

وقد توصل حكماء (نبع السحاب) بالتعاون مع الكائنات العاقلة القادمة من كوكب (الشفق)، والتي تزور المدينة المتربعة فوق سقف العالم الأرضي إلى لغة مشتركة، أسفرت عن الوصول إلى نتائج هامة على طريق حل مشكلات الكوكب الأرضي.

وتقول بقية الحكاية: إن الناس في كوكب الأرض أفاقوا ذات يوم على مركبات فضائية غريبة تنتشر في الجوحولهم، وهي تطلق مواداً تنقي الهواء والمياه الملوثة، وتوقف الصناعات الحربية، وتفسد الأسلحة الذرية، وتسد ثقب الأوزون، وتزرع الخير والحب في النفوس، ومن لم يستجب توقف قلبه عن الخفقان.

وهكذا يضع د. عمران العلم في خدمة السلم والإنسان، ويجعل التواصل بين الكواكب تخاطرياً، وهذا أسرع آلاف المرات من رسالة تقنية يبثها العقل الإلكتروني والذي إذا افترضنا أنها تنطلق بسرعة الضوء فإنها لن تصل قبل عشر سنوات ضوئية، ولن يعود جوابها قبل عشر سنوات أخرى. لهذا كان التخاطر البشري أسرع من كل التقنيات العلمية.

وقد حقق هذا التخاطر هدفه في إنقاذ الحضارة الأرضية من التلوث البيئي الذي يهددها بالدمار، وذلك بفضل تعاون الحضارات الكوكبية في الكون ومساعدتها بعضها بعضاً في الملمات.

ويضع الكاتب أصبعه على الجرح حين يشير إلى أسباب هذا التلوث الذي حل بالكوكب الأرضي، فيجعلها في أنانية الإنسان المستغل الماضي في صناعته التي تطلق في كل لحظة ما يلوث الأجواء ويقضي على الأحياء، إضافة إلى النفايات الذرية، وثقب الأوزون ...إلخ. وكلها مشكلات بيئية انتقلت إلى داخل النفس البشرية فتلوثت هذه أيضاً بالفساد، ومضت في وضاعتها تهدد الجنس البشري بالزوال. ومن هنا كان الحلم

بمدن فاضلة يحكمها أناس ذوونزعة إنسانية خيرة هوالملجأ والمنقذ. وهذا ما فعله سكان مدينة (نبع السحاب) الذين يجسدون الخير والعلم، فقد تواصلوا مع كائنات الحضارات الكونية التي استطاعت إنقاذ الحضارة البشرية من دمارها.

٣- الاستبصار بالأحلام والتقمص:

كثيرون منا يملكون ميزة الاستبصار عن طريق الأحلام، ولكنهم يهملون هذه القوة، أولا ينتبهون لها. أما تفسيرها، فيشبه اختراق حاجز الزمن، حين يرى المرء في أحلامه، ما سيراه مستقبلاً في الواقع. وقد تحدث الدكتور عمران في كتابه (الحاسة السادسة) (١٩٩٠) عن عدة أحلام رآها في نومه، فتحققت في عالم الواقع في الأيام التالية. ثم رغب في أن يجعل هذا الموضوع واحداً من اهتماماته في القصص الإبداعي، فوضع عدداً من القصص العلمي الذي يعالج هذا الموضوع ويرصده كما في قصصه: هوس الأحلام، وأحلام في ذاكرة مدهشة، ورجيع يتردد كالصدى.. إلخ.

في قصته (هوس الأحلام)[٨] يؤكد د. عمران هذه الظاهرة الخفية المدهشة في النفس البشرية والتي لم يثبتها العلم فحسب، بل والديانات أيضاً، فقد اعتبرتها نوعاً من (الكرامة) للرائي.

ويقدم الكاتب لقصته الأصلية هنا بقصة فرعية (علمية) عن الدكتور (أنطونيو) الباحث الإسباني الذي رأى في عام (١٩٨٠)، حلماً مزعجاً عن قنبلة ودمار، فأفاق واستمع إلى المذياع، فإذا ما رآه حلماً قد تحقق يقظة، وأذيع من إحدى المحطات الإذاعية، مما جعله يعتقد أن الحدث المأساوي الذي رآه في الحلم انتقل إلى عقله الباطن، عبر المسافات الشاسعة.

وهذه القصة القصيرة هي مقدمة لتساؤل الكاتب عن إمكانية أن يحلم المرء بأناس ويعايشهم فترة من الزمن، ثم يلتقيهم في الحياة الواقعية، كما حدث مع (سامر) الشاب الحلبي المهندس الذي كان يرى نفسه يومياً في الأحلام، مع أسرة على شاطىء البحر،

---

(٨) في مجموعته القصصية: بئر العتمة ١٩٩٥.

كأحد أفرادها، حيث كانت أخته ندى، وأبوه وأمه يعيشان في المدينة الساحلية البعيدة عن أسرته التي تعيش في مدينة حلب.

وقد تركزت كل أحلامه على هذه الأسرة الجديدة التي رأى نفسه واحداً من أفرادها، وكان كلما حدث لهذه الأسرة أمر، علم به عن طريق الأحلام، فقد رأى مرة أن أخته (ندى) قد صدمتها سيارة كسرت كتفها. فغادر إلى المدينة الساحلية التي تبعد (١٨٠كم) عن بلده، ليتحقق من صدق رؤياه، وحالما وصل المنطقة تعرف على بيوتها التي كثيراً ما شاهدها في نومه، واستدل مباشرة على بيت ذويه المطل على البحر، فقرع الباب، وعندما فتحت (أمه) حكى لها قصته. فقالت: إنه يشبه ابنها (ماجد) الذي صدمته سيارة منذ عام في حلب، فحزنت أسرته عليه كثيراً. وزارتها (سهى) خطيبته الحلبية مواسية، وعندما تخرجت في الجامعة عينت هنا مدرسة علوم. وقد التقاها (سامر) بعد أن كان قد التقاها في الأحلام؟ وكانت (سهى) قد رأت الشاحنة التي صدمت (ماجد) فتعلقت بها لتمسك بالسائق المجرم، لكن هذا دفعها فسقطت أرضاً، وأسرع الناس لإسعافها، وتم إلقاء القبض على السائق.

فماذا يمكن أن نسمي مثل هذه الحالات العجيبة من الأحلام؟ أهي نوع من التقمص الآني؟ أم ترى طيف (ماجد) الأثيري انتقل لشحن ذاكرة صديقه (سامر) من خلال الحلم؟.

إن (التقمص) حالة غريبة يتحدث فيها المرء عن تفاصيل أحداث عاشها في حيوات سابقة.

وقد كان (التقمص) في المعتقدات الوثنية محور الحياة بعد الموت، فالذين يعصون الآلهة ويرتكبون الذنوب يصبحون بعد موتهم حيوانات أوصخوراً أوأشجاراً، وذلك بحسب ذنوبهم، ومن يطع الآلهة ويتبع تعاليم الكهنة يصبح الفردوس مأواه.

ثم انتقلت هذه المعتقدات إلى الديانات السماوية، فآمنت بها بعض الطوائف الدينية، ولكن العلم ما يزال عاجزاً عن تفسيرها، فعندما يتحدث طفل لايتجاوز

السابعة من عمره، عن زواجه السابق، وموته بطلق ناري، هل يؤخذ كلامه على محمل الجد، فنقول: إن روحه التي كانت تعيش في جسد مات، ثم انتقلت إلى جسد آخر جديد؟ أم أنه يخرف؟.

وفي قصته (رجيع يتردد كالصدى)[٩] يتابع د. عمران جلاء صورة هذه الظاهرة المدهشة في خبايا النفس البشرية، فيجعل أستاذاً جامعياً يرى هذه الأحلام التقمصية، هوالدكتور (عمار) الشاب المتفوق والأستاذ في الجامعة، والذي قضى عامه الدراسي الأول متعباً يائساً، بعد أن كان مندفعاً للعمل في البداية، وقد حمل معه بحوثه وآماله في متابعتها، فاصطدم بمعوقات الروتين والشكليات، و لم يكن يتوقع أن الجامعة على هذا القدر من التخلف.

وفي صيف عام (١٩٨٩) قضى الدكتور عمار إجازته الصيفية في مدينته الساحلية، بعد أشهر من العمل والإرهاق، وقد خصص له أهله غرفة كانوا يستخدمونها للمؤونة، فوضعوا فيها سريراً ومنضدة وكرسياً، ونصب له والده عدة رفوف لكتبه، وقد عرف ولعه باقتناء الكتب.

غفا عمار قليلاً فأحس طرقاً على الباب، وعندما فتحه وجد (سارية) التي سار معها إلى البحر، وهما متعانقان لكنه سرعان ما استيقظ.

ثم غفا ثانية فإذا الأميرة (سارية) تتدله في حبه، على الرغم من كونها محط أنظار الفرسان والشجعان.

عادل: أنت أجمل لؤلؤة في المملكة، حبك للناس وللعدالة أمر عظيم.

سارية: وأنت أطهر رجل في المملكة، وأشدهم قوة مع الحق وضد الظلم.

ثم صحا من نومه.

وتكرر الحلم: أعلمته (سارية) أن والدها قد وضع جائزة لمن يقبض عليه، فصار يختبئ في الجزيرة الصغيرة.

---

(٩) في مجموعته القصصية: بئر العتمة ١٩٩٥م.

وفي إحدى المرات رأى (عادل) نفسه مع سارية وقد أحاط بهما الجند من كل جانب، قبضوا عليه وأخذوه إلى الملك.

صحا (عمار) مرعوباً، ثم استشار الطبيب الذي استغرب حالته قائلاً له: الذي أعرفه أن الاستبصار بالحلم يكون عن أحداث ستقع، أما أن ترى أحلاماً عن حياة ماضية، تفصلنا عنها مئات السنين، فهذا غير مفهوم.

غفا (عمار) فشاهد الملك يأمر بصلبه إلى عمود حجري، صحا فشاهد العمود نفسه بين الآثار القديمة التي تكتظ بها مدينته، جاء بعمال لتنظيف العمود عما حوله من أتربة وحجارة، وقد اقشعر بدنه وهويرى داخل العمود الحجري هيكلاً عظمياً مقيداً بالسلاسل، أهذا هو(عادل) الحلم الذي أمر الملك بصلبه؟

أمر (عمار) بدفن الهيكل العظمي تحت شجرة قريبة.

وفي الحلم زارته (سارية) وشكرته على دفن حبيبها الذي كان قد تقمص شخصيته لبعض الوقت، ثم اختفت من حياته بعد ذلك تلك الأحلام التي أوشكت أن تودي به إلى الجنون.

وهكذا انتقل الكاتب من الاستبصار بالحلم ومشاهدة ما سوف يقع للمرء مستقبلاً قبل وقوعه إلى تنويعات من التقمص حيث يرى المرء نفسه في زمن ماض بعيد، وفي عمل واسم وحياة غير ما يحياه اليوم، وهذا التداخل ما يزال لغزاً من خبايا النفس البشرية وأسرارها التي لم يستطع العلم بعد الكشف عنها أوتفسيرها، كما هوالحال في القصة السابقة، وفي القصة اللاحقة (أحلام في ذاكرة مدهشة)[١٠] حيث يرى في الدماغ البشري جهازاً معقداً مليئاً بالأسرار والخفايا، وفيه خلايا وراثية تحمل صبغيات عليها ذكريات ترثها من الأجداد. وعن طريق الحلم، ينتقل المرء، أحياناً، وهونائم إلى الماضي البعيد، وهكذا انتقل (أحمد) في حلمه الغريب الذي عاش تفاصيله، وتعلق بشخوصه لدرجة أنه أصبح هاجسه، فيشتاق إلى ميعاد نومه ليراه، حيث يرى نفسه في

(١٠) في مجموعته القصصية: الخروج من الجحيم ١٩٩٤.

مدينـة غريبـة تبدومذهلـة بدقتهـا وجمالهـا، في قصـر فخـم يحيـط بـه الحـراس والجنـد، وهوالأمير (أومان) الفارس الذي يحب (سولا) ابنة الملك التي خطفها الرومـان، فيهـرع لإنقاذها على رأس مجموعة من الفرسان المدججين بالسلاح.

استيقظ (أحمد) من حلمه الجميل، وفكر في أن يستشير طبيباً نفسياً ينقذه مـن هـذه الازدواجية.

وفي حلم الليلة التالية رأى نفسه يدخـل المدينـة القديمـة علـى ظهـر حصـان أصيـل، وخلفه الفرسان، وقد انتظموا في صفوف متراصة، والملك يرحب به قائلاً:

-أهلاً بك يا (أومان) منتصراً مكللاً بالغار.

ولا يرى الملك مكافأة له أكبر من تزويجه بابنته (سولا) بعد أن ربط الحب بين قلبيهما.

ثـم صحـا (أحمـد) مـن نومـه، فذهـب إلى صديقـه الطبيـب النفسـي وعـرض عليـه مشكلته، فقال له الطبيب:

-استرخ جيداً يا أحمد، واحك لي حكايتك دون أن تترك صغيرة أوكبيرة، استرخ كأنك تريد أن تنام وأجب عن أسئلتي.

– بدأت القصة قبل عامين وفي ليلة ماطرة قرع الباب، وحين فتحته وجدت فتـاة وقد بللها المطر، أشعلت لها المدفأة ودخلت لأوقظ أمي لاستقبالها، كي تشعر بالأمـان، وحين عدت إلى الصالة كانت الفتاة قد اختفت، والمقعد الذي جلست فوقـه مـايزال مبلـلاً بالماء، فجلست أتذكر وجهها المألوف لدي، إنها (سولا) التي أراها في أحلامي المتكررة.

طلب منه الطبيب أن يشغل نفسه بشيء ما، وأن يتعب جسمه بـالعمل نهـاراً، وأن ينام دون عشاء، كنوع من العلاج المبدئي.

لكن الأحلام المتكررة تواصلت باستمرار: إنه يرى نفسه دوماً في مدينة (انـتردوس) الساحلية، وحوله الفرسان بسيوفهم ودروعهم في القصر الملكـي، والملـك يبـارك زواج قائده الأثير (أومان) من (سولا) ابنته، ويتنازل له عن العرش.

وعندما استفاق (أحمد) هرع إلى الطبيب النفسي الذي طور علاجه، فأخذ ينومه تنويماً مغناطيسياً، لينفذ إلى خبايا ذاكرته، ويكشف عن سر هذا العالم العجيب الذي يعيش فيه بأحلامه.

وحين خرج (أحمد) إلى الشارع لمح فتاة أحلامه (سولا) فهرع إليها، عارضاً عليها ما جرى له في أحلامه معها.

وعند ذلك عرض عليها الطبيب السفر معهما، فانطلق الثلاثة إلى (طرطوس) وعند مدخل المدينة بدأت ذاكرة أحمد تعمل وتتخيل المرفأ الفينيقي قبل آلاف السنين، رأى شاطئ طرطوس التي كان اسمها (انتردوس) في ذلك الزمن الغابر، حيث كانت أحد المرافئ الهامة للفينيقيين، وقد أيقظت الفتاة ذاكرة (أحمد) الوراثية فعرض عليها الطبيب الزواج منه، فمادامت معه في بيت واحد فإن وجودهما معاً سيكون أقوى من الصور التي تأتيه في الحلم.

قبلت الفتاة عرضه، وهويحدق بالقوس الفينيقي الذي كان قائماً حتى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين يتحدى الزمن والأمواج المتكسرة على الشاطئ، وقد أزيل عندما بدئ ببناء مرفأ طرطوس الجديد.

وإذن فإن (الحلم) ليس هذياناً، وإنما هوخلاصة الأحاسيس والتجارب والذاكرة الوراثية، إذ أن ذاكرتنا تومض أثناء النوم، وأثناء ممارسة الحياة لوجود مورثات تحمل طبيعة الشخص وخلاصة معرفة الأجيال.

وهكذا يتوازى، فنياً، خطان صاعدان في القصة، في زمنين ومكانين مختلفين: خط (أحمد) في حياته الواقعية التي يعيشها اليوم، وخطه في حياته الماضية، قبل آلاف السنين، حيث كان اسمه (أومان) وكان فارساً شجاعاً، تزوج (سولا) ابنة الملك وورث الملك.

وقد انتهت القصتان: الواقعية والحلمية، بالزواج، وهي النهاية السعيدة التي قيضت (لأحمد / أومان).

وهذا الاستبصار بالحلم، وهذه التنويعات على التقمص توضح تأثير الذاكرة

الجماعية التي تتوارثها الأجيال، فتكون عنصراً في صبغياتها (جيناتها)، ومن ذلك وضع الكاتب عمران لقصته هذه التي يحيي فيها مدينته الأثيرة (طرطوس).

٤- التنويم المغناطيسي:

جانب آخر من خفايا النفس البشرية هوموضوع التنويم المغناطيسي الذي أثبت العلم صحته، واستفاد منه كنوع من العلاج، ولكنه لم يستطيع بعد تفسيره أوتحليل آلياته.

ولعل أشهر الشخصيات المعروفة بالتنويم المغناطيسي والقدرات الخارقة وإعطاء الأوامر عن طريق الذهن، هوالروسي (راسبوتين) الراهب الشيطاني الذي كاد أن يصل إلى عرش روسيا القيصرية، لأنه كان يملك قدرات نفسية خارقة، وقد تتلمذ في صغره على (الشمانيين) في سيبيريا، وهم يعبدون القوى الخفية في الإنسان ويربطونها مع القوى الإلهية والطبيعية. وقد نجح (راسبوتين) في تعلمه على أيديهم، وتمكن من اجتياز التدريبات الشاقة التي كانت كثيراً ما تودي بحياة الراغبين بالتعلم.

وقد بدأ (راسبوتين) رحلته كقديس يشفي المرضى ويمنح البركة والصفاء لمن يشكوالعلل والأمراض، وكان كثيراً ما يوحي لمن يقابله بما يشاء، ولهذا وقعت فتيات عديدات من أسر محافظة تحت سيطرة سحر تأثيره. ووصل به الأمر إلى أن أصبح أشهر رجل في روسيا، فقد استقدمته القيصرة لعلاج ابنها الذي كان يشكومن نزيف الدم المتكرر. وقد نجح (راسبوتين) في وقف النزف، وفي تحرير وجه الفتى المتألم من تشنجاته، فأصبح طيعاً هادئاً، وأصبح تأثير (راسبوتين) على مريضه، بأوامره الذهنية، ممكناً حتى على بعد مئات الأميال.

ويحدثنا د. عمران في كتابه (الحاسة السادسة) (١٩٩٠) (ص٣٤) أنه حتى عهد قريب كان (راجنيش) في الهند معبود الجماهير، لإقبالهم عليه من أنحاء العالم، وقد أصبح له أتباع منتشرون في كل مكان من العالم، وهورجل من جنوب الهند، حصل على (الماجستير) في الرياضيات أوائل الستينيات من هذا القرن، وكان يتمتع بقدرات تخاطرية خارقة، فبدأ يدعوإلى طريقة جديدة في الحياة (عش كما يحلولك، شرط ألا

تؤذي الآخرين). وكان يتوجه إلى أتباعه بمثل هذه الأفكار التي يبثها في أحاديثه ومحاضراته. وكتبه (حرر جسدك تماماً، حاول الخلاص مما حولك، ابتعد عن ماضيك، عش في المركز، أخرج كل السلبيات من جسمك، كن نظيفاً من الحقد والكره، ركز تفكيرك في الحب والغفران، نحن ضيوف على هذه الحياة، الحياة مسرح فالعب بجمالية ما استطعت).

وتدفق الناس عليه، وأغلبهم من الشباب الغربي الضائع (الهيبيز)، ومن الباحثين عما يملأ حياتهم الفارغة، فكانوا صيداً سهلاً لرجل يتمتع بقدرات خارقة، وبدأت الأموال تتدفق عليه، فافتتح مكاتب لدعوته في الهند، وبريطانيا، والولايات المتحدة، وفرنسا، ثم في معظم الدول الأوربية، وكان حضور محاضرة له يكلف الشخص نحوستين دولاراً، وحين سافر إلى الولايات المتحدة لأول مرة احتشدت الألوف لاستقباله في المطار، وتسابق العلماء لدراسة هذه الظاهرة الفريدة التي شدت انتباه الشباب الغربي، ووصل عدد الذين قدموا في فلسفته، رسائل جامعية عالية (دكتوراه) أكثر من عشرين دارساً.

وحين عادت (أنديرا غاندي) إلى السلطة عام (١٩٨٠) أمرت بطرده من البلاد، إذ تبين أن كثيراً من أتباعه يتعاطون المخدرات، والتهريب والتجسس، ولم تكن فلسفته تمنع ذلك فاستقر منذ عام ١٩٨١ في الولايات المتحدة، وتزوج أمريكية، وبدأ يتخلى شيئاً فشيئاً عن شخصيته الساحرة، وصار له أسطول جوي، وقوة بوليس وإطفاء، ودار لنشر كلماته وخطبه في مطبوعات، ومحطة إذاعية لبث محاضراته وأفكاره، ومحطة تلفزيونية خاصة بأحاديثه وخطبه في أمريكا التي فتحت له أبوابها مادام (صرعة) جديدة لإلهاء الشباب وإبعادهم عن التدخل في شؤون حكومتهم.

٥- ويسألونك عن الروح:

كما التفت د. عمران إلى ظاهرة أخرى من خفايا النفس البشرية كان قد شاهدها في الهند، أثناء دراسته وإقامته الطويلة فيها، هي ظاهرة خروج الروح من الجسد لبضعة أيام ثم عودتها إليه ثانية، ففي أحد الأيام استوقفه شيخ هندي في الطريق وقال له: "أنت شاب، لديك طموحات عديدة، يأتي إليك مال كثير، ولكنك لا تحب الاحتفاظ به، تعذبت في حياتك، لكنك صلب، قهرت صعاباً وصمدت، وستزور بلداناً كثيرة".

وعلى الرغم من أن مثل هذا الكلام يمكن أن ينطبق على أي شخص، لعموميته وشموله، وأن الراوي لم يأخذ كلام الشيخ على محمل الجد، لكونه أحبولة أوفخاً يصطاد به في مهنته، إلا أن ما شده إلى الرجل هوقدرته على قراءة أفكار الآخرين، ومعرفته بخبايا النفوس، عن طريق ومضات الذهن. هذه القدرة التي أصبحت اليوم علماً قائماً بذاته.

وقد قاده الرجل إلى بيته، وحكى له عن تمريناته الروحية التي يحاول فيها السيطرة على نفسه، والدخول في حالة من السبات غير الطبيعي (الليتارجيا)، والقدرة على التخشب بلا حراك كالجثة الميتة، ثم بدأ يحاول الانفلات من جسده تماماً، والخروج إلى أي مكان بكامل حواسه، بينما يبقى جسمه هامداً بلا حركة. وقد استطاع الخروج من جسمه، والتجول في أماكن عديدة من العالم لمدة تسعة أيام قبل أن يعود إلى جسده، ورأى في هذه الرحلة العجائب: فالمنبوذون ينتشرون على الأرصفة، ويطاردون الناس من أجل لقمة تسد الرمق، وأحدهم ينهال بسوطه على الآخر، ونسر ينقض على أرنب، وباخرة تجنح نحوجزيرة صخرية، وأقمار تجسس وتنصت، وأسلحة دمار، لماذا يكره الناس بعضهم بعضاً؟ ولماذا يتقاتلون من أجل تفاهات؟

-أكنت تحلم؟

-لا. كنت خارج جسدي. أرى وما شهدته كان حقيقة واقعة.

فهل يمكن القطع اليقيني بأن الروح قد خرجت من جسدها ثم تجولت في الآفاق وعادت.

وإذا كانت روح النائم تقطع المسافات وتنتقل عبر الأمكنة، وتفرح وتحزن، وتشعر وتتألم، فهل هي في جسدها؟ وإذا لم تكن فلم يشعر النائم بكل ما يحيط به من رنين جرس ساعة المنبه أوالهاتف؟

إن بعض الناس يتمتعون بقدرات خارقة، وينظر إليهم كممسوسين بقوى خفية، وهم يولدون متمتعين بهذه القدرات الخارقة، فإذا لم ينتبهوا لملكاتهم هذه خبت ونسيت. ولكنها تظل (كجمرة تحت الرماد) ذلك أن في دماغ الإنسان عشرات

البلايين من الخلايا التي لا يستخدم الإنسان منها سوى القليل، ولوأنه استخدم الخلايا أكثر لأصبح متفوقاً وغير عادي، ولتمتع بقدرات خارقة، وإن الذي ينمي قدراته عن طريق ممارسة (اليوغا) والتمرينات الجسمية والنفسية يمكنه أن يزيد في قدراته هذه، إن (اليوغا) تعني رياضة الجسم والروح، وتطلب التخلص من أدران الجسم والروح، ومن يرغب التعمق في تجربة (اليوغا) فإن عليه أن يمتنع عن خمسة أشياء هي: أكل اللحم، وشرب الخمر، والجنس، والتدخين، والحقد والكره والحسد، وبوساطة (اليوغا) يستطيع أن يتحكم بعضلاته اللاإرادية، وأن يدخل جسمه في حالة سبات، وأن يخفض نبضات قلبه إلى عشر نبضات في الدقيقة الواحدة، وأن يمتنع عن التنفس عدة ساعات في اليوم .... إلخ.

يروي د. عمران حادثة شهدها في الهند، فنسج حولها قصة (الخروج من القبر) [١١]، حيث قام (كابيل) أحد ممارسي (اليوغا) في الهند، في عام (١٩٨٢) بعمل خارق أمام جمع كبير من الناس، وبحضور جمهور من الصحفيين بينهم أجانب، حيث دفن نفسه في قبر من الإسمنت المسلح لمدة ثمانية أيام و لم يكن يصله فيه هواء أوطعام أوشراب، وقد نصب بعض الصحفيين الأجانب خيامهم قرب القبر للتأكد من عمله. وفي اليوم الثامن بدأت المعاول تكسر الإسمنت بصعوبة، ثم رفعوا الرخام عن الجسد المسجى بلا حراك، وكأنه ميت. ثم ما لبثت الدماء أن تدفقت في وجهه الشاحب، وحرك رأسه ببطء، وأخذ نفساً عميقاً، وفتح عينيه، ثم نهض من القبر ذاهلاً، وابتسم. وكانت آلات التصوير تعمل في تصويره في تلك اللحظة التاريخية. اتجه نحودورة المياه للتخلص من فضلات جسمه المتجمعة منذ ثمانية أيام، وليغسل وجهه ويشرب.

اندفع الصحفيون نحوه بأسئلتهم وكاميراتهم:

-سيد (سنغ) كيف دبت فيك الحياة، وأنت لا تتنفس ولا ينبض قلبك؟ هذا مخالف لقانون الحياة.

---

(١١) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.ؤ

-كنت أتنفس ببطء شديد، وكان قلبي ينبض ببطء شديد أيضاً، إنه تمرين متطور من تمارين (اليوغا) للدخول في سبات الجسد.

-أيمكن أن تظل في مرحلة السبات لمدة أطول؟

-مع الممارسة يمكن أن نزيد الزمن عن ثمانية أيام.

-أتعتقد أن ما فعلته كان عادياً؟

-قد لايكون عادياً بالنسبة لكم، ولكنه أقل من عادي لدي.

-هذا مخالف لقوانين الحياة.

-قوانين الحياة التي اعتدتموها وأجسادكم مليئة بالأدران.

-أكنت تحلم وأنت ممدد في القبر أم أن ذهنك لم يكن يعمل؟

-بالعكس كان ذهني نشيطاً أكثر من أي وقت.

-كيف؟ أكنت تفكر وتحلم وتنام وتستيقظ؟

-كنت تلك الفترة خارج القبر، كنت أنتقل في ربوع الهند، بين الهيمالايا ومدراس.

-أرجوك، اشرح لنا ما تقوله.

-قبل مدة رأيت انهياراً في جبل، وقد سقطت الحجارة منه على أحد الباصات السياحية التي كانت تمر في المنطقة، فأهلكت كل من كان فيه، وفي مكان آخر رأيت قطارين للشحن يصطدمان، وفي منطقة أخرى رأيت صيادين يجرون سمكة هائلة.

-وكيف كنت ترى ذلك؟

-كأنني أحلق بأجنحة غير منظورة فوق الأرض، أنتقل بسرعة من مكان إلى آخر.

-أتعتقد أنك رأيت أحداثاً حقيقة، أم أنها كانت أحلاماً؟

-بل ما رأيته كان حقيقة واقعة.

ثم أحضر بعضهم كومة من الصحف التي كانت قد كتبت عن الأحداث التي ذكرها.

ما هي الروح؟

وهل بإمكانها أن تعمل وترى وتشعر دون جسد كما في حالات السبات والنوم والتنويم المغناطيسي؟

أم هي تستطيع العودة بعد الموت، فتتقمص جسداً آخر، كما هي الحال في معتقدات دينية كثيرة، ومنها قصة (الزيارة)[١٢] التي وصف فيها د. عمران عجوزاً نصف مشلول، غادره أبناؤه بعد أن توزعوا ميراثه، وتركوه في غرفة صغيرة في حي قديم، يقضي آخر أيامه دون أن يزوره أحد منهم، أويعتني به، أوينظف له غرفته التي عششت فيها العناكب، وقد حاولوا إرساله إلى دار العجزة ليبيعوا الغرفة، لكنه بكى فتركوه.

وفي أحد الأيام قرع باب (أبي قاسم)، ولم يكن أحد يزوره، فهتف بصوت عال:

-الباب مفتوح، ادخل يا من تقرع الباب.

دخلت صبية في مقتبل العمر كزهرة، كانت ترتدي ثوباً أبيض، وقالت له: إنها ابنة جاره الحاج محمود، وإنها ستنظف غرفته وتغسل أوانيه.

وهكذا اعتادت هذه الفتاة أن تزوره كل بضعة أيام، لتنظف له غرفته، وتغسل له ثيابه. وعندما علم ابنه قاسم بأن هناك من يعنى بأبيه ثارت ثائرته، وظن أن جيرانه يفعلون ذلك لكي يكتب لهم الغرفة، فذهب إلى أبيه واعتذر له عن انقطاعه عنه، ثم استجوبه عمن يزوره، فقال له: إنها (زينب) بنت جاره الحاج محمود. حذر قاسم أباه من بنات الجيران فطرده أبوه، فذهب إلى الجيران يهددهم كي يمنعوا ابنتهم من الذهاب إلى خدمة أبيه، وقد طرق الباب ففتحت له أم محمود:

---

(١٢) في مجموعته القصصية: بئر العتمة ١٩٩٥.

-أنا قاسم ابن جاركم الحاج.

-أهلاً بك يا بني كيف حال والدك؟ لماذا أهملتموه؟ هذا حرام، لـولا الرومـاتيزم لذهبت إليه يومياً، إنه عجوز شبه مقعد لايستطيع الحركة إلا بصعوبة، لكن قيل لي: إن هناك من يعتني به.

-زينب ابنتك هي التي تذهب وتعتني به.

-زينب ابنتي؟ ماذا تقول؟ هل أنت بكامل عقلك؟

وانفجرت باكية وهي تنشج: زينب ابنـتي مـاتت منـذ عـامين في حادثـة هـي وابـن عمها، كانا خطيبين.

-أنا آسف.

وفعلاً كان طيف زينب يزور العجوز وينظف له غرفتـه، ويطبـخ لـه، إنهـا حكايـة أشبه بالخيال، وفي حياتنا الكثير من الأسرار التي تبدوأشبه بالخيـال، إنهـا قصـة يتناقلهـا الناس في ذلك الحي الشعبي في العاصمة المزدحمة، عن زينـب الـتي تـزور العجـور الـذي أهمله أبناؤه مرتدية كفنهـا الأبيـض، وهـي تعلّـم الإنسـان الحـس بالعاطفـة، في مجتمـع سادت فيه المادة، وطغت المصالح الأنانية على كل ما سواها.

فما هي الروح؟

هل هي طاقة محركة كالكهرباء؟

وهل يمكن أن تعيش دون جسم تحركه؟

يتحدث الكاتب الفرنسي الشهير (أندريه مورا) في روايتـه (وازن الأرواح)[١٣] عـن صديقه الدكتور (جيمس) الذي كان يجري تجاربه على الجثث في حالة الاحتضار. وقد خرج بنتيجة مؤداها: إن وزن الجثة يهبـط هبوطـاً مفاجئـاً بعـد المـوت مباشـرة بمقـدار

(١٣) ترجمة عبد الحليم محمود – دار الشعب – القاهرة، ١٩٧١، ص١٥ وما بعدها

(١٩٪) ملغ: وبما أن لكل طاقة وزناً، وأنه يمكننا وزن الضوء، من الوجهة النظرية، وحصره في أنبوبة زجاجية، فلم لا يكون الأمر كذلك بالنسبة للطاقة الحيوية التي ندعوها الروح، على الرغم من أن طناً من الذرات المضغوطة إلى أصلها لا تأخذ حجماً أكبر من رأس الدبوس، وبما أن الروح سيال الطاقة المجهولة التي تغادر الجسم بعد موته، فإنه يجري تجاربه على هذه السيالة الحيوية التي تخرج من الجسم بالموت، وتساءل عن إمكانية رؤيتها وتتبعها.

وبالفعل فقد وجد حلقات من الضوء الوردي البنفسجي تغادر الجسم بالموت، وبما أن هذه الحلقات البنفسجية لا ترى بالعين المجردة، فقد استخدم الجهاز الذي يجعل المرء يرى في الظلام بوساطة تلك الأشعة، ولدى تعريض الميت لمثل هذه الأشعة ظهرت السيالة التي تغادر جسم الميت، كضوء خافت بحجم البندقة، يرتفع ببطء شديد في الأشعة فوق البنفسجية، وحين يُشعل (جيمس) الضوء تختفي دائرة النور الصغيرة هذه، لأنها لاترى إلا بوساطة الأشعة فوق البنفسجية.

وفي تجربة تعريض جثة إنسان يحتضر لجهاز الأشعة فوق البنفسجية، تحت ناقوس ضخم من الزجاج، وفي الظلام الشديد، بدأ يرى ضباباً ضارباً إلى الزرقة يخرج من الجثة المحتضرة، ثم ما لبث الضباب أن تركز إلى كتلة لبنية اللون يبلغ طولها نحو(١٠سم) واستدار جزؤها الأعلى تبعاً لاستدارة الناقوس، ولم تكن تلك الكتلة الضوئية جامدة، لا تتحرك، كما لم تكن متجانسة، وإنما فيها تيارات بعضها أنصع من بعض مثل دخان السجائر، يختلف في كثافته ولونه.

وفي فترة تالية بدأ الدكتور (جيمس) يجمع عدة كرات ضوئية، باعتبار أن كل كرة منها تمثل روحاً خرجت من جسد، كما حاول أن يصل السيالة المتجمعة في كرتين اختارهما لشخصين: فتاة منتحرة، وشخص مصاب بالسرطان، فلاحظ أن السيال في كل من الكرتين قد بدأ يخفت، وتجمع كل منهما في كرته رافضاً التداخل مع الآخر، فاعتبر أن ما يفعله أمر بالغ القسوة، إذ من الممكن أن يكون في كلا الشخصيتين تنافر في الطباع. لذلك كسر الكرتين الزجاجيتين، وترك السيال في كل منهما ينطلق بحرية.

ثم عاد فأجرى تجربة أخرى، حيث وصل بأنبوبة زجاجية بين كرتين في كل منهما سيال لأخين توءم مصابين بحادث، فلاحظ أن السيالة تجمعت في كرة واحدة، وتوهجت براقة، وكأنما تعبر عن سعادة الكائنين في اجتماعهما في حيز واحد محدود.

ويذكر د. عمران في تعليقه على هذه القصة(١٤) أن كثيراً من الأطباء أكدوا أن ضباباً ينبعث من الجثة لحظة احتضارها ومعاناتها للموت، إذا ما تعرضت للأشعة فوق البنفسجية، وهذا يثبت أن الروح هي طاقة حيوية تخرج من الجسم، بعد موته، فتنطلق، ولكن إلى أين؟ لا أحد يعلم.

وحين حاول استثمار هذه المعلومات العلمية في قصة فنية، لجأ إلى الحكاية الشعبية التي تعطي الواقع أبعاداً أسطورية بعيدة عن الواقع، فوضع قصة (العودة إلى الحياة)(١٥) جعل فيها امرأة تموت، ثم تعود إلى الحياة، فقد رأى حفار القبور أهلها يدفنونها ويدفنون معها الذهب والفضة، فجاء بابنه ليلاً، وتعاونا على حفر القبر لسرقة محتوياته، فإذا بالجثة تتحرك، فانطلقا هاربين.

عند ذلك اقترب (فارس) الذي كان يزور قبر زوجته (عائدة) المدفونة قربها، فشق عنها الكفن، وأسعفها، ثم انطلق بها إلى بيته.

لقد سكت قلبها عن الخفقان لعدة ساعات، وعندما عادت إليها الحياة وجدت نفسها داخل القبر، فأنقذها (فارس) وحملها إلى بيته، فظلت فاقدة الذاكرة عدة أيام، وحين استعادت وعيها حكت له قصتها: إنها (نورا) المهندسة المدنية التي تزوجت المتعهد (عامر) الذي خدع والدها فزوجه إياها، ثم خدعها عندما طلب منها أن تكتب له توكيلاً بجميع ثروتها، ففعلت، وعندما استولى على كل شيء طلقها، فأغمي عليها، وعندما علمت أنه تعاون مع عشيقته على إيذائها كانت الصدمة قاسية عليها، فتوقف قلبها عن الخفقان، وظن المتعهد الفاسق أنها ماتت، فمثل أمام ذويها دور الزوج المفجوع، وأظهر الحزن عليها، ثم رش الذهب والفضة المزيفين في قبرها، فخطف أنظار

(١٤) في كتابه: الحاسة السادسة ١٩٩٠، ص٦٤، وما بعدها.

(١٥) في مجموعته القصصية: بئر العتمة ١٩٩٥.

الناس مما دفع بحارس المقبرة إلى الحضور ليلاً وحفر القبر ليستولي على الذهب الذي ظنه حقيقياً.

وقد أبلغ (فارس) الشرطة بالحادث، وقبض على الزوج المجرم الذي كان السبب في (موت) زوجته، وتزوج فارس بنورا، ورزقا فتاة سمياها (عايدة)، وهواسم زوجة فارس المتوفاة.

و"ما يزال فارس ونورا حيين يرزقان". أليست هذه الخاتمة السعيدة شبيهة بخواتم الحكايات الشعبية التي تنتهي بقول الراوي: "وتوتة توتة خلصت الحدوته".؟

ومن الواضح أن هذه القصة بعيدة عن معالجة موضوع الروح، وقريبة من الحكايات والقصص الشعبي.

٦- العلم في مواجهة الخرافة

ما يزال العقل البشري الحضاري قصيراً بالنسبة إلى وجود الإنسان على هذه الكرة الأرضية، فإذا افترضنا أن الحضارة البشرية الكتابية بدأت منذ ستة آلاف عام، فإن وجود الإنسان قد سبقها بملايين السنين، ولعل طفولة العقل البشري، كطفولة الإنسان، قد امتدت طويلاً، عرف فيها كثيراً من الأنظمة البدائية، والأمومية، والأبوية، حتى انتهى إلى العصور الحضارية.

ومع كل حضارة صنعها الإنسان كانت تتغير نظم وأساليب حياة. وتغيير أساليب الحياة يتطلب قدراً كبيراً من التكيف له علاقة بالمرض، فكلما ارتفعت درجة التغير كان المرض الذي يعقبها حاداً. والتغير الكثير في الحياة القصيرة يشكل تحدياً خطيراً للجسم البشري، فهنالك ارتباط بين قدرة مقاومة الجسم ومتطلبات التغير التي تفرضها البيئة المعاصرة. وثمة فيروسات تبدوهاجعة في الجسم، فإذا ضعفت مقاومته اشتدت وقويت، ومن هنا أكدت الدراسات على أن (صدمة الترمل) مثلاً تضعف مقاومة الجسم للأمراض، فتعجل بالشيخوخة وبالوفاة، بحيث يتبع أحد الزوجين الآخر، بعد وفاته بأيام، أوبأشهر قليلة.

في مؤتمر عقد بشأن أمراض البيئة المعاصرة المتغيرة تحدث عالمان روسيان عن قرد عزيز في قومه، وذي كيان بينهم، وعندما عزلوه وتركوه يتفرج على زملائه الذين يسرحون ويمرحون، ويغازلون أنثاه المفضلة، ثار وغضب، وتوترت أعصابه، وارتفع ضغطه، ثم أصيب بأزمة قلبية، فمات.

وقد توصلت عيادات الطب في الدانمارك إلى (٦٥٪) من حالات (الروماتيزم)، و(شلل العمود الفقري)، و(الديسك)، سببها الإرهاق النفسي، وتوتر الأعصاب الحاد. وقد أكدت التجارب أن أمراض (الروماتيزم) تحدث إثر الأزمات النفسية القوية، حيث يتضاعف إفراز مادة (مولد الضد) السامة، فيتأثر العمود الفقري والعضلات.

• ولهذا يؤكد الطب الحديث على ضرورة الربط بين النفس والجسم، والتفاعل بينهما، لأن تدهور الحالة النفسية الناشئة عن الكآبة أوالإرهاق اليومي المتصل كثيراً ما يؤدي بالجسم إلى العلل والأمراض.

يقول الدكتور (بونيفيل) في كتابه: (بيولوجيا المستقبل) إن الذبحة الصدرية، وضيق النفس، وقرحة المعدة، وتضخم الأمعاء الغليظة، والتهاب الكولون، والروماتيزم، كلها أمراض ذات منشأ نفسي، سببها التوتر العصبي، والإرهاق، والانفعالات، والزحام، وضغوط الحياة العصرية.

وفي كتاب صدر في فرنسا بعنوان (الإرهاق) لمختصين بأمراض التوتر والانهيار العصبي أكدوا أن بعض الأغذية تؤدي أيضاً إلى الإرهاق والإجهاد كالمنبهات (القهوة والشاي والشوكولا) والسكر، والكحول، والدهون والحلويات والبوظة، والمربيات، والتبغ.

وهذا لا يعني تطبيق نظام تقنين غذائي، لأن الحرمان يؤدي أيضاً إلى التوتر الذي يرهق القلب، ويقلص الشرايين، مما يستوجب زيادة الضغط وتعب القلب.

ومن هنا كان من الضروري الاعتدال في تناول الحليب الكامل الدسم، واللحوم الحمراء التي تحوي (٣٥٪) من الدهون، والاستعاضة عنها باللحوم البيضاء (السمك

والدجاج ولحم العجل). أما المشروبات الكحولية فإنها تفترس الفيتامينات وبخاصة الفيتامين (C) الذي يضمن التوازن النفسي والهدوء، وزيادة القدرة الدفاعية للجسم، بالإضافة إلى أن المشروبات الكحولية تزيد في إفراز مادة الأدرنالين في الدم والتي تثير الغضب والعدوانية.

وهكذا، مع تطور العقل البشري، بدأ الإنسان يعي ظروفه، ويتعرف على أسباب الحوادث وعللها، وعلى مسببات المرض من بكتريات وطفيليات وفيروسات، وبدأ ينبذ التفسيرات الخرافية التي أعاقت الفكر الإنساني طويلاً، فلم تعد أسباب الأمراض مثلاً أرواحاً شريرة أوشياطين، وبدأ الإنسان يحل العلم محل الخرافة في تفسير الظواهر المدهشة والخارقة.

من ذلك مثلا ما كان يروى من أساطير عن قارة (أطلنطيد) المفقودة، ومثلث (برمودا) أو(مثلث الموت أوالرعب) حيث وضعت فيه عشرات الكتب التي تؤكد كلها اختفاء الطائرات التي تحلق فوقه، وهلاك السفن التي تمر في هذا المثلث الذي يقع في المحيط (الاطلنطي)، شرقي الولايات المتحدة، وتمتد زواياه بين جزيرة (برمودا) شمالاً، (وبورتوريكو) جنوباً، (وفلوريدا) غرباً.

ويعرض الأمريكي (تشارلز بيرلتز) الذي وضع كتاباً باسم (مثلث برمودا) لقي رواجاً عظيماً، وبيع منه خمسة ملايين نسخة في عدة شهور، يعرض كثيراً من الحوادث التي كان مسرحها ذلك المثلث الرهيب، حيث اختفت فوقه الطائرات والسفن، وحتى الأقمار الصناعية البعيدة عن الأرض (٨٠٠ ميل) فإنها تتوقف عن إرسال معلوماتها بالأشعة إذا ما مرت فوق مثلث الرعب هذا.

ويؤكد العلماء أنه ليس هنالك سر في الأمر، وإنما الطائرات والسفن التي تتحطم في غير هذا المكان أكثر منها فيه، والأقمار الصناعية التي تمر فوقه يكون وقت لف الأشرطة التي تسجل عليها المعلومات قد واءم وصولها فوق هذه المنطقة، ولذلك لا تعطي أية معلومات ريثما ينتهي لف الشريط عكسياً.

أما النبات فحدث عنه ولا حرج، إذ قيل: إنه ينموأكثر بالموسيقى، وإنه يفرح لفرح صاحبه، ويسر بالمناظر الجميلة إلى جانبه، كما يحزن لحزن صاحبه، وللمناظر المؤذية فيه.

والعلم يؤكد أنه ليس للنبات جهاز عصبي يجعله أكثر استجابة للمؤثرات التي تؤثر في الحيوان وفي الإنسان، فكيف يمكنه أن يتمتع بكل هذه الصفات البشرية؟.

وقد وضع د. عمران في مثل هذه الظواهر الخارقة المدهشة أكثر من خمس عشرة قصة، فسر فيها هذه الظواهر جميعاً تفسيراً علمياً.

وفي قصته (وحش البحيرة)[١٦] تظهر وحوش هائلة غريبة الشكل في منطقة البحيرات في شمالي الصين، فيشبهها بعضهم بالديناصورات، ويشبهها آخرون بالتنانين متعددة الرؤوس.

فتوجهت بعثة علمية إلى هذه المنطقة لدراسة هذه الوحوش الأسطورية التي أرعبت السكان، وأغرقت بعض السفن، ومزقت شباك الصيادين.

وقد اكتشفت البعثة العلمية أنها ليست وحوشاً منقرضة، ولا ديناصورات، وإنما هي نوع ضخم، ونادر من أسماك السلمون، تغذت على نباتات وأعشاب مائية غنية بالبروتين، والمواد التي تؤثر على هرمون النموفي الغدة النخامية، وهذا ما جعل هذه الأسماك تنموبشكل خرافي، حتى إن وزن السمكة ليكاد يصل أحياناً إلى أكثر من طن.

وهكذا حل العلم لغز الوحوش المرعبة التي أقلقت الناس طويلاً، إذ لم تكن سوى أسماك سلمون عملاقة وغير مؤذية ما دام لا يضايقها أحد.

وفي قصته (رذاذ جوايرا)[١٧] وهي أعظم شلالات في العالم، وتقع في (البارغواي)، قرب الحدود البرازيلية، حيث أمطار المنطقة دائمة التهطال ليلاً ونهاراً، وصيفاً وشتاءً ...

وقد توجهت بعثة علمية لدراسة هذه الظاهرة، ومعرفة سر الأمطار المستمرة التي لا تنقطع، فوجدت أن الرذاذ المنبعث من هذه الشلالات الهائلة هوالذي يتطاير في الفضاء، ويسقط على المنطقة، فيجعلها دائمة الأمطار، في كل فصول السنة.

---

(١٦) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

(١٧) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

وقد صاغ الكاتب هذه المعلومة العلمية بأسلوب قصصي شائق، وجعل شابين يغامران في رحلة بين أدغال المنطقة وغاباتها، فيتعرضان لكثير من الأهوال والمصاعب، حتى انتصرا، وحلا (اللغز) الذي كان مجهولاً بالنسبة للكثيرين.

وفي قصته (النوم يقتل أحياناً) يسافر (ياسر) إلى (غانا) لزيارة أقربائه فيها، وحين يتجول في عاصمتها (أكرا) تلسعه ذبابة (تسي تسي) التي تصيب المرء بمرض النوم، فيرشح أنفه، وتدمع عيناه، وتتورم أطرافه، ويصاب بخمول ونعاس شديدين، ولاتنفع معالجته بمصل مضاد لطفيليات مرض النوم من قبل طبيب عصري، فيستدعى طبيب شعبي يسقيه منقوعاً عشبياً يشفيه.

و(السر) في ذلك هونوع من (البكتريا) الدقيقة جداً، بحيث أنها إذا كبرت ألف مرة، فإنها لا تبدوللناظر أكثر من نقطة في صفحة بيضاء، ولا يبلغ حجم الأربعمئة مليون بكتريا حجم حبة صغيرة من حبات السكر الناعم، إنها صغيرة جداً ودقيقة بحيث لا ترى إلا بالمجهر الإلكتروني، ولكن مفعولها كبير جداً، وهي التي تسبب مرض النوم الذي تنقله ذبابة (تسي تسي).

وهناك أنواع أخرى من البكتريا ولكنها غير مؤذية وإنما هي مفيدة للإنسان، من مثل (البكتريا) المشعة التي تنتشر فوق بعض النباتات والأشجار، وفوق رؤوس بعض الأسماك فتجعلها تبدوأشباحاً عملاقة تتحرك مشعة، مما يطلق خيال البسطاء فيتصورونها جناً أوعفاريت.

وتبلغ البكتريا من ضآلة الحجم ودقة التركيب بحيث يصعب كشفها عن طريق أقوى المجاهر الضوئية العادية ولا يمكن الكشف عنها إلا بالمجهر الإلكتروني.

وقد فسرت هذه (البكتريا) الضوئية ظاهرة المخلوقات النورانية، ففي قصته (أشباح الأشجار)[١٨] تظهر كائنات ليلية خرافية تتجول في المناطق المهجورة ويعتقد أنها جن أوعفاريت، بينما هي نوع من البكتريا المشعة التي علقت بالأشجار، فأشعت ليلاً، وتعملقت على البسطاء فظنوها أشباحاً.

---

(١٨) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

وكذلك الأمر في قصة (أبي تامر) عامل التنظيفات الذي كان يجمع القمامة ليلاً، فوجد كومة يعتليها شخص مضاء، ففر هارباً منه، دون أن يجرؤ على الاقتراب منه.

وفي الليلة التالية شاهد كومة أخرى يعتليها شخص مضاء آخر، فلم يجرؤ أيضاً على الدنومنها، حتى أنقذه الحارس الليلي الذي فسر له السر، فما هذه إلا رؤوس مشعة من فضلات الطعام، ألقاها الناس خارج منازلهم، فبدت القمامة وكأنها تشع ضوءاً، وسبب الإشعاع هوأنواع من (البكتريا) الضوئية المشعة غير الضارة تنتشر أيضاً في البحر وتتوضع على بعض الأسماك التي تظهر وكأنها تشع ضوءاً على ما حولها.

وفي قصة (برج التحدي)[١٩] أعشاب تدعى (أعشاب الجنة) تستعملها القبائل الهندية لشفاء جميع الأمراض، وليست (أعشاب الجنة) سوى أعشاب طبية أثبت العلم فاعليتها وجدواها في علاج كثير من الأمراض، حتى أن الصين الحديثة جعلت معظم أدويتها من خلاصات هذه الأعشاب الطبية التي لا تترك آثاراً جانبية سلبية أخرى في جسم المريض كما تفعل الأدوية الكيماوية.

وقد نسج الكاتب قصة فنية حول هذه المعلومة العلمية / الطبية، فجعل (عاصم) الشاب الذي يتابع دراسته العالية في الطب في إحدى الجامعات الأمريكية، يرغب في قضاء إجازته السنوية في جزر (هاواي) حيث يعيش عمه العربي المغترب، فسافر مع ابن عمه (سامي) إلى جزيرة (الميلانيز) التي ما يزال سكانها يتمسكون بتقاليدهم القبلية الغريبة.

وقد وصلوا في الوقت الذي تحتفل فيه الجزيرة بعيد البطولة، حيث نصب برج خشبي عال يرتفع ثلاثين متراً فوق الأرض، ويصعد عليه الشبان لإلقاء أنفسهم من فوق سطحه إلى الأرض، وقد صعد شاب ربط رجله بحبل طويل، وألقى بنفسه من أعلى البرج إلى الأرض فارتطم جسمه بالبرج، لأن الحبل المربوط برجله كان أقصر من أن يسمح له بالوصول إلى الأرض، فوقع ميتاً.

ثم صعد شاب آخر، فألقى بنفسه من أعلى البرج، فسقط ميتاً أيضاً، لأن الحبل المربوط برجله كان أطول من اللازم، مما أتاح لجسمه الارتطام بالأرض من هذا العلو

---

(١٩) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

الشاهق، ويبدوأن تقدير الطول المناسب للحبل هوالذي يقي المرء من الموت، فقد صعد شاب ثالث وألقى بنفسه، فوقع على رجليه، دون ألم، وهذه هي الشجاعة الفريدة لديهم، ولهذا حملوه على الأكتاف، وتوجّه زعيم القبيلة بوضع إكليل من الزهور على رأسه، وضمه إلى مجموعة الشبان الشجعان الذين نجحوا في (قفزة الموت)، فأسندت إليهم مهمة حماية القبيلة، وتدريب الرجال، ولهم وحدهم الحق في تناول (أعشاب الجنة) التي تشفي جميع الأمراض، وتزيد من مناعة الأجسام، كما يحق لهم الزواج من أية فتاة يرغبونها، بل إنها وعائلتها تتباهيان بمكانة هذا الشاب الشجاع بين أفراد القبيلة.

أما قبائل (التوغو) في أفريقيا، فيقوم ساحر القبيلة، وسط طقوس غريبة، بضرب المرضى من النساء والرجال، لتخليص أجسامهم من الأرواح الشريرة التي استوطنتها، ومن يخرج سليماً بعد الضرب يعش معافى طوال حياته، والساحر وحده الذي يقرر عدد الضربات بالعصا، وكثيراً ما يموت المريض تحت الضرب المبرح، وفي عرف الساحر والقبيلة أن الأرواح الشريرة سكنت جسم المريض، وأنها لا تخرج منه إلا بضرب الجسم، فإذا مات المريض تحت الضرب دون أن تخرج الأرواح الشريرة من جسمه، فهومعذب بائس ينتظره المسخ في الأجيال اللاحقة، عبر رحلة التقمص الممتدة عبر القرون، ومن يشفى فإنه لن يرى المرض ثانية لأن الساحر يأمر بتدليك جسمه يومياً، ولشهر كامل، بمحلول من الأعشاب التي تزيد في نشاطه وقوته.

و(سر) هذا المحلول المنشط والمقوي هوفي (قلب) الساحر الذي يختص بمعرفته وحده، ومن البين أنه محلول عصارة بعض الأعشاب الطبية التي يكثر وجودها في الغابات البكر الاستوائية.

وليست معالجة بعض الأمراض بضرب المريض من قبل الساحر لتخرج الأرواح الشريرة من جسده في أفريقيا وحدها، بل هي في كل بيئة متخلّفة، ففي قصة (سوط الشيخ زكي)[٢٠] يعود (سليم) من أوربا بعد أن أنهى دراسة الطب ليجد أباه العجوز عاجزاً مشلولاً، لأن (جنياً) شريراً قد تلبسه.

---

(٢٠) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

وبالطبع فقد رفض (سليم) الفكرة ولكنه شهد شيئاً لم يكن يخطر بباله أبداً، فقد كان العجوز يتكلم بصوتين مختلفين، أحدهما يقرّع الآخر ويتهمه بالجريمة، والآخر يدافع عن نفسه بالبكاء وبالعبارات الغامضة. وقد شهد (سليم) عملية التعذيب هذه، فكأن أحداً يضرب والده، فيختلج جسمه من الألم، وبررت والدته الأمر بأن الروح الشريرة تعذبه، وتوشك أن تقتله ببطء.

وبالطبع لم يقتنع (سليم) بهذا، فزار أحد أطباء النفس في المدينة، وعرض عليه حالة والده، فأكد له الطبيب أنها حالة نادرة لم يشهد مثلها، ثم عرضه على طبيب ثان، وثالث، ورابع، دون جدوى، حتى يئس من علاج الطب الحديث، فلجأ إلى (الشيخ زكي) ذي الباع الطويل في طرد الجن المتلبس.

طلب الشيخ زكي مبلغاً محترماً من المال، كي يقوم بإخراج الجني الشرير من جسد الوالد، وقد أصر على استلامه سلفاً، ثم قام بعمله في جلد الوالد العجوز بالسوط، فبدأ العجوز يطلق الصرخات المؤلمة والأصوات غير المفهومة، بينما كان (الشيخ زكي) يهدر على الجني آمراً إياه بالخروج من الجسد الناحل.

وتكررت جلسات التعذيب دون جدوى، فالعجوز يزداد ذبولاً وبؤساً، مما دفع بابنه الطبيب أن يأخذه إلى طبيب نفسي في بيروت، وقد نومه هذا الطبيب تنويماً مغناطيسياً، ونفذ إلى ذاكرته، فتعرف على المشكلة التي يعاني منها، وهي أنه كان قد صدم بسيارته ابنة صديقه الطالبة الجامعية ولم يقف لأنه رآها تنهض دون أن تنتبه له، لكن الفتاة ماتت بعد عامين من نزيف داخلي، ومنذ ذلك الحين أصيب العجوز بانفصام الشخصية (الشيزوفرانيا)، فصار يتكلم بصوتين مختلفين، هما صوت شخصيته التي تتهمه بقتل الفتاة، وصوت النفس المنهارة التي لم تجد أمامها سوى البكاء، وأكد له الطبيب بعد أن نفذ إلى أعماق المشكلة، أن العلاج هوأن يبرهنوا للعجوز بأن الفتاة لم تمت بصدمة السيارة، وإنما بسبب آخر.

فأداروا أمامه حواراً بشكل غير مباشر تضمن أن الفتاة لم تمت بسبب صدمة السيارة، وإنما بسبب مرض السرطان الذي تفشى في جسمها.

وهكذا تخلص المريض بالتدريج من مرضه النفسي بوساطة العلم لا السحر.

وكذلك الأمر في قصة (مساحات للظلمة)[٢١] التي كان يتبجح فيها فاجر فاسق بمغامراته النسائية، وبأملاكه وأراضيه. وعندما شاهد فتاة ريفية فقيرة هي ابنة فلاح أجير عنده، اشتهاها، وعندما طلب منها اللحاق به نظرت إليه باستعلاء وتابعت سيرها، فجن جنونه إذ كيف تتحدى أمره، وهوالسيد المطاع؟ ونزل عن جواده، فانهال عليها بالسوط ضرباً، ولكنها صرخت به: "كالبهيمة تتملكك الرغبة، ما الفرق بينك وبين الحيوان الذي لا يتحكم بغرائزه". ثم بصقت في وجهه، ومشت.

احتقر نفسه وطبقته وأملاكه، هوالذي تتمنى إشارة منه أجمل نساء التجار والأثرياء وكبار رجال الدولة، تعسر عليه هذه الفتاة الفقيرة؟.

وبدأ يتخلى عن صفاته العنيدة التي عرفوها فيه.

والتقاها بعد تسعة أشهر، فشكرها على أنها غيرت حياته، ثم التقاها مراراً، وجن بها هياماً، فتقدم إلى والدها خاطباً، فطاش صواب الوالد فرحاً، لكنها رفضت قائلة: إنها لن تتخلى عن طبقتها، فقرر هوأن يتخلى عن طبقته، فوزع أملاكه وثروته على عماله وفلاحيه، واتهمه الناس بالجنون.

وعندما أصبح فقيراً مثلها خطبها فوافقت، لكنه لاحظ أن بطنها تكبر وتنتفخ، وهما ما يزالان في طور الخطوبة، وظن والدها أنها ارتكبت إثماً، فقتلها غسلاً للعار، وعندما شرّح الطبيب جثتها وجدها حالة نادرة، إذ لم يكن في أحشائها جنين، وإنما هوأخوها التوءم الذي حملته معها، وحين كبرت امتد جسده على حساب جسدها حتى وصل إلى هذه الضخامة.

إنها حالة نادرة، لم يكتشفها العلم إلا مؤخراً وراحت ضحيتها فتاة بريئة، ولعل كثيرات قبلها رحن ضحايا الجهل والخرافة.

إن أمراضاً كثيرة لم تكن أسبابها معروفة في الماضي ولذلك كان المريض يقضي فيها دون أن يعرف أحد سبب موته، من ذلك مرض (الإيدز) (AIDS) أوسيدا (Sida)

---

(٢١) في مجموعته القصصية: مساحات للظلمة ١٩٩٢.

أوعدم قدرة الجسم على الاحتفاظ بالمناعة التي يقاوم بها الأمراض، وقد أصبح هذا المرض اليوم مصدر رعب للناس في المجتمعات الاستهلاكية، وهويزداد يوماً بعد يوم، وينتشر عبر طرق ثلاث: الاتصال الجنسي الطبيعي أوالشاذ، وعن طريق الدم، وعن طريق الأم الحامل لجنينها.

ويوظف الكاتب هذه المعلومات العلمية في قصة (حقنة دم ملوث)[٢٢] فيسرد قصة (زينة) الفتاة الثرية ذات الخمسة والعشرين ربيعاً، وقد عادت إلى البيت متهالكة، فاستدعت أمها الطبيب الذي فحصها وقال: إن لديها ازدياداً في عدد الكريات البيض في الدم، ونصح بمعالجتها في باريس.

وفي باريس تم علاجها بعمليات تغيير دم لها، فتماثلت للشفاء، وعادت مع ذويها إلى الوطن، ولكنها لم تدر أنها حملت مع الدم الجديد الذي نقلوه إلى جسمها جرثومة الإيدز، كما لم يعرف الأطباء سبب مرضها الدائم وضعفها فجربوا عليها أنواعاً عديدة من العلاجات لكنها باءت بالفشل، وأمام ذلك الإخفاق نُصح بمعالجتها خارج القطر.

وفي لندن أعيد فحصها فتبين أنها مصابة بمرض الإيدز الذي قضى عليها بعد يومين من معرفته ولحقت بها ابنتها بعد فترة قصيرة لأن مرض (الإيدز) ينتقل من الأم الحامل إلى جنينها.

على الرغم من أن معظم الأشخاص المصابين بـ (الإيدز) يعيشون حياة طبيعية، ولا يظهر عليهم الهزال والشحوب وبروز العظام كما يتخيل الناس، فقد تجلس إلى جانب شخص مصاب (بالإيدز) في سيارة، أوباص، أومقهى وهويمارس حياته الطبيعية، دون أن تعرف بمرضه، وأحياناً دون أن يعرف حتى هوبمرضه، والمهم فيه هوسيطرة (الفيروس) على المصاب، هذا (الفيروس) الذي ينتظر حتى يضعف الجسم برشح أوبنزلة شعبية وافدة، فيهاجم الجسم ويدمر جهاز مناعته الطبيعية فيموت المصاب خلال فترة قصيرة.

---

(٢٢) في مجموعته القصصية: الذي أرعب القرية الآمنة ١٩٩٥.

وفي الدول المتطورة يعيش المصابون (بالإيدز) في مستشفيات نظيفة يعتنى بهم جيداً. وحين يتألمون يعالجون بسرعة، وتخفف عنهم وحدتهم وسائل التسلية. أما في العالم الثالث فيموت مرضى (الإيدز) نفسياً قبل موتهم سريرياً، ذلك أن عزل المريض ووحشته القاتلة، والتهرب من لقائه واحتقاره أحياناً وكأنه ارتكب جريمة شنيعة على الرغم من أن الإصابات في العالم الثالث غالبيتها بسبب نقل الدم الملوث، أوبسبب الإدمان على المخدرات، أوالمعاشرة الجنسية المتكررة مع نساء طليقات.

ويروي الكاتب في قصته (ولكنها تطحن ناعماً ناعماً)[٢٣] قصة حدثت في أحد أحياء العاصمة، حيث كانت الأم تلح بأسئلتها على ابنتها العائدة حديثاً من سفر بعيد:

-أريد أن أطمئن عليك يابنيتي، يجب أن أعرف ظروف طلاقك وأسبابها، وهل كانت علاقتك مع زوجك غير متوازنة؟.

كانت في بلد أوربي يعتبر الفتاة التي لا تقيم علاقات مع الشبان فتاة معقدة، الحرية الجنسية فيه مباحة، وكي تهرب من هذه الفكرة قبلت الزواج من شاب تركي، زميل لها، وعاشت معه حتى حان وقت رجوعها إلى الوطن.

وفي الوطن طُلب منها ورقة تبرع بالدم، كواحدة من الأوراق المطلوبة للتوظيف، وعندما تم فحص دمها تبين أنها مصابة (بالإيدز)، فلم تصدق، كيف؟ معقول؟ ربما تورطت في أكثر من علاقة جنسية بباريس لإغاظة (يشار) الذي كان يغار عليها كثيراً. ولكن.

لقد كانت حرة في باريس، وكانت تضرب عرض الحائط بكل نصائح الطلاب العرب الذين يتكلمون عن سلوكها وسمعتها، ماذا ستفعل لوعرف أهلها أومعارفها بمرضها؟.

وذات يوم كانت تروح عن نفسها في الحديقة العامة، فالتقت شاباً جلس إلى جانبها، وبادلها الحديث، فعرف أنها مريضة بمرض لا يمكن شفاؤه، وعرفت أنه فقد

---

(٢٣) في مجموعته القصصية: الذي أرعب القرية الآمنة ١٩٩٥.

زوجته وابنته في يوم واحد، فجمعتهما المأساة، وتكررت لقاءاتهما، حتى انتهت بطلبه الزواج منها، فرفضت بشكل قاطع، إذ لا يمكن أن تقوده بيدها إلى حتفه. وحين عرف (إبراهيم) من طبيبها الذي يشرف على علاجها نوع مرضها، عرف كم كانت حريصة على أن تظل علاقتهما بريئة و لم رفضت الزواج منه.

وفي المشفى تم عزلها في غرفة خاصة تحت المراقبة، ورافق حالتها إصابة بسرطان الجلد، فأخذت تذوي ببطء حتى ماتت.

وهكذا دفعت حياتها ثمن (حريتها) الجنسية التي تمتعت بها في بلاد الغرب، وكان ثمناً باهظاً.

وهناك مرض قاتل اسمه (الوهم) وهوعدونفسي خطير تروي الكتب عنه قصصاً كثيرة عن أناس مرضوا بالوهم، فتشبث بهم حتى قتلهم، ويتحدث الكاتب في قصته (قاتل اسمه الوهم)[٢٤] عن أحد مرضى الوهم، وهم كثيرون في مجتمعنا، هو(شاهد) الذي عاش مدللاً في أسرة غنية، لكن والده أضاع ثروته في لعب القمار، فوجد (شاهد) نفسه فقيراً، وهوفي العشرين من عمره، بعد أن قضى والده متحسراً على ثروته الضائعة.

وقد حاول (شاهد) أن يقف على قدميه فلم يستطع، فباع كل شيء، وخسر كل شيء، و لم يبق لديه سوى قطعة أرض كان سيبيعها لولا أن وقفت أمه في وجهه فمنعته من بيعها. وطلبت منه أن يعمل فيها.

ولكنه رُبّي على غير حب العمل، وكان يحمل (أوهاماً) عن الفلاحين وعن الأمراض التي يحملونها، مما جعل هذه الأوهام تفتك به وتودي به إلى الموت.

وبالمقابل فإن قوة الإرادة، والصبر والعيش بين أحضان الطبيعة والهواء الطلق، وتناول الأطعمة الطبيعية غير المصنعة، تحقق نتائج باهرة، وتنتصر على المرض والألم،

---

(٢٤) في مجموعته القصصية: الذي أرعب القرية الآمنة ١٩٩٥.

كما في قصة (الانتصار على الموت)[٢٥] حيث يجعل الكاتب بطله (نعمـان) المدرس في الجامعة، يشكومن صداع دائم، ولـدى مراجعتـه طبيبـه تبـين أنـه مصـاب بـورم ينبغـي استئصاله، فأجرى العملية الجراحية دون أن يخبر عائلته، كي لا يقلقهم.

ولكن المرض عاوده بعد أربع سنين، فعاد الصـداع مـن جديـد، وظهـر في الصـورة الشعاعية نموالكتلة الورمية من جديد وهي تحتـاج إلى عمليـة استئصال ثانيـة، ولأنـه لا يريد أن يزعج أسرته، فإنه قرر إجراء العملية الثانية دون أن يخبر أحداً أيضـاً، ونجحـت العملية، و لم تنم الكتلة للمرة الثانية، وما يزال (نعمان) مرحاً مبتسماً، لا مبالياً.

ولعل سبب انتصاره على المرض هوتفاؤله الدائم، ونفسيته المرحـة، وعـدم اكتراثـه، فهذه كلها تجعله ينتصر على أقسى الظروف.

إن قوة الإرادة، والرغبة في الحياة، تجعلان المرء ينتصـر حتـى علـى المـوت، كمـا في قصة (دائرة الموت)[٢٦] التي يروي فيها الكاتب قصة (أولمـان) الشـاب الفرنسـي الـذي كان منخرطاً في مقاومة الجيش الألماني الزاحف عام (١٩٤٣)، فقد أصيبت طائرتـه في الحرب، فاستطاع أن يصل بها إلى منطقة كثيفة الأشجار، وأن يقفز منها، لكن مظلتـه لم تنفتح، فسقط فوق الثلج، ورأى طائرته تصطدم بالأرض وتشتعل.

أما هوفقد نجا من الموت بمعجزة، حيث سقط على الثلج صحيحاً معافى، وعثر عليه رجال المقاومة الفرنسية فأسعفوه.

كذلك تعرض د. عمران لبعـض الحـوادث الطبيعيـة الـتي لا تحـدث إلا لمامـاً، وهـي تصيـب الإنسـان بالدهشـة والذهـول، مـن مثـل اقـتراب أحـد المذنبـات مــن الأرض، وكسوف الشمس، وخسوف القمر، وسقوط نيزك أوشهاب ... إلخ.

ففي قصته (حكاية ليلى وحسن)[٢٧] يذبح الأخ أخته (ليلى) لأنها أحبت (حسن)، وعندما يدافع الأخير عنها يذبحه فوقها، ويذهب الاثنان ضحية الحب الطاهر البريء.

---

(٢٥) في مجموعته القصصية: بئر العتمة ١٩٩٥.

(٢٦) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

(٢٧) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

وقد وافقت هذه الجريمة كسوف الشمس، كما ارتبط كسوف الشمس أيضاً في عام (١٩١٩) بمآسي الحرب العالمية الأولى.

والتفسير العلمي لكسوف الشمس هوأن ظل الأرض يقع على الشمس، وهونادر. وقد لا يرى المرء طوال حياته كسوفاً كلياً تاماً للشمس، بخلاف خسوف القمر الذي يقع فيه القمر في ظل الشمس، وقد يحدث ثلاث مرات في العام.

من هنا ربط بعضهم الأحداث التي تقع في الكواكب بأحداث حياة الإنسان، بل لقد جعلوا للبشر (طوالع) حسب الأبراج السماوية التي عدتها اثنا عشر، وكل برج منها يقع في كوكب، فبرجا الحمل والعقرب في المريخ، وبرجا الثور والميزان في الزهرة، وبرجا الجوزاء والسنبلة في عطارد، وبرج السرطان في القمر، وبرج الأسد في الشمس، وبرج القوس في المشتري، وبرج الجدي في زحل.

وكما أن لكل من هذه الكواكب السبعة السيارة (المريخ، والزهرة، وعطارد، والقمر، والشمس، والمشتري، وزحل) طبيعتها الخاصة بها، فإن القدماء صنفوا البشر، وجعلوا طوالعهم موافقة لطبائع هذه الكواكب، وقسموا الطبائع إلى أربع هي العناصر التي يتألف منها الكون، وهي: الهواء، والماء، والتراب، والنار، فكل الطوالع محصور فيها، فطبع الحمل ناري، والثور ترابي، والجوازاء هوائي، والسرطان مائي، والأسد ناري، والسنبلة ترابي، والميزان هوائي، والعقرب مائي، والقوس ناري، والجدي ترابي، والدلوهوائي، والحوت مائي. ولدى استقراء طالع الإنسان عرفوا حياته وزواجه وأبناءه ومستقبله.

كما سموا أيام الأسبوع السبعة بأسماء الكواكب السبعة، فالأحد للشمس (Sunday) والاثنين للقمر (Monday)، والثلاثاء للمريخ (Tuesday)، والأربعاء لعطارد (Wednesday)، والخميس للمشتري (Thursday)، والجمعة للزهرة (Friday)، والسبت لزحل (Saturday) بل إنهم جعلوا لكل ساعة من ساعات اليوم كوكبها.

وبالطبع فإن هذا كان (علم) قوم لم يكن لهم علم غيره. ثم تطور العقل البشري والمعرفة الإنسانية فأصبح هذا العلم اليوم (خرافة)، كما سيصبح علم اليوم (خرافة) في المستقبل، وهذا دليل على تطور العقل البشري المستمر.

ثم ينتقل الكاتب إلى ظواهر أخرى عامة في الحياة من مثل عدم تأثر بعض الأجسام بالسم، وقوة بعض الأجسام في استنشاق الهواء الخالي من الأوكسجين، ومساعدة الحيوان للإنسان ...إلخ، وكلها معلومات خارقة لكنها مصاغة صياغة فنية بأسلوب سردي مشوق، ففي قصة (صياد الثعابين)[٢٨] يتعلم الشاب المغربي صناعة صيد الثعابين لبيعها إلى مركز طبي فرنسي، ولم يكن يخشاها، فصار يمسك بالثعابين دون خوف أووجل، ويضربها بالأرض لتموت، وقد يأكل لحومها نيئة، أويشويها فلا يؤثر سمها فيه.

وقد أجرى الاختصاصيون في معهد (باستور الفرنسي) عليه عدة تجارب لمعرفة أثر السم في جسمه، فتوصلوا إلى نتائج مذهلة، فقد سقوه كأساً من السم شربه بهدوء قائلاً: إنه لذيذ الطعم. ولم يتأثر جسمه بكمية السم التي تقتل عشرة رجال.

هل يعتبر هذا الشاب المغربي ظاهرة استثنائية من النادر حصولها؟، من المعروف أن (راسبوتين) الراهب الدجال الذي أوشك أن يحكم روسيا القيصرية كان يتمتع بقدرة كبيرة على مقاومة السم، إضافة إلى قدراته الأخرى في التنويم المغناطيسي، والتخاطر عن بعد ... فهل هذه الميزة في جسم الشاب هي هبة الطبيعة لواحد من مليون من أبنائها على أن يكون مميزاً؟ أم هي بتأثير وراثي أوبيئي؟.

إن جسم الإنسان هش يصاب بسرعة بالمرض. ومع ذلك فإن لديه قدرة كبيرة على التكيف في أية ظروف طبيعية، خلال مدة تطول أوتقصر، حسب استعداده لذلك، وكما أن أفراد القبائل التي تعيش في المناطق العالية عن سطح البحر يملكون رئات (تختلف) عن رئات قاطني الأودية والصحارى، أوبالأحرى تتحمل أجسامهم الهواء

---

(٢٨) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

الذي تقل فيه نسبة الأوكسجين، فإن لصيادي الإسفنج رئات تمكنهم من التعـود علـى الظروف الصعبة عند الغوص في الأعماق، ففي قصته (سقف العالم)[٢٩] يروي الكـاتب بطولة متسلقي الجبال. ومن المعروف أن قمة (إفرست) في جبال الهيمالايا في الهند هـي أعلى قمة في العالم، وهي تشكل أكبر تحد للظروف الطبيعية، لأن الحياة فوقهـا ليست صعبة فحسب، وإنما يعتبر الوقـوف فوقهـا لدقـائق مـن الأمـور غـير الطبيعيـة، إذ يبلـغ ارتفاعها نحوتسعة آلاف متر عن سطح البحر، ولذلك فإن المتسلقين الذين ينجحون في الوصـول إليهـا يسـتخدمون كمامـات الأوكسـجين، لأن مـن الصعـب تنفـس الهـواء المخلخل في تلك الارتفاعات، إذ كلما ارتفع الإنسان عن سـطح البحـر يخـف الضغـط ويتخلخل الهواء لذلك يحتاج إلى الأوكسجين إضافة إلى أجهزة لقياس الضغط والحرارة والارتفاع عن سطح البحر.

ثم يصف الكاتب رحلة مغامرين إلى قمة (إفرست) وما لاقياه من صعوبات، حتـى نجحا في الوصول إليها، والوقوف مدة ربع ساعة دون كمامات أوكسـجين، متحملـين البرد الشديد والرياح العاصفـة، ثـم عودتهمـا سـالمين إلى المعسـكرات الـتي زرعاهـا في طريقهما، فقد شارك في حملتهما هذه حوالي مئتي شخص تقريباً.

وفي قصة (ذئـب الليـل)[٣٠] يصـور الكـاتب منـاضلاً وطنيـاً (طـاهر) ينقـل المؤونـة والسلاح للثوار الوطنيين في الجبال، وقـد قبـض عليـه الفرنسـيون وحبسـوه في كهـف مظلم، فوجد في الكهف ذئباً، قاده هذا الذئب حتى أوصله إلى المخرج الثاني للكهف، فانطلق إلى قريته فرحاً.

كيف حدث هذا؟ وهل يعقل أن يساعد حيوان إنساناً؟ وعلـى الخصـوص إذا كـان الحيوان من آكلي اللحم، كالإنسان، هذا ما لم يسـتطع (طـاهر) تفسـيره حتـى اليـوم، على الرغم من أنه قد تجاوز السبعين من عمره.

---

(٢٩) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

(٣٠) في مجموعته القصصية: الذي أرعب القرية الآمنة ١٩٩٥.

وفي قصته (الذي أرعب القرية الآمنة)[٣١] يصف الكاتب جهل الناس في قرية منعزلة، أيام الاحتلال الفرنسي، فقد رضخوا لابتزاز مجرم هارب كان يسرق مواشيهم وطعامهم، ثم فرض عليهم (أتاوة) يومية من الطعام والمال، مقابل إبقائه على حياتهم، وقد كانوا يظنونه جنياً سلطه ا لله عليهم عقاباً لهم على نسيان دينهم.

ولكن ابنهم المتعلم الذي كان في المدينة، فعاد إلى قريته ليواجه بهذه الخرافة، جابه الجني الذي لم يكن سوى مجرم فار، فقتله، وخلص الناس من شره، وهكذا يدحض (العلم) الخرافة.

وفي قصته (حين تجوع الجرذان)[٣٢] يثبت الكاتب مهاجمة أسراب جرذ الحقول الجائعة لمحصول القمح في قرى الجنوب عام (١٩٥٩) فيصور تعاون الفلاحين في وضع خطة حراسة جماعية لحقولهم.

لكن جوع الجرذان الشديد دفعها، ليس إلى التهام حقول القمح فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى مهاجمة الأشخاص، وتجريد الإنسان من لحمه لتبقيه هيكلاً عظمياً.

وقد استطاع الفلاحون أيضاً بتعاونهم حفر خندق حول القرية وإشعال النيران فيه، فسقطت أسراب الجرذان الزاحفة إليهم، لتلقى حتفها شوياً بالنار.

وفي قصته (في مركز بيع العيون)[٣٣] يصف الكاتب الذي كان قد عاش طويلاً في الهند، الفقر الذي تعاني منه ملايين البائسين، والذين يضطرهم فقرهم إلى بيع جثث موتاهم، بمبالغ زهيدة، لأي معهد طبي، بدلاً من عملية حرقها التي تكلف غالياً، ووضع الرماد في (حوجلة) معدنية صغيرة مغلقة بإحكام، وإلقائها في نهر (الغانج) حيث تندفع مع غيرها في التيار نحوالمحيط الهندي.

---

(٣١) في مجموعته القصصية: الذي أرعب القرية الآمنة ١٩٩٥.

(٣٢) في مجموعته القصصية: بئر العتمة ١٩٩٥.

(٣٣) في مجموعته القصصية: الذي أرعب القرية الآمنة ١٩٩٥.

كما يصف فقراء الهند الذين يبيعون أعضاء جسمهم، بسبب فقرهم، فيبيعون عيونهم للمشافي التي تبيعها بدورها للأثرياء والمحظوظين بالملايين، في عمليات زرع القرنية الناجحة في الهند، وهكذا يصل عدد العميان في الهند إلى عشرة ملايين، وعدد المجذومين تسعة ملايين من عشرة ملايين في العالم، أما المنبوذون الذين ليس لهم مأوى سوى الأرصفة فهم أكثر عدداً من أن تحصى.

الفصل الثالث

البحث عن الخلود والشباب الدائم

إذا كان (فرنسيس بيكون) قد قال سابقاً: "إن المعرفة هي القوة" فإننا يمكن أن نقول اليوم: إن المعرفة هي التغيير، فالتحصيل العلمي المتسارع يعني تسارع التغيير، وعندما تتغير الأشياء من حولنا، فإن تغييراً موازياً يحدث في داخلنا، وهذا ما قال به تشرشل: "نحن نهندس أبنيتنا، وأبنيتنا تهندسنا".

وبما أن هدف العلم هوتحسين الكائن الإنساني، وهدف الحضارة هوإسعاده، فإن الثورة (البيولوجية) هي عصب الثورة العلمية، ومنجزاتها العلمية كانت وما زالت مثار الإعجاب والمناقشات الحادة، باعتبارها تهدف إلى صنع مجتمع جديد، لا مجتمع معدل.

وإذا كان القرن العشرون قد توصل إلى أعظم تغيير في تاريخ البشرية عندما اكتشف (الأتمتة والسبرنة)، فإن القرن الحادي والعشرين ستكون أعظم إنجازاته في هندسة الأحياء والبيولوجيا.

١- القنبلة البيولوجية الموقوتة:

إن طفلة أنبوب الاختبار التي جاءت عن طريق التلقيح بين الخلايا الجنسية لأمها وأبيها، ليس على فراش الزوجية، وإنما في أنبوب اختبار، مكنت العلم بعد عدة أيام تم فيها انقسام البويضة الملقحة إلى عدة خلايا، ثم نقلت بعد ذلك إلى رحم الأم، ليواصل الجنين نموه وتطوره.

وبعد هذه الثورة البيولوجية الهائلة أصبح في مقدور أية امرأة أن تبتاع جنيناً مجمداً، وتأخذه إلى طبيبها ليزرعه في رحمها. ومثل هذا الجنين يباع مكفولاً بضمانات، منها أنه سيكون خالياً من العيوب الوراثية، وسيعرف المشتري مسبقاً لون عيني الطفل، ولون شعره، وجنسه، وذكاءه ...إلخ. كما سيصبح في المستطاع الاستغناء عن رحم الأنثى، لأنه يمكنه أن ينشأ في أنبوب اختبار يؤمن له ما كان يؤمنه الرحم من غذاء وأمان.

وهذا كله من (العلم)، وليس من (الخيال العلمي)، فمنذ ولادة الطفلة (لويسي براون) عام (١٩٧٨) في انكلترا أصبح أطفال أنابيب الاختبار حقيقة واقعة تجسدها (لويسي) التي ولدت من تخصيب بويضة والدتها في أنبوب اختبار، ومن ثم زراعة البيضة المخصبة في رحم الأم.

وبناء على هذه المعطيات العلمية وضع الكاتب الإنكليزي (ألدوس هاكسلي) (+ ١٨٩٤) روايته (عالم جديد شجاع) عام (١٩٣٢) قدم فيها تصوره لعالم المستقبل بعد عشرات القرون، (اختصر العلم هذه القرون إلى عقود)، حيث انتصرت التقنية العلمية والتنظيمات السياسية، فتم تفريخ الأطفال في أنابيب الاختبار تبعاً لحاجة المجتمع إليهم، وأبطال الرواية عشرة أشخاص يحكمون العالم بأجمعه، ويليهم في الأهمية مجموعة من الإداريين المعروفين باسم (معامل التفريخ والتكييف المركزية)، أما الشعب فينقسم إلى طبقات هي: (ألفا Alpha)، و(بيتا Beta)، و(غاما Gama)، و(سبالون Spalon)، ولكل طبقة زي خاص بها يختلف عن أزياء الطبقات الأخرى، وقد تم تصميم معامل التفريخ لصنع الإنسان، ثم تكييفه جسدياً وعقلياً وعاطفياً وخلقياً، من أجل تحقيق شعار الدولة (الجماعة، التشابه، الاستقرار)، والبويضات تلقح في أنابيب الاختبار، ثم توضع في أوان زجاجية يسجل عليها الاسم وتاريخ التلقيح، وهكذا يمكن فرز البويضات الملقحة إلى فئات: المثقفين، والعمال، والجنود، والفلاحين، وبالتالي توليد ما يحتاجه المجتمع من كل فئة من هذه الفئات.

وعلى الرغم من أن كلمات من مثل (الأب) و(الأم) و(الميلاد).. إلخ، سوف تختفي وتغدو كلمات نابية يتحرج المجتمع من ذكرها، فإن الإنسان، في عالم (هاكسلي)

المستقبلي، سوف يصبح سعيداً لا يعرف الحزن، صحيحـاً لا يعـرف المـرض ولا تنتابـه الشيخوخة، آمناً في نفسه وعمله وطبقته، مسلماً أمره إلى من يتولون أمره ...

وهذا ما جعل بعض علماء الفلك يفكرون بـأن مـن الممكـن اسـتعمار كـواكـب في الكون، لا عن طريق إرسال أشخاص بالغين إلى كوكب المريخ مثلاً، وإنمـا عـن طريـق إرسال أجنة دقيقة برعاية بيولوجي ماهر، أوإرسال قدر ما يملأ علبة حذاء مـن الخلايـا، لننشئ منها رجالاً ونساء قدر سكان مدينة كاملة.

٢- الاستنساخ البشري:

إن ما وصلت إليه العلـوم البيولوجيـة مـن تقـدم مذهـل في أجهـزة المناعـة، وزراعـة الأعضاء البشرية، وهندسة الوراثة.. إلخ ليعتبر أقرب إلى القصـص العلمـي، حتـى إنهـم يفكرون اليوم في إعداد اختصاصيين للعمل في أعماق البحار والمحيطات لهم خياشـيم في أجسامهم، يستطيعون معها العيش في بيئة ما تحت الماء، وإن التنبوءات البيولوجيـة الـتي تقوم على أبحاث علمية وتجارب مخبرية، هي حقائق أغرب من الخيال: فمـن المعلـوم أن التكاثر الجنسي أصبح شيئاً قديماً عندما تم اكتشاف التكـاثر الجسـدي، حيـث يسـتطيع المرء أن ينسخ من ذاته نسخاً عديدة هي صور طبق الأصل عنه.

وقد تم هذا النسخ في الفئران والضفادع والنعجة (دوللي)، وقد يـأتي دور الإنسـان مستقبلاً. وتقوم عملية الاستنساخ على تفكيك النسج إلى خلايا، وتزويد هـذه الخلايـا بمحاليل غذائية معقمة، فتتكاثر، وتتغذى وتتنفـس وتخـرج فضلاتهـا في المحلـول. وهـذا هو(زرع الأنسجة) وتربيتها في الدوارق والأنابيب. وتكفي خلية جسدية واحدة، تُربى في أنبوب معقم، حتى إذا انقسمت الخلية، وتحولت إلى كتلة من الخلايا، أمكن زرعها، بعد ذلك في رحم أنثى جهز لاستقبالها، وربما تقدم البحث العلمي مستقبلاً وتوصل إلى تجهيز (أرحام) صناعية لتصبـح (معـامل) تفريـخ للنسـج البشـرية، وبهـذا يسـتغنى عـن (تأجير) أرحام طبيعية لكل من أراد أن يعيد نسخة من ذاته، مسـتخدماً في ذلـك خليـة من جسده.

إن كل خلية من الجسد تمتلك نواة فيها (كروموسومات) وعلى (الكروموسومات) (جينات)، و(الجينات) هي (المورثات) التي تورث الكائن كل صفاته، ولدى تطبيق التجارب على الضفادع توصل الدكتور (جيرودون) في جامعة (اكسفورد) بانكلترا، إلى إنتاج ضفادع كاملة التكوين، عن طريق الخلايا الجسدية.

فهل يمكن تطبيق هذه التجربة على الإنسان، ليتكاثر جسدياً لا جنسياً؟.

تقضي التجربة أن تؤخذ خلية من أي نسيج جسدي للإنسان وتزرع في أنبوب اختبار، ثم تنقل إلى رحم الأم، حيث تحل محل البويضة الملقحة التي تحملها لتنتج طفلاً.

وهذا يختلف عن تجارب أنابيب الاختبار حيث التكاثر فيه جنسي، بينما هوهنا جسدي.

ومما سيدفع العلماء في المستقبل إلى إعادة استنساخ الإنسان هوأن بعض البشر لهم صفات ممتازة وعبقريات نادرة في العلم والفن والأدب وقوة الأجسام وجمالها، وهذه وغيرها قد تجذب اهتمامهم لتكرارها عن طريق الاستنساخ الجسدي، لا الجنسي، وهذا ما سوف يتيح انتقاء أحسن ما في البشر من صفات، حيث يمكن إصدار نسخ طبق الأصل من المفكرين والعباقرة الموهوبين في كل فروع العلم، ومن النساء الجميلات والرجال الأقوياء.

وانطلاقاً من هذه المنجزات العلمية انطلق الخيال العلمي يجاري هذه الإنجازات حيناً ويسبقها أحياناً، حيث وضع طالب عمران روايته (عوالم من الأمساخ) (١٩٩٧) التي عالج فيها موضوع الاستنساخ الخلوي، والوراثة، وسر تجديد الشباب والقضاء على الشيخوخة.. إلخ، من خلال الطبيب (طارق) الذي يكتشف أثناء معالجته لمرضاه حالات لم يكن يعيرها انتباهاً من قبل، وقد أدلى له مرضاه بشهاداتهم عبر تجاربهم الذاتية ومعاناتهم، وهم:

١- أبوخالد: مدرس العلوم الطبيعية في الثانوية، الذي شاهد حيوانات غريبة أشبه بالكلاب ومتشابهة لدرجة يصعب التفريق بينها، كما شاهد كائناً شبيهاً بالبشر،

يبدوعليه البله، وهويطلق أصواتاً تنبئ أنه لا يعـرف اللغـة البشـرية، وقـد أوثقـه رجـال مسلحون وصعدوا به إلى أعلى الجبل، وعندما انتبهوا إلى أن أبا خالد يراقبهـم، قبضـوا عليه، وساقوه معهم إلى مقرهم الكائن في أعلى الجبل.

وعندما وصلوا المقر المختفي خلف صف من الأشـجار الكبـيرة بـدا سـور حجـري ضخم يتوسطه باب حديدي، طرقه رئيسهم طرقات معلومة، فـانفتح علـى مصراعيـه، فعبر الرجـال مـع أسـيرهم، وانغلـق البـاب ثـم تحركـت الأشـجار لتسـتر ذلـك السـور الضخم.

دفع بالأسير إلى غرفة مظلمة، قبع فيهـا دقـائق حسـبها دهـراً، ثـم اقتيـد إلى السـيد الكبير الذي عرفه بنفسه وبعمله قائلاً: أنت الآن في مركز علمي اسـتغرق بنـاءه الكثـير من الجهد والمال، وقد اخترت هذه البقعة المنعزلـة بعيـداً عـن أعـين الفضوليـين لإجـراء تجاربي دون أن يزعجني أحد، والتجارب هي عمليات التهجين المعروفة في عالم النبـات ولكنها هنـا في عـالم الإنسـان، حيـث تُجـرى الفحـوص السـريرية والنشـاط الخلـوي، والجينات الوراثية.

شاهد في المركز نماذج من أناس محتجزين في غرف خاصة، يتألمون ويتعذبـون، بعـد أن أخذت منهـم عينـات خلويـة ودمويـة، وبـانت آثـار التشـويه المريـع واضحـة علـى أجسامهم، وهم يتمنون الموت ليرتاحوا من عذابهم.

فقد أبوخالد وعيه وهويشاهد هذه المناظر المريعة، وعندما أفـاق وجـد نفسـه ملقـى على قارعـة الطريـق، وقـد امتـلأ جسـمه بـالقروح، نتيجـة أخـذ العينـات مـن جلـده، وعضلاته، ورئتيه، وعظامه، وشعره، بطريقة وحشية، وقد عثر عليه الأهـالي، فحملـوه إلى منزله.

وبدأت تهاجمه الكوابيـس والأحـلام المزعجـة، حيـث الأجهـزة الـتي تنـتزع الجلـد، وتتغلغل في الجسم، وتسحب الدم والسوائل، وحيث أنـاس مقنعـون يعبثـون بالمشـارط والملاقط والسكاكين.

٢- الشاهد الثاني: هوسامي، صديق الطبيب طارق، وقد تعرض لمثل ما تعرض له أبوخالد، واطلع على التجارب التي يقوم بها السيد الكبير ومعاونوه في استنساخ القردة والكلاب وخلط هذه النماذج الحيوانية مع الخلايا البشرية، شاهد امرأة زرعوا نواة خلية من قرد مخصب في بويضة دون نواة في رحمها، كمشروع استنساخ قائم على الاحتمالات، وشاهد طفلاً في قفص كحيوان حبيس مغلوب على أمره، هونتاج إخصاب خلية كهلة مع خلية جنينية.

وقد فقد الشاهد وعيه أيضاً ثم وجد ملقى على قارعة الطريق، وقد ملأت جسمه القروح والجروح، وأصبح نومه كوابيس مزعجة عن جثث ودماء وأشكال قبيحة مهجنة.

٣- الشاهد الثالث: هوالمرأة التي وجدها الطبيب طارق في وسط الطريق الجبلي، غائبة عن الوعي، فأسعفها، وقصّت عليه قصتها: إنها زوجة السيد الكبير الذي يخلص له أتباعه حتى الموت، والذي اشتراها من ذويها بمبلغ كبير (مليون ليرة) كزوجة، وأسكنها مختبراته، وعندما ظهرت عليها علائم الحمل، بدأ يأخذ منها عينات من دم الجنين.

٤- الشاهد الرابع: هوالمرأة التي استجارت بزوجة السيد الكبير، بعد أن أجرى عليها السيد تجاربه، فزرع من بقايا جنين مجهض خلايا في رحمها، فعاد إليها الحمل من جديد، بعد أيام من إجهاضها، ونمت الخلايا بسرعة مشكلة جنيناً جديداً، ولكنها عندما وضعت طفلها جاء غريب الشكل معتوهاً.

٥- تحدث الناس عن اختفاء بعضهم بطريقة غريبة: أحد المتسولين الذين يعيشون على الصدقات، عجوز أرملة هجرها أولادها، فتى في الثانية عشرة قيل: إنه سقط في بطن وادي جهنم دون أن يعثر أحد على جثته، هكذا كان السيد ينتقي ضحاياه بذكاء، ممن ليس لهم أحد.

وهكذا تجمعت كل الأدلة لدى الطبيب طارق الذي كان يعالج تشوهات هؤلاء الذين افترستهم تجارب السيد سائد، وأخذ يفكر في طريقة للوصول إلى ذلك القصر

الضائع في الجبال، ومشاهدة مختبراته العلمية، ولكنه كـان يخشى أن يصبح كمرضاه، ضحية السيد سائد، فاتجه نحومخفر الناحية الذي جـرّد حملة تفتيش للمنطقة بحثاً عن القصر الغامض، دون جدوى.

وذات يوم قرعت شابة باب الطبيب طارق، وطلبت منه أن يسعف ابنها في القرية المجاورة، وعندما صعد إلى جانبها في السيارة التي تقودها، شعر أنها تقوده إلى حتفه، وعلى الخصوص عندما دخلت به القصر المخفي عن الأنظار، حيث قابله السيد (سائد) قائلاً:

-أهلاً بك يا دكتور طارق، نأسف لهذه الطريقة التي أحضرناك بها، ولكن كـان لا بد من ذلك، تلبية لرغبتك في التعرف علي، أنا الدكتور سائد تفضل اجلس.

-لا أريد أن أجلس، قل لي ما الذي تريده مني؟ ولماذا أحضرتني إلى هنا؟

-حتى تتعرف علي، كنت ترغب في ذلك يـا دكتور طـارق، لاتـراوغ، أعرف رغبتك جيداً منذ أن استوقفتك حالة أبي خالد وحالة سامي ثم حالة زوجتي نادية.

-وكيف وصلتك هذه المعلومات؟

-أعرف الكثير مما يجري حولي، حتى عن صديقك النقيب شاهر الذي تطوع بإرسال دورية للبحث عن أثر يوصل إلى القصـر. تعتقد أنني أمارس الجريمة هنا؟ إن الحقيقة خلاف ذلك، أنا رجل أقمت مختبري هذا منذ أكثر من (٢٥) عاماً، بعد أن أنفقت في سبيل إقامته ما أورثني أبي من مال.

تعرفت على الهندسة الوراثية قبل مكتشفيها بسنوات، تخرجت من الجامعة عام (١٩٥٤)، وسافرت لمتابعة اختصاصي في جامعة (كاليفورنيا) بأمريكا، في العوامل الوراثية والخلية الحية، وعدت عام (١٩٥٩) لأدرس في الجامعة، ولكن إغراءات البحث عندي دفعتني لأبدأ في تأسيس مختبر حيوي.

ومع بداية السبيعنات بدأت أجري التجارب على النبات ثم علـى الحيـوان، وأخـيراً على الإنسان، خلطت النماذج ببعضها لأصل إلى صيغ وراثية جديـدة، وقـد تسـتغرب أنني زرعت نواة خلية حيوانية في خلية نباتية نزعـت نواتهـا، لأصـل إلى نبـات متفـوق يشعر بالصوت والضوء، واستطعت التوصل إلى توأمة مجموعات حيوانية كبيرة.

هل تنتقل الذاكرة البشرية؟

هذا ما درسته أيضاً، وخرجت بنتيجة هـي ابنـتي (لينـة) الـتي زرعـت فيهـا خـبرتي وذكائي، عن طريق زرع نواة خلية من خلاياي الجنسية في بويضة زوجتي الخالية من النواة.

-و لم تترك نموذجاً حياً إلا استقدمته وأجريت تجاربك عليه.

-إنها ضريبة العلم، أنا أسعى إلى حل مشاكل الإنسان الصعبـة. وقـد نجحـت في تشخيصي الخلل الوراثي قبل الولادة، وشـخصت وعـالجت التهابـات الكبـد الوراثيـة، والسكري، وأنتجت لقاحات أكثر أماناً لأمراض معديـة خطـيرة، أنـا لا أقـوم بأعمـال تؤذي الجنس البشري، أنا أسعى في سبيل إسعاده.

-ولكنك في سبيل ذلك ترتكب الجرائم، تعذب الناس في سجون أقبيتك.

-هذا ما رواه لك أبوخالد وسامي ونادية، ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك، كـان أبوخالد مهيئاً للإصابة بالسرطان، وقد عملت على تغيير العـامل الوراثـي فيـه كـي لا يصاب بهذا المرض القاتل، أما سـامي فكـان مصابـاً بالسـكري إضافـة إلى إمكانيـة إصابتـه بسرطان الصدر، كنت أعالجهما، و لم أكن أعذبهما، أوأجري عليهما التجارب القاسية.

-والذين في القبو، داخل الزنزانات المعتمة؟

-إنهم نماذج لأشخاص مصابين بأمراض نفسية، كنـت أحـاول معـالجتهم، وقـد نجحت في علاج بعضهم.

ولكن الدكتور (سائد) بعد هذه الاختبارات المضنية لم يصل إلى ما كان يتمناه مـن استنساخ البشر المتفوقين، فكل ما كان ينتج لديه أمساخ مشوهة بلهاء، ولعـل السـبب يعود إلى أن الإنسان مخلوق ميزه الله سبحانه وتعالى بالعقل الذي ربما لا يمكن استنساخه.

وهكذا يبني الدكتور طالب عمران أدبه على قاعدة علمية صلبة من النظريات والتجارب، ثم ينطلق محلقاً في الآفاق المستقبلية التي يرغب في تحقيقها. ويبدوأن الدكتور عمران متأثر في روايته هذه بروايته (جزيرة الدكتور مونرو) (لويلز)، حيث كان الدكتور (مونرو) يقيم في جزيرة معزولة، يحكمها بقانونه الذاتي الذي يطبقه على مجموعة من المخلوقات المشوهة التي ما عليها إلا أن تطيع أوامره، وقد كانت هذه المخلوقات، في الأصل أناساً أصحاء حولهم الدكتور مونرو إلى كائنات ممسوخة تتحرك وتفكر في سلوك حيواني، وإن أنكرت عن نفسها هذه الصفات.

وهكذا كان يعيش الدكتور (مونرو) في جزيرته المنعزلة كما كان يعيش (فرانكشتاين) في قصره البعيد، ليمارس فيه إجراء التغييرات على البشر.

ولكن البشر الممسوخين يثورون عليه في النهاية، على وضعهم غير الإنساني، فيقتلون الدكتور (مونرو).

وكذلك الأمر لدى الدكتور عمران الذي جعل الدكتور (سائد) بطل روايته يفرض قوانين سيطرته على البشر الذين يصطادهم ليجري عليهم تجاربه، على الرغم من معارضتهم، مما يجعلهم في النهاية، أيضاً، يكادون يثورون عليه، لمعاملته غير الإنسانية، ومحاولته تغيير الطبيعة الإنسانية بزعم معالجة الأمراض المستعصية.

جانب علمي آخر انتبه له الدكتور طالب عمران، وأهمل ما سواه، ويتمثل في الدعوة إلى وقف إنتاج القنابل الجرثومية التي إذا ما تفجرت فإنها ستقضي على ملايين الناس بالمرض والعجز والموت، وذلك في قصته (الحدث)[1] التي صور فيها حياة الشاب (عامر) الذي أنهى دراسته الجامعية في اختصاص الكيمياء في بلد متطور، وكان متفوقاً في دراسته، مما جعل الجامعة التي درس فيها تتعاقد معه للعمل في مختبراتها بأجر مرتفع، الأمر الذي يحدث لأغلب الباحثين المتفوقين من دول العالم النامي (أوالمتخلف)، حيث يتم التعاقد معهم برواتب مغرية فلا يعودون إلى أوطانهم ليعانوا الاضطهاد والحرمان ويجابهوا بعدم الحاجة إليهم، لأن بلدانهم لا تهتم بالعلم قدر اهتمامها بالبطن والفرج.

---

(١) من مجموعته القصصية: بئر العتمة ١٩٩٥

وفي صباح أحد الأيام سمع عامر طرقاً على الباب، وعندما فتحه وجد رجلاً يقول له: "أنا من جمعية الحفاظ على الحياة، نريدك أن تحضر إلى جمعيتنا هذا المساء، وستجد في الحديقة المجاورة فتاة توصلك إلينا ". وعندما أراد أن يستفسر عن الجمعية، ومقرها، وعملها كان الرجل قد اختفى.

في المساء ارتدى عامر ملابسه، واتجه نحوالحديقة المجاورة فوجد فتاة ترتدي ثياباً بلون العشب عرفته بنفسها قائلة:

-اسمي (سالي)، أنت الدكتور عامر بالطبع.

-آه. نعم، كيف عرفتني؟

-أحمل صورتك، أرجوك تفضل.

-إلى مقر جمعيتكم؟ ولكن لماذا اتصلتم بي أنا بالذات؟

-الكومبيوتر اختارك من بين ألف شخص لمساعدتنا.

انطلقت بهما السيارة حتى توقفت فوق مربع اسمنتي، ثم هبطت بهما فإذا مدينة كاملة تحت الأرض، وفي قاعة كبيرة استقبله كهل مرحباً:

-أهلاً بك يا دكتور عامر، نحن آسفون لإزعاجك، ولكن لا بد من هذه الطريقة التي استدعيناك بها، نحن رسل حضارة متطورة، جئنا أرضكم قبل سنوات، واستقرت سفينتنا الفضائية تحت أرض كوكبكم، ما تراه الآن ليس سوى نموذج لتفوقنا التقني.

انتبه على صوت سالي يقول:

-دعوناك يا دكتور عامر للعمل معنا لأنك البشري الوحيد الذي اختارته أجهزتنا، أنت رجل شهم شجاع تكره الضرر للناس، وترفض استخدام العلم في الأذى، على الرغم من أنهم يستغلون أبحاثك بعكس ما ترغب.

-ماذا تقولين؟

-إنهم يطورون جراثيم يضعونها في المخابر لإنتاج قنابل جرثومية تقضي على ملايين الناس بالمرض والعجز والموت.

كان ما اعتقده الدكتور عامر بناء تحت الأرض هوسفينة فضاء من عالم آخر، استقرت في الأعماق لمراقبة ما يجري من تخريب للبيئة، وسحق للإنسان تحت عجلات الحضارة الحديثة: وإلا فمن يوقف التلوث، ويسد ثقب (الأوزون)، ويغلق المصانع الحربية، ويحقق السلام الشامل في ربوع الكرة الأرضية؟ وهل يأتي الإنقاذ من السماء؟ من عوالم أخرى أكثر حضارة ورقياً؟.

ولكن كيف يمكن للدكتور عامر أن يساعد رسل السلام في وقف تدمير أبناء الكرة الأرضية لعالمهم الجميل؟ لقد رغبوا منه أن يدخل جهازاً صغيراً إلى المختبر، فيقضي على كل الكائنات العضوية الدقيقة التي يحضرونها، وقد فعل، ثم قدم استقالته وعاد إلى وطنه.

والمفاجأة كانت في انتظاره إذ تبين بعد وصوله، أن السلطات التي كان يعمل لديها قد حقنته بحقنة فيروسية، لأنه كان السبب في تدمير مشاريعها الجرثومية، وهكذا مات الدكتور (عامر) بعد شهرين فقط من وصوله إلى وطنه.

٣- البحث عن الخلود والشباب الدائم:

صراع الإنسان مع الزمن أبدي، فقد بحث عن الخلود، منذ فجر الوجود، وعالج الموت، في الحضارات القديمة، بفكرة الحياة فيما ما بعد الموت، حيث توقع حياة أخرى ينعم فيها الفقراء بالغنى، والجياع بالشبع، والشيوخ بالشباب.. وقد أكدت الديانات السماوية هذه الفكرة، وعملت على ترسيخها حين قالت بحياة أبدية يجد فيها الإنسان الصالح ما حرم منه في هذه الفانية.

وقد عمل الإنسان على إطالة عمره، فعالج ذلك بالوسائل الصحية والوقائية، وازداد معدل عمره في المئة سنة الأخيرة زيادة كبيرة، ومع ذلك فعندما يصل عمر الإنسان إلى سبعين عاماً مثلاً فإنه لن يتوقع بعد ذلك أن يعيش فترة أطول مما عاش، لأن الجسم الذي لا ينهكه المرض باكراً فيقضي على خلاياه يمتد به العمر، ولكن إلى حد معين،

حيث يستهلك بعدها كما تستهلك السيارة، فـالعمر يخضـع لبرنـامج خلـوي في كافـة الكائنات الحية، فالفأر مثلاً قلما يعيش أكثر من سنتين، والقطة ثلاثين عاماً، والحصـان أربعين، والفيل ستين، على الرغم من أن نسبة السعرات الحرارية في الغـذاء لهـا دور في إطالة العمر، كما أن الهرمونات الجنسية تلعب دوراً أيضاً.

وقد أثبتت الدراسات العلمية خطـأ (نظريـة الخلـود الخلـوي) حـين زرعـت خلايـا الإنسان في مزارع اصطناعية، فأظهرت أنها ليست غير خالدة وحسب، وإنما لهـا عمـر محدد أيضاً، وحتى إذا حفظت في مجمدات فإنها تعيـش عمرهـا المحـدد لهـا فقـط، وقـد جـرى تخزيـن خلايـا ذات أعمـار مختلفـة في سـائل (النـتروجين) بدرجـة (١٩٦)مئويـة لفترات طويلة، وعندما أخرجت من التجمد، وزرعت ثانيـة، تـابعت انقسـامها للفـترة المتبقية من عمرها، وكأن شيئاً لم يكن، ممـا يـدل علـى صفـاء ذاكرتهـا، كمـا لو كـان عمرها مدوناً في جيناتها.

وقد اعتمد أدباء الخيال العلمي هذه النتيجة العلميـة، وانطلـق بهـم الخيـال محلقـاً في عوالم المستقبل العلمي، فوضع (ويلز) روايته (عندما يستيقظ النائم) (١٩١٠) التي تقوم على نظرية علمية هي (السبات الشتوي) الذي أتاح (لغراهـام) أن يسـتيقظ بعـد مئـتي عام، فيجد نفسه في عالم آخر غير العالم الذي كان يعرفه.

وإن اكتشاف (الماموث) السيبيري المحفوظ في الجليد جعل (السـبات الشـتوي) زيـاً شائعاً في أدب الخيال العلمي، حتى أن الإنسان يظهر في رواية (غداً، الكلاب) في حالة خلود دائم، وكذلك الأمـر في روايـة (بـول أندرسـون) (دوريـة الزمـن) حيـث يظهـر الأبطال الخالدون في حياة أبدية تستمر أكثر من مليون عام.

وفي الأدب العربي المعاصر كان أدباء الخيـال العلمـي المصريـون سـباقين إلى معالجـة هذا الموضوع البيولوجي، فوضع توفيق الحكيم مسرحيته (لوعرف الشباب) (١٩٥٠)، انتهى فيها إلى أن تركيبنا ما دام قائماً على الخلايـا الحيـة، فإنـه لا يمكـن أن يسـتهلك، وإنما يتجدد كلما أمكن تجديد الخلايا، ولهـذا عمـل طبيبـه علـى اكتشـاف سـر تجديـد الخلايا الهرمة، فتوصل، بطريقة الحقن، إلى إعادة الشباب إلى الأرانب الهرمة، ثـم البشر، فعاد (الباشا) الشيخ شاباً.

ولكنه عانى من التضاد بين جسمه الشاب وعقله الهرم، الأمر الذي جعله يلجأ إلى طبيبه طالباً منه أن يعيده إلى الشيخوخة، قائلاً: "إنك أعطيتني الجسم الفتي، و لم تعطني النفس الفتية التي تبصر الحياة جديدة، وترى كل معنى من معانيها كتاباً لم يفتح بعد: الحب، المجد، الغد ... ".

ووضع (نهاد شريف) قصته (بالإجماع) التي يصور فيها آخر ما وصلت إليه الحضارة الأرضية من تقدم علمي في المجال البيولوجي، حيث يتم تجميد الأجسام البشرية لفترة محددة، يقف فيها القلب وأعضاء الجسم عن عملها، ثم توقظ لتجد نفسها في عالم آخر يختلف، اجتماعياً ونفسياً وحضارياً.

كما وضع روايته (قاهر الزمن) التي بناها على نظرية (السبات الشتوي) الذي سوف يمكّن الإنسان من عبور الأزمنة المختلفة، بعد حفظه في أجهزة تجميد الأجسام البشرية.

أما طالب عمران فيذكر في كتابه (الحاسة السادسة) أن عمال المناجم في جمهورية (ياقوتيا السوفياتية) التي تقع على ساحل المحيط المتجمد الشمالي عثروا وهم يبحثون في أعماق الأرض دائمة التجمد هناك، على حيوان برمائي صغير من فصيلة (السمندل) اسمه (تريتون) طوله (٧سم)، كان متجمداً، وبعد أن تعرض لأشعة الشمس الدافئة استفاق من سباته الطويل، وأخذ يتحرك ببطء، وأعلن عالم الأحياء عن هذا الحيوان الصغير أن حركته تتباطأ، وكذلك دورته الدموية، ثم تبدأ حالة من السبات قد تستمر لمدة تقارب الألف عام، وحين يجد الظرف الملائم للاستيقاظ من سباته يعود إلى الحياة نشيطاً، كأن لم ينم سوى شتاء واحد.

ولقد أثارت هذه الحيوانات اهتمام علماء الحياة في سيبيريا، فالنوم لألف سنة ليس قليلاً، واكتشاف أسراره قد يدفع بالإنسان إلى محاولة إطالة عمره لسنوات أخرى عن طريق التجميد.

ولكن هل ينطبق على الإنسان ما ينطبق على الزواحف التي نشأت حياتها على السبات الشتوي في فصل البرودة؟

إن قليلاً من البرد قد يؤذي الإنسان ويسبب له الأمـراض، ومـع ذلـك فـإن العلمـاء ظلوا يحلمون بسبات الإنسان لسنوات لا يوقظه سـوى الـدفء عـن طريـق الكهربـاء أوالماء الساخن.

إن تجميد الإنسان قد ينشط خلايا الجسم حين تعـود إلى الحيـاة، وقـد يقضـي علـى أمراض كثيرة من بينها (السرطان)، كما أن بعـض الجراثيـم المرضـة تمـوت في درجـة التجمد، وإذا نجح الإنسان في هذا الحلم فإن نتائجه ستكون مذهلة:

لنتصور إنساناً في عقده الرابـع يدخـل إلى غرفـة خاصـة وينـام في درجـة ٣٠ تحـت الصفر حيث يتجمد الجسم تماماً، ويتوقف القلـب وبقيـة الأعضـاء عـن العمـل، وتبـدأ مرحلة سباته لخمسين سنة مثلاً، ثم يوقظ بتيار كهربائي أومغطس ماء سـاخن، فتعـود الحيوية إلى جسمه، ليرى نفسه في عصر آخر، وقد تقدم مـن كـان يعايشـهم في العمـر كثيراً، ومات بعضهم، وشاخ آخرون، وتغيرت أجيال واندثرت حكومات ...

وتصوروا إنساناً ينام ألف سنة، ثم يستيقظ، ليس بعد (٣٠٠ سنة) كـأهل الكهـف الذين استيقظوا على عالم جديـد اسـتقبلهم بحفـاوة كقديسـين، وإنما بعـد ألـف سنة، وكيف ستكون حياة الإنسان بعد ألف سنة، وكيف تصبح علومه وحضارته وأزمنته؟.

وقـد أسـهم الدكتـور عمـران في هـذا الموضـوع البيولوجـي، في قصتــه (السـبات الجليـدي)[٢] فجعـل (أكاديميـة البحـث العلمـي العربيـة) تجـري في عـام (٢٠٢٠) أول اختبار من نوعه في العالم لتجميد جسم إنسان حي لمدة أربعين عاماً، ويتطـوع الشـاب (نزار) لإجراء التجربة هرباً من قصة حب فاشلة، وقد مـر بظـروف صعبـة خانـه فيهـا الأصدقاء والأقارب، ودفعته هذه الإحباطات إلى إيثار الهـرب مـن الحيـاة والدخـول في تجربة تجميد جسمه لمدة أربعين عاماً، يستيقظ بعدها، فتكون الدنيا قد تغـيرت، وبهـذا يتخلص من المعاناة المرة التي يعيشها.

أما محبوبته (لينا) فقد كانت مصابـة بمـرض السـرطان الـذي سـيقضي عليهـا، وقـد أخفت عنه مرضها، وزعمت له أن الطبيب الذي يشرف على علاج والدها قد وقع في

---

(٢) من مجموعته القصصية: السبات الجليدي ١٩٩٣

هواها، وأن زفافها سيكون بعد يومين، فأشعلت بذلك نار الكراهية في قلب (نزار) ضدها، كي لا يربط حياته بها كإنسانة مريضة ميئوس من شفائها.

وفي اليوم التالي لتجميده عرضت (لينا) على (الأكاديمية العربية) أن تجمد هي أيضاً فلعل هذا التجميد ينشط خلايا جسمها ويقضي على مرضها السرطاني، وعندما يستيقظان، بعد تجميد أربعين عاماً، سيعودان لبعضهما حبيبين مخلصين، وقد وافقت الأكاديمية على طلبها، وتم تجميدها

وبعد أن انقضت أربعون سنة، بدأت تجربة إيقاظهما من سباتهما الجليدي. كانت أعضاؤها سليمة. وقد استردّا وعيهما، ولكن لم يستردا ذاكرتيهما، إذ أنهما لم يتعرفا على بعضهما بعضاً، فغابت عنهما ذكرياتهما.

وأمام هذه المشكلة الجديدة جرب المركز إحداث صدمة كهربائية محدودة في دماغ كل منهما، فأعطت نتيجة إيجابية. وهكذا عاد الحب من جديد يربط قلبين، بعد أربعين عاماً من الانقطاع.

وهكذا أثبت (السبات الجليدي) جدواه في الوقت الذي سدت فيه نظرية (الخلود الخلوي) منافذ الأمل أمام أدباء الخيال العلمي، حين قالت: إن للخلية البشرية عمراً محدوداً لايمكنها أن تتجاوزه، فكان (السبات) نوعاً من الالتفاف على هذه النظرية، حيث لا تحسب فترة (السبات) من عمره، لأن وظائف الجسم كلها تتوقف فيه إلى حين بدء الاستيقاظ من جديد.

ثم يغامر الدكتور طالب عمران في موضوع آخر يُعَدّ واحداً من أحلام البشر، هوتحويل المادة (أوجسم الإنسان) إلى طاقة (كالضوء مثلاً)، ثم إعادته إلى المادة، فيجعل (عامراً) قائد مركبة الفضاء (الرازي ٣) يبدأ رحلته عام (٢٧٨٨)، ومركبته مازالت منطلقة بسرعة الضوء منذ (١٢٦) عاماً في هذا الكون الرحيب.

إن القوانين الطبيعية في الكون تختلف عما هي عليه في الأرض، فالزمن يتوقف في السرعات الخيالية، وتنعدم قوانين الجاذبية والوزن، وتخضع الأجسام لقوة نابذة يعرفون

معادلتها وكيفية السيطرة عليها، وهم يتمكنون من الطيران والتنقل من مكان إلى آخر بسرعات خيالية، وتقوم مجتمعاتهم على التعاون، وهي قادرة على حماية أفرادها من الأذى الذي تسببه أنانية بعضهم، فالشرير لديهم لا يعيش طويلاً، وحين يشعر بأنه لم يعد يستطيع الاستمرار في العطاء، فإن جسمه يهمد ويموت.

وفي مركز (بحوث علم الحياة) يتم إجراء التجارب على تحويل المادة إلى طاقة، ومن ثم إرجاع الطاقة إلى مادة. وهكذا يمكن تحويل الإنسان إلى ضوء، ومن ثم إعادته إلى المادة كما كان.

ومثل هذه العملية تفيد كثيراً في غزوالفضاء والكواكب، فعندما يتحول رواد الفضاء إلى طاقات فإنهم يتخلصون بذلك من قوانين الجاذبية، ومن أمراض التلوث، ومن كل المصاعب التي يواجهها رائد الفضاء.

وبالطبع فإن هذا (الحلم) البشري بعيد المنال في عصرنا، ولكن من يدري فلعله يصبح حقيقة واقعة في المستقبل القريب أوالبعيد.

الفصل الرابع
البحث عن عوالم مفقودة على سطح الأرض

على الرغم من التقدم العلمي فإن أجزاء من كوكبنا الأرضي ما تزال مجهولة لم تكتشف بعد، وهي حبلى بالكثير من الأسرار، ولعله قد عاش على الأرض قبلنا، أناس كانوا على قدر كبير من الرقي والتقدم الحضاري، ثم انقرضوا فلم نعد نعرف عنهم شيئاً.

بيد أن الرغبة في المعرفة وحب المغامرة قد دفعا بالكثيرين منذ فجر البشرية إلى ركوب المخاطر وتحدي المصاعب، من ذلك ما رواه (لوسيان) الأديب السوري الأصل (من بلدة: ساموزاتا) على نهر الفرات في القرن الثاني للميلاد، في كتابه (التاريخ الصحيح) عن جماعة ركبت البحر تبغي الوصول إلى جزر الخلد (أوالجنة)، كما كان يسميها (اليونانيون)، وتقع في أقصى الغرب بعد أعمدة (هرقل) (جبل طارق حالياً) في مكان ما في المحيط الأطلسي، حيث كانت قارة (اطلنطد) المشهورة في الأساطير التي تنص على أن الآلهة أغرقتها في مياه المحيط، وأن هذه الجماعة شهدت حرباً كونية غريبة، تقاتلت فيها جماعتان واحدة من الشمس، وأخرى من القمر، وأن سفينتها قد ابتلعها وحش بحري هائل..

والبحث عن عوالم مفقودة على سطح الأرض يمكن أن ينقسم عند عمران إلى ثلاثة اتجاهات هي: البحث عن القارة المفقودة (اطلانطيس)، والبحث عن آثار الحضارات القديمة، وتناسل القصص الشعبي العربي.

١- البحث عن القارة المفقودة:

أما البحث عن القارة المفقودة (الاطلانطيس) فلعل الكاتب الفرنسي (جول فيرن) (Jules Verne) (١٨٢٨ – ١٩٠٥) الذي كان أول روائي اشتهر عالمياً بقصص الخيال العلمي، اختص بتصوير غزوالأعماق حيث وضع أشهر رواياته: رحلة إلى باطن الأرض، وعشرون ألف فرسخ تحت الماء، والجزيرة العجيبة.. ثم وضع الكاتب الأمريكي (ريموند برنارد) كتابه (جوف الأرض) (١٩٨٨)، وهوكتاب، وليس رواية أوقصة، وفيه يؤكد وجود عالم في جوف الأرض، تعيش فيه كائنات أكثر تطوراً من البشر، وتمدهم (الشمس) المركزية بالدفء والحرارة.

ويروي الكاتب أن أحد ضباط البحرية الأمريكية قام برحلتين إلى عتبة تلك المناطق، ووضع يده على تلك الوثائق والمصورات التي تقدم للناس أعظم اكتشاف في هذا العصر.

كما يروي قصة اثنين من البشر، هما ضابط وابنه، هبطا إلى داخل هذا العالم الأرضي، فسُحرا بجماله، وظلا فيه، فلم يعودا. وهويرى أن في باطن الأرض حضارة تفوق ما على سطحها، وأن فيها آلاف المدن وملايين البشر الذين يعيشون حياة متحضرة أرقى من حياة البشر على سطح الأرض. ويؤكد أن القارات التي غرقت من مثل (أطلانطيس) التي غرقت منذ أكثر من عشرة آلاف عام، و(ليموريا) التي غرقت منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، إنما هما من القارات المفقودة التي كانت على قدر كبير من الحضارة، وأن هذه الحضارات القديمة استعمرت مصر الفرعونية، وتوصلت إلى اختراع سفن فضائية تطير بسرعات خيالية، وتعرفت على التجويف القطبي بوساطة أطباقها الطائرة، فلجؤوا إليه، بعد غرق قاراتهم، مستخدمين محطاتهم الفضائية وسائل انتقال سريعة، مختفين عن العالم الأرضي الذي كان يتطور ببطء، وعندما ألقى الأمريكيون قنبلتهم الذرية الأولى على (هيروشيما) ارتفعت الأطباق الطائرة من سكان (الأطلنطيد)، من جوف الأرض لتكتشف سر ذلك الانفجار الهائل، وهذا ما شاهده الناس عياناً.

وفي كتابه (دون أثر) يشير (بيرلتزا) إلى دخان ينبعث من تحت المـاء، وكأنما هومـن جوف الأرض الملتهب. فهل هومن حضارات ما قبل التاريخ، والتي ما تزال تنشط على فترات متقطعة؟ وينبعث من قارة (اطلنطيد) التي تحكي الأساطير عـن غرقهـا بحضارتهـا المتقدمة؟

وهنا تكمن براعة التوليف، بين بعض الاكتشافات العلمية وبناء أحداث روائية على أساس من الخيال العلمي.

وقـد وضـع طـالب عمـران في هـذا الموضـوع روايـة (رجـل مـن القـارة المفقـودة) (١٩٩٧) صور فيها (خازن) الكاتب السوري الذي يزور الرباط (عاصمة المغـرب) في عام (١٩٩٤) ويجلس فوق صخرة عند مصب نهـر (أبـي قـراق) في المحيـط الأطلسـي، يتأمل المحيط الهائل، عندمـا اسـتخرج الصيـادون مـن البحـر صخـرة تشـبه الصنـدوق، ولعلهم أملوا في أن يجدوا فيها كنزاً، ولكنها كانت صماء، فتركوها ومضوا.

وقد تعرف (خازن) على فتاة تدعى (دلال) كانت تبحث عـن ابـن أختهـا الصغـير الضائع، فساعدها خازن في العثور عليه.

وفي اليوم التالي اتصلت (دلال) بخازن وقصت عليه ما كان يتحدث به (محمد) ابـن أختها الصغير، عن مقابلـة عجيبـة مـع رجـل يدعـى (دارم) خـرج مـن تلـك الصخـرة المستخرجة من أعماق المحيط، ثم عاد إليها، وقد ظن أبوه (سعد) الخبير بالآثار أن هـذه المقابلة لم تكن سوى حلم، ولكنه لم يستطع تفسير بلل ثيابه بماء البحر.

وذهب الجميع إلى الصخرة: (خازن)، و(دلال)، و(سعد)، و(محمد)، وتفحصوهـا، وأكد لهم (محمد) أنها هي التي خرج منها (دارم) ثم عاد واختفى فيها، فجاؤوا بمعـول لتحطيمها ومعرفة ما بداخلها، ولكنهم جوبهوا بمقاومتهـا للتحطيـم، فكأنهـا مصنوعـة من معدن غريب مما اضطرهم إلى حملها بوسـاطة شـاحنة إلى المـنزل، وهنـاك عرضوهـا للحـرارة الشـديدة، فتصـاعد منهـا بخـار، ثـم بـدأت الطبقـة الخارجيـة الصلبـة تسـيل بالتدريج، فتوضحت الفتحات الزجاجية، ليروا صندوقاً زجاجياً مشغولاً بعنايـة فائقـة، ودقة متناهية، وفي داخله لباس رائد فضاء.

دهش الجميع عندما وجدوا داخل البدلة جسماً بشرياً غير متفسخ، ربما بسبب البرودة الشديدة التي وضع فيها، فكأنما هو في سبات جليدي. وعندما أخرجوا جسم الشاب المثلج من اللباس المعدني سرت الحرارة فيه، ففتح عينيه، ونظر حوله، ثم استعادت أعضاؤه وظائفها، فتحدث إليهم بالعربية:

-(دارم) يعرف لغات كثيرة.. العربية لغة أبينا (آدم)، أقدم لغة على الأرض.

قال لهم: إنه كان يعيش مع حبيبته (دارينا)، وأنه كان طبيباً يرأس فريقاً من أطباء (الأطلنطيد)، ولكن الحرب نشبت بين الحاكم وأخيه الجنرال، فاستخدم كل منهما السلاح الذري الذي أودى بحضارة قارة (الاطلانطيد).

بيد أن العلماء عملوا على إنقاذ أنفسهم عن طريق تبريد الأجسام الحية لمدة من الزمن، ووضعها في صناديق مغلّفة بعجينة من اللدائن المكثفة الممزوجة برصاص من نوع خاص، لمنع تسرب الإشعاع الذرّي إليها. تحيط بها عجينة أخرى تتصلب لتصبح قاسية كالصخر، صعبة التفتت والتأثر بالعوامل البيئية، وتم التحكم بالزمن لايقاظهم بعد خمسين عاماً، وعندما تم الانفجار الذري طارت آلاف الصناديق من شدة الانفجار، وغرق الكثير منها، وغاصت حضارة كاملة في أعماق المحيط.

استغرب الجميع ما يسمعون: أيعقل أن هذا البشري الذي يتحدث إليهم هو واحد من حضارة (الاطلانطيد) التي اندثرت قبل (١٢) ألف عام؟ كما ورد في كتب قدماء المصريين والسوريين.

أراد (خازن) أن يريه معالم حضارة اليوم، ولكنه رغب في أن يساعدوه في البحث عن توابيت حجرية أخرى في أعماق المحيط، عله يعثر على تابوت حبيبته (دارينا) فينقذها.

وفي صباح اليوم التالي لم يجدوا (دارماً) ولا (محمداً) فهرعوا إلى شاطئ المحيط ليجدوا محمداً يبكي وهو يقول لهم: لقد ذهب دارم، ودعني وقبلني وهو يقول: دارينا تناديني سأبحث عنها.

٢- البحث عن الحضارات القديمة:

نشط البحث عن الحضارات العربية القديمة في العشرين سنة الأخيرة من القرن (العشرين) كنوع من الرد على المركزية الأوربية التي ترى أن الحضارة الإغريقية هي (أم) الحضارات في العالم وأقدمها، ولهذا انطلق الباحثون في إظهار الحضارات العربية القديمة، معتمدين على المكتشفات الأثرية التي بدأت في الحفر والتنقيب مع مطالع القرن (العشرين)، فوصلوا إلى نتائج حضارية باهرة أكدت أن الحضارات العربية القديمة التي نشأت قبل الميلاد بآلاف السنين، وازدهرت في بلاد الرافدين (السومرية، والبابلية، والأكادية، والآشورية..) وفي الساحل السوري (الفينيقية، والكنعانية، والأوغاريتية..) وفي بلاد الشام (آلالاخ، وماري، وإيبلا، والبتراء..) وفي جنوبي الجزيرة العربية (السبئية، والمعينية، والحميرية)، وفي مصر القديمة (الفرعونية). هذه الحضارات العربية القديمة قد سبقت الحضارة الإغريقية التي تأثرت هي نفسها بهذه الحضارات العربية البائدة.

وإعادة الحق إلى نصابه أعطت العرب أهمية أكبر عندما أظهرتهم الصناع الأولون للحضارة الإنسانية، فزادتهم ثقة بأنفسهم في وجه موجات التغريب التي يواجهونها في عالم اليوم.

ومن هنا بدأ بعض الأدباء في استلهام هذا الزاد الحضاري التراثي في الأدب، فتم توظيفه في جميع الأجناس الأدبية من شعر وقصة ورواية ومسرحية، لأسباب سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، ومن هؤلاء الأدباء طالب عمران الذي نرى أنه وحده بين أدباء الخيال العلمي من التفت إلى هذا التوظيف الحضاري التليد، وذلك في قصصه: حين تبكي الألواح)، والمقبرة القديمة، وبئر العتمة ...إلخ. في قصته (حين تبكي الألواح[1] عالم أثري استطاع أن يقرأ قصة مكتوبة بلغة قديمة على ألواح حجرية مهملة، عثر عليها قرب مدينة (ماري)، تعود للألف الرابعة قبل الميلاد، وكانت بعض

---

(١) من المجموعة القصصية: تلك الليلة الماطرة ١٩٩١

أحرفها مفتتة، ومع ذلك تمكن العالم الكهل من فك طلاسمها، بعد جهود استمرت ستة أشهر من العمل الجاد والكاتب لم يرغب في إعطاء قصته مباشرة، كحكاية قديمة، وإنما لجأ إلى توصيلها إلى قارئه على جرعات، من خلال أحلام العالم في نومه: فلقد رأى نفسه مرة في المدينة الأثرية، وفتاة رائعة الجمال (ليلينا) ترتدي ثياباً بلون الثلج، تقف قرب أحد الأعمدة الضخمة، بانتظار حبيبها (لانوس) الذي ما أن رأته حتى ألقت بنفسها بين ذراعيه.

ويوظف الكاتب بعض الأشعار التي يبدعها هوفي كل مناسبة تقتضي ذلك، وهنا في هذا اللقاء وضع صفحة من الشعر الحر، بدأها بقوله:

السحب تجلب الخير للأرض

والأرض عطشى

عصافير الدوري تبشر بالربيع

وأنا أنتظر ربيع الوصال

لكن الجنود والحراس يحيطون بهما من كل جانب، ويقودونهما إلى ساحة الإعدام.

وهكذا يبدأ الكاتب القصة من خاتمتها، ليعود بعد ذلك إلى البداية، حيث يغفوالعالم الكهل إغفاءة أخرى فيجد (لانوس) الشاعر الشعبي الذي يتغنى بحب ابنة الملك التي يحبها، والتي نظم أشعاره في تمجيد الحرية، فيرددها الآلاف، وقد حكم عليه الملك بالنفي عن المدينة لأنه شهّر بابنة الملك، لكن (ليلينا) تحبه، وهويحبها، وقد تواعدا على اللقاء في حديقة القصر ليلاً، ولكن كيف يمكن أن يدخل القصر الملكي، وهوممنوع من دخول المدينة؟

لقد استطاع أن يقفز إلى إحدى عربات المؤونة الداخلة إلى القصر، ثم تخفى في المدينة نهاره. ودخل حانة لتمضية بعض الوقت، فجلس إلى ساقية شابة غنت له، فاغرورقت عيناه بالدموع، وهويسمع شعره تتغنى به دون أن تعرف أنه هوقائل هذا الكلام:

الزهـــــر يذبـــــــل إذا لم يســـــــق بالمـــــاء

وقلـــبي كســـــير ينتظـــر أن يرتـــوي مـــن نبعـــك

كـــــل اللحظـــات الجميلـــــة الـــــتي أعيشــــــها

لا معنـــــــى لهـــــا مـــــــن دونـــــــك

يقفلـــون علـــى الطـــير، فيســـــتمر في الغنـــــاء

يحلــــــم بالحريـــــــة والـــــــبراري الشاســـــعة

ويغـني للشـجر والسـماء الصافيـة الخاليـة مـن الخيانـة والغـدر.

وعندما حل المساء قفز إلى حديقـة القصـر ليلتقـي بحبيبتـه (ليلينـا). وكـان عنـاق. ولكن الحراس كانوا بالمرصاد. فداهموهمـا، فـارتقى الشـجرة واختفـى بـين أغصانهـا. وبعد أن غادر الحراس هبط مـن الشـجرة وارتـدى ثيـاب الوصيفـة، ورافـق الحبيبـة إلى غرفتها. ولكن الجنود قطعوا عليهما خلوة الحب، بحثاً عنه، فخبأته في حمامها، وعندمـا غادروا نقلته إلى غرفة جدتها ووضعته في صنـدوق ثيابهـا. ولكـن الملـك نفسـه يحضـر ليجد الحبيبين مع الجدة. وهنا يأمر الملك بإلقاء القبض عليهما، على الرغم من استرحام الجدة، وطلبها ألا يهين ابنته التي تعلقت بحبيبها لتموت معه.

وسيق الحبيبان في صباح اليوم التالي، مع العشرات، إلى ساحة المدينة حيـث نصبـت آلات التعذيب، ووقف الجنود الموكلون بذلك، بعضهم يحمل السهام السامة، وآخرون البلطات لتقطيع الأوصال، وفريق ثالث يشعل النيران لقذف الأعضاء المبتورة إليها.

وكانت مجزرة رهيبة تعالت فيها أصوات الصراخ والبكاء والعويل، وتقبـل الحبيبـان فيها مصيرهما صاغرين، مع غيرهما من المساقين ظلماً وعدواناً.

أما قصة (المقبرة القديمة)[٢] فحكاية إنسان تعامل مع الموت فانتصر عليه، واكتشـف حضارة بائدة، فـ(محمود) شاب في الخامسة والعشـرين، كثـير القـراءة والمطالعـة، درس

(٢) من المجموعة القصصية: الذي أرعب القرية الآمنة ١٩٩٥

التاريخ والحضارات القديمة، وعمل في مديرية الآثار والمتاحف، وتعلق (بسلوى) طالبة الأدب العربي، فخطبها.

وحدث أن قدمت بعثة (فرنسية) للتنقيب عن الآثار، فكان على (محمود) أن يرافقها، لكن خطيبته حاولت منعه من الذهاب، لأنها رأت حلماً مزعجاً كان فيه (محمود) أسير جنود حضارة بابلية قديمة.

وسافرت البعثة، وعلى رأسها الباحثة العجوز (فرانسواه) إلى منطقة الآثار البابلية، يصحبها (محمود) الذي أحس بقلق غامض، وبينما كان يتجول في منطقة الآثار سقط في فوهة، وانطبقت الأرض فوقه وافتقدته البعثة فلم يعد أحد يدري أين هو؟

تطلع حوله فإذا هياكل عظمية، أخذ يصرخ بأعلى صوته علّ أحداً يسمعه، ولكن دون جدوى، فكأنما سقط في بئر عميقة. تبين ما حوله فإذا صناديق حجرية منحوتة بدقة مما يؤكد أنه وقع في مقبرة قديمة، وقد ظل محبوساً في ظلامها وعفونتها يومين كاملين، في الوقت الذي تجند فيه كل أفراد البعثة للبحث عنه، ثم أعلموا السلطات التي استنفرت أيضاً للبحث عنه، ولكن دون جدوى، ولأنه كان تحت سطح الأرض فإن أحداً لم يخطر له أنه سقط في حفرة قادته إلى مغاور وسراديب ومتاهات خرج منها أخيراً، بعد يومين من اليأس والجوع والعطش، فاقد الوعي.

وقد كان ضياع (محمود) سبباً في اكتشاف مقبرة حضارة بابلية عرفت العالم بحضارة ازدهرت قبل أكثر من ثلاثة آلاف وخمس مئة عام.

وفي قصته (بئر العتمة)[٣] يتابع عمران البحث عن الحضارات القديمة، فيصور (بئر العتمة) وقد توارث أهل القرية الحكايات والقصص المخيفة عن الأشباح والجان التي تسكنه، فلم يعد أحد يجرؤ على الاقتراب منه، لأنه ستكون في ذلك نهايته.

ولكن مغامرين أبوا الانصياع للسائد، ورغبوا في اكتشاف هذا العالم المرعب المخيف، فسقط بعضهم، ومات آخرون وهم في طريقهم إلى اكتشاف (السر) الذي لم

---

(٣) من المجموعة القصصية: بئر العتمة ١٩٩٥

يصل إليه سوى (عامر) ورفاقه الذين وجدوا أنفسهم، بعد أن هبطوا من فتحة (بئر العتمة) في مدينة كاملة تحت الأرض، ذات شوارع مرصوفة، وبيوت متلاصقة، وكتابات غير مفهومة على الجدران، وتماثيل مرفوعة، وهياكل عظمية..

إنها منطقة أثرية لم يكتشفها أحد بعد، وعمرها أكثر من ثلاثة آلاف عام. وبدأت الخبرات الأثرية بالحفر والتنقيب، وتحولت القرية إلى مقصد للسياح والزوار، وانتهت خرافة (بئر العتمة) لتبدأ قصة حضارة بائدة كانت قد ازدهرت منذ ثلاثة آلاف عام.

٣- تناسل القصص الشعبي:

أطلق الأدب الشعبي العربي العنان للخيال، فانطلق يحلم بالمعجزات والخوارق التي عسر تحقيقها في عالم الواقع، فسهل تحقيقها في عالم الخيال. والواقع أن الأدب الشعبي منجم لاينضب ينبض بحياة مجتمعاته، ويحكي آمال البشر وآلامهم. إن كتاباً مثل (سيرة الملك سيف بن ذي يزن) يغص بالكائنات العجيبة والأحداث الغريبة، والخرافات التي قد لا يصدقها عقل إنسان اليوم، وعلم الرمل، وعلم السحر، وعلم الأقلام. ومن هذا كله يصنع الخيال الشعبي: طاقية الإخفاء التي تخفي لابسها، والمشي على الماء وطيّ الأرض، والطيران بوساطة بساط الريح أوالجني، والمرآة التي يرى فيها ما يريد، والاطلاع على الغيب بوساطة الرمل أوالجن، والسيف السحري، والخاتم العجائبي. والحصان الطائر، والزمردة الخضراء ... ومن الملاحظ أن كثيراً من هذه الأعاجيب التي كان يحلم بها الإنسان قبل ثلاثة آلاف عام قد تحققت في عالم اليوم. وكذلك الحال في كتاب (ألف ليلة وليلة) المترع أيضاً بالعجائب والخوارق والجن والسحر والعفاريت... إلخ [٤] .

وإذا كان القصص الشعبي يتحدث عن (حوريات) البحر اللواتي نصفهن الأعلى إناث ذوات وجوه، وعيون، وشعور، وأثداء، ونصفهن الأسفل زعانف كالأسماك، فإن الكاتب طالب عمران يتابع هذه الفكرة، فيضع قصة (حورية البحر) التي يروي فيها حادثة وقعت للقبطان (أحمد) عام (١٩٣٠) عندما كان يقود سفينته من عدن الى جزر

---

(٤) انظر كتابنا: الخيال العلمي في الأدب ١٩٩٤

المالديف في المحيط الهندي، لإيصال المواد الغذائية. وقد رست السفينة في إحدى الجزر، وذهب (أحمد) يتريض وحده في الجزيرة. فشاهد عن بعد مجموعة من النساء منتشرة على الصخور. نصفهن الأسفل على شكل أسماك. إنهن عرائس البحر. وعندما صعد شجرة ليتمكن من رؤيتهن جيداً انكسر الغصن، فهوى على صخرة، وفقد الوعي.

الفتاة ذات العينين الزرقاوين شدته إلى أعماق البحر، وهي تقول له: كنت أنتظر وصولك منذ زمن بعيد، ولأنها ابنة الملك، فقد حضرت العربة الملكية، فامتطياها، وهبطا إلى مملكتها في أعماق البحر. شاهد متحف الأعماق الذي يجمع الآثار القديمة للحضارات التي ازدهرت في أعماق البحار منذ آلاف السنين، يحرسه أخطبوط ضخم. استقبله أبوها الملك مرحباً:

-أهلاً بك يا بني في مملكتنا المسالمة.

ولكن قانون الحياة في الأعماق يفرض عليه أن تلتصق رجلاه لتشكلا ذيلاً مثل كل من يعيش في البحر، وقد أفرحها تطوره السريع في التأقلم، حيث تحولت رجلاه إلى ذيل سمكة، مما سيعجل بموعد زواجهما، وسيصبح هوملك الأعماق بعد والدها الشيخ.

في تلك اللحظة أفاق (أحمد) من حلمه فإذا هوفي المخيم، على الجزيرة، وإذا كل ما مر به مجرد حلم. ولكن كيف، ومساعده (حسن) يؤكد له أن جزيرة في المحيط الهندي تعيش على شواطئها عرائس البحر، حتى لقد سماها البحارة (جزيرة عرائس البحر)، وقيل: إن كثيراً من البحارة قدموا إليها، وحاولوا الوصول إلى إحدى هذه العرائس فاختفوا، لأن (حوريات البحر) خطفنهم إلى الأعماق. وفي الليل أمسكت (الحورية) بيد (أحمد) وقادته إلى الأعماق ثانية، ولكنهم أيقظوه في الصباح، فصعد ومعاونه إلى الجزيرة، واستطاعا إلقاء الشبكة على إحدى (حوريات البحر) واصطيادها، وتفرسا فيها، فإذا بها، على خلاف ما تذكر القصص والحكايات، وجه قبيح غير متناسق، وعينان صغيرتان ضيقتان لاتتناسبان مع حجم الوجه، وأنف كبير أفطس، وشفاه غليظة متدلية يكسوها شعر غليظ كالشوك، وجلد أسود كثير التجاعيد، أهذه هي (حورية البحر) التي فتن الناس بجمالها؟ فك (حسن) رباط الشبكة وأطلق السمكة (حورية البحر) التي اندفعت نحوالبحر، وغاصت في الأعماق.

وبالمقابل فإن (علم) اليوم قد حصن الإنسان من المخاطر، وجعل لحواسه استطالات لانهاية لها، مما عمم الرفاهية الجسمية على حساب إجهاد الفكر والعقل، ففي قصته (تلك الموجة في الأعماق)[٥] يصور عمران رحلة في أعماق المحيط، على بعد عشرة آلاف قدم من سطح البحر، قام بها عالمان خرجا من غواصة الأبحاث، وقد ارتدى كل منهما لباس الغوص، وثبت أسطوانتي أوكسجين على ظهره، وساعة مائية على يده، وربط على ذراعه مسدسه اللايزري الذي يكفيه شر حيوانات الماء.

وفي الأعماق اقترب أحدهما من فوهة كهف عجيب، وبدأ في التقاط الصور، ثم دخل الكهف المظلم، وهويضغط زر المصباح الكهربائي الذي يشق بنوره ظلام الكهف، فميز فوهة صندوق مفتوح ملقى بين الأعشاب البحرية، وأحس بقوة تجذبه نحوالفوهة، ثم فقد الوعي.

وعندما استفاق وجد نفسه على ظهر سفينة صيد ضخمة إلى جانب حسناء رائعة الجمال ترتدي لباس البحر، وتقول له: "نحن آسفون لما حدث، فما رأيته في الكهف ليس سوى فوهة (شفاطة) لجذب الأسماك وأحياء البحر الطرية الصالحة للطعام، وبوساطة موجات كهربائية يتخدر الحيوان البحري فتنعدم قوته الإرادية وينجذب نحوالفوهة التي تنتهي بأنبوب ضخم يمتد حتى السفينة".

(٥) من المجموعة القصصية: مساحات للظلمة ١٩٩٢

الباب الثالث

خصائص أدب الخيال العلمي

عند طالب عمران

١ - خصائص أدب الخيال العلمي

عند طالب عمران

٢ - حضارات العوالم الأخرى

٣ - كائنات العوالم الأخرى

الفصل الأول

خصائص أدب الخيال العلمي عند طالب عمران

في تحليلنا للنص الأدبي عند عمران لن نلجأ إلى تحليل نص معين، لتعدد النصوص وكثرتها، ما بين قصة قصيرة، ورواية (أكثر من عشرين كتاباً)، وإنما سنبدأ من العام إلى الخاص، من الخصائص العامة لأدب الخيال العلمي، إلى الخصائص الذاتية لإبداع د. طالب عمران.

١- التنبؤ العلمي:

(التنبؤ العلمي) هوأحد خصائص أدب الخيال العلمي، إذ أن البشرية تحلم بتحقيق ما تعجز عنه، وتضع هذا الحلم هدفاً أمام الأجيال التي ستسعى حتماً إلى تحقيقه. هكذا كان الإنسان العربي، في تراثنا الشعبي، يحلم بالطيران، فأوجد خياله (البساط السحري) قبل أن يصبح حقيقة واقعة في (الطائرة)، وكان يحلم ب (المرآة السحرية) التي تريه العوالم البعيدة والقريبة، فجاء اختراع (التلفزيون) ملبياً هذه الرغبة. وظل يحلم بـ (المصباح السحري) حتى اخترع (الكهرباء). وتصور أجدادنا (المارد) المحبوس في قمقم والذي يطير في السحاب، ويحطم الحصون، ويفعل المعجزات، وقد تحقق هذا الحلم بتحويل المادة إلى طاقة، فإذا القنابل (الذرية) و(الهيدروجينية) تزرع الرعب والدمار في العالم كله، ذلك أن كيلوغرام من المادة، عندما يتحول إلى طاقة، يعطي (٢٥) ألف كيلوواط ساعة، وهو كاف لتزويد سيارة بالوقود اللازم لسيرها لمدة (١٦) ألف عام دون توقف.

(الحلم) إذن- أولاً- ثم يـأتي العلـم ليحقـق ذلـك الحلـم، ومـن هنـا صـدق مقولـة (بودلير): (الخيال هوالطريق إلى الحقيقة).

وفي مجال الفضاء تنبأ الفلكـي الانكليزي (جـون أدامـز) في عـام (١٨٤٥) بوجـود كوكب آخر وراء (أورانوس) نتيجة انحراف أورانوس وتأرجحه في مداره، وقـد حـدد مكانه بالمعادلات الرياضية والحسابات الدقيقة، وكانت الكواكب المعروفـة حتـى زمنـه سبعة فقط هي: (عطارد)، و(الزهرة)، و(الأرض)، و(المريخ)، و(المشتري)، و(زحـل)، و(أورانوس)، ثم أكّد هذا التنبؤ في العام التالي الفلكي الفرنسي (ليفرييه) الـذي توصـل إلى اكتشاف الكوكب الثامن في المجموعة الشمسية، وحددت حساباته حجم الكوكب والمكان المفترض وجوده، وأطلق عليه اسم (نبتون). وكتلته أكـبر مـن كتلـة الأرض بــ (١٨) مرة، ويقدر قطره بنحو(٢٥) ألف ميل، وجوه مليء بالغيوم، ولا يصله من نـور الشمس وحرارتها إلا جزء من (١٩٠٠) جزء مما يصل إلى الأرض، ويتم دورته حـول الشمس كل (١٦٥) سنة.

وفي بداية القرن (العشـرين) تنبـأ العـالم الكبير (لـوول) بوجـود كوكـب تاسـع في المجموعة الشمسية، عن طريق الحسابات الدقيقـة، وقـد مـات قبـل أن تتمكـن المراصـد الفلكية من رؤية اكتشافه، حتى كان عام (١٩٣٠) حيث تمكن عالم فلكي شـاب مـن رصد الكوكب المجهول، في نفس المكان الذي افترضه (لوول) فأطلق عليه اسم (بلوتو).

وكان لهذا الاكتشاف ضجة كبيرة في الأوساط العلمية، إذ تضاعفت الثقة في نفوس الباحثين، وأثبتوا أن علم الفلك ليس علماً مبنياً على الحـدس والتخمـين، وإنمـا هوعلـم قائم على أسس رياضية متينة.

كذلك أثبت العلم صحة تنبؤات أدباء الخيال العلمي، لأنهـا مبنيـة علـى افتراضـات العلماء أوعلى الحقائق العلمية، مـن ذلـك أن (جـول فـيرن) رائـد أدب الخيـال العلمـي الفرنسي كان قد تنبأ باختراع (الغواصة)، و(الطـائرة)، والهبـوط علـى القمـر، وأشـياء أخرى تحققت كلها. كما تنبأ (ويلز) رائـد أدب الخيـال العلمـي الانكليزي في روايتـه (الغذاء السحري) بأنواع ضخمة مـن الحيوانـات عـن طريـق التهجـين، يتـم تدجينهـا،

ووضعها غذاء في خدمة الإنسان. وهنا نحن نشهد النتائج تعلب وترسل إلى كافة أنحاء العالم، وهوما يفعله اليوم الاختصاصيون في مجالات الزراعة والصناعة وغيرها.

ومن طريف ما يروى في مجال التنبؤ العلمي أن قصة من (الخيال العلمي) نشرت في عام (١٩٤٤) في أمريكا، وصفت القنبلة الذرية وعملها بدقة متناهية، فأحدثت رد فعل قوي في الأوساط العسكرية الأمريكية التي أجرت تحقيقاً لمعرفة كيفية تسرب أسرار علمية مطلوب كتمانها، متعلقة بالسلاح الذي لم يكن قد أنجز بعد. ولم يكن في الأمر إفشاءأسرار معلومات علمية أوعسكرية، وإنما هو(الخيال العلمي) المبني على أسس علمية وبعد عشرة أشهر تم تفجير أول قنبلة ذرية في العالم.

كذلك تنبأ الدكتور طالب عمران في روايته (العابرون خلف الشمس) ١٩٧٩ بسحب من الدخان المتراكم لشهور طويلة بعد الحرب النووية، وكأنما هويصف الشتاء النووي قبل نشر هذه النظرية من قبل علماء دول متطورة.

٢- نسبية الزمان والمكان:

على الرغم من أن أدباء (الخيال العلمي) يلتزمون الحقيقة العلمية، فإن هذه (الحقيقة) تصبح نسبية بين الكواكب والنجوم، ذلك أن المسافات المكانية الهائلة، والأزمان المختلفة، قد حطمت الوحدات الزمانية والمكانية الأرضية التي اعتبرت المقياس الوحيد في العالم، وجعلت أدباء (الخيال العلمي) يتحررون من سلطتي الزمان والمكان: فعندما تنطلق المركبة الفضائية إلى كوكب آخر لاستكشاف أجوائه وكائناته وحضارته، وتقضي في رحلتها شهراً، ثم تعود إلى الأرض فتجد أنها قضت ثلاثمئة عام. وعندما تنطلق مركبة أخرى في غزوالفضاء بسرعات خيالية تقارب سرعة الضوء، ثم تعود إلى الأرض فتجد العالم قد تغير وسكان الأرض قد أصبحوا على خلاف ماعهدهم الراحلون، خَلقاً وخُلقاً. فمثل هذه الفوارق الزمنية الهائلة مرعبة حقاً.

وعندما نعلم أن يوم (الشمس) يعادل (٢٧) يوماً من أيام كوكبنا الأرضي، وأن نهار القمر يعادل (١٤) يوماً أرضياً، وأن يوم (المشتري) يعادل عشر ساعات أرضية،

وأن يوم (عطارد) (١٧٦) يوماً أرضياً، وأن سنة (الزهرة) (٢٢٥) يوماً أرضياً، وأن سنة المريخ (٦٨٧) يوماً أرضياً، وسنة المشتري (١١) سنة أرضية، وسنة زحل (٢٩) سنة أرضية، ويومه (١٠) ساعات أرضية، وسنة (أورانوس) (٨٤) سنة أرضية، ويومه (١١) ساعة أرضية، وسنة (نبتون) (١٦٥) سنة أرضية، ويومه (١٦) ساعة أرضية، وسنة (بلوتو) (٢٤٨) سنة أرضية، ويومه ستة أيام وتسع ساعات أرضية، وأن سنة (الأرض) (٣٦٥) يوماً، ويومها (٢٤) ساعة، أدركنا كم هوالفارق الهائل بين الأزمنة في الكواكب، فضلاً عن الفارق الرهيب أيضاً بينها في الأمكنة، فإذا كانت سرعة الضوء (٣٠٠) ألف كيلومتر في الثانية فإن المسافات هائلة جداً بين الكواكب والنجوم: فالدب الأكبر مثلاً يبعد عنا (٨٠) سنة ضوئية (والسنة الضوئية = ٣٠٠ ألف كم/ثا × ٦٠د × ٦٠ سا × ٢٤ يو× ٣٦٥ سنة).

ويمكننا تصور حجم مجموعتنا الشمسية بالنسبة للفضاء بتمثيل الشمس بحبة الحمص، وكواكبها التسعة بذرات من الرمل والغبار، في ميدان كبير في مدينة ضخمة. وإذا افترضنا أن مركبة انطلقت من الأرض باتجاه الشمس بسرعة (٤٠٠) ميل في الساعة فإنها تصل إلى الشمس بعد (٢٧) سنة، ويبعد (عطارد) عن الأرض (٥٧) مليون ميل حين يكون في أقرب نقطة إليها، وتبعد (الزهرة) (٢٦) مليون ميل في أقرب نقطة منها، ويبعد (القمر) عن الأرض ٢٤٠ ألف ميل. فإذا انطلقت مركبة من الأرض باتجاه القمر بسرعة (٤٠٠) ميل في الساعة فإنها تصل بعد (٢٥) يوماً، ويبعد (المريخ) (٤٨) مليون ميل عن الأرض، ويبعد (المشتري) (٣٦٩) مليون ميل عن الأرض، ويبعد (زحل) (٧٤٤) مليون ميل عن الأرض، ويبعد (أورانوس) (١٧٠٠) مليون ميل عن الأرض، ويبعد (نبتون) (٢٧٠٠) مليون ميل عن الأرض.

هذه المسافات الهائلة والأزمنة الفلكية هي خيالية في تصور البشر وفي واقعهم.

وقد أخذ الدكتور عمران هذه المسافات الزمانية والأبعاد المكانية الهائلة بعين الاعتبار في قصصه ورواياته العلمية. ففي روايته (فضاء واسع كالحلم) يعود (ماجد) من رحلته الفضائية التي استغرقت شهراً أرضياً، فإذا معارفه قد كبروا ثلاثين عاماً.

وقد أوقعه هذا الفارق في مفارقات: فلم تعرفه زوجته التي أصبحت جدة، وأصبحت ابنته أكبر من أبيها. ولهذا قرر مجلس المدينة عدم عودة ماجد إلى أسرته كي لا يفكك وئامها، مما جعله يغادر الأرض عائداً إلى الكوكب اللامع الذي كان قد اختار اكتشافه، لتنحل فيه (مادة) جسمه، فتصبح (طاقة) خالدة.

وإذا كان الدكتور عمران، في موضوع غزوالكواكب، قد التزم بالحقائق العلمية، في مسألتي الزمان والمكان، على الرغم من أن هذه (الحقائق) العلمية هي أشبه بـ (الخيالية) بالنسبة لنا كبشر نحيا على كوكب الأرض. فإن هذا ما يجعل (الحقيقة) نسبية، وخاضعة لظروف عديدة.

٣- خيال بلا حدود:

يتداخل (الخيال العلمي) بـ (الفانتازيا) حيث ينطلق الخيال بلا حدود: فعندما يجعل (توفيق الحكيم)، في (لوعرف الشباب) طبيباً مصرياً يتوصل إلى تجديد خلايا أحد الباشوات الشيوخ، فيعيده شاباً، تحدث له مفارقات مضحكة، تجعله يطلب من الطبيب أن يعيده شيخاً لأن (عقل الشيخ في جسد الشاب) أمر غير عادي، وغير مألوف. وفي قصة (في سنة مليون) يصور (الحكيم) عالماً (يوتوبياً) لا موت فيه ولا ماضٍ ولا ليل ولا نهار، وإنما ضوء صناعي أغنى عن ضوء الشمس، وأغذية كيماوية أغنته عن النوم.

ولذلك اختفت المعد والأمعاء والغرائز والشهوات. كذلك توضح مسرحية (رحلة إلى الغد) عودة سفينة الفضاء الأرضية بروادها إلى الأرض، بعد أن استغرقت رحلتهم (٣٠٠) سنة أرضية، ففوجئوا بأن الأرض قد تغيرت كثيراً عما ألفوها فقد أصبحت (يوتوبيا) خيالية اتجه فيها انتباه البشر، بعد أن دمرت الحرب الذرية أنانيتهم وجشعهم، إلى استخدام الطاقة النووية للسلام لا للحرب، وللخير والإعمار لا للشر والجريمة. فتوافرت الأغذية والرفاهية، وأصبحت أسطحة المنازل محطات للطائرات الجوية. ولم تعد تستغرق الرحلة بين الأرض والقمر أكثر من ست ساعات!

كذلك يجعل د. مصطفى محمود في روايته (العنكبوت)، عالماً يخترع (إكسير الحياة) الذي يُحقن في الجسم الصنوبري في الدماغ ليدخل المرء في غيبوبة كاملة، وكأنها نوم

عميق. فيتكلم باسم الشخصية التي عاشت في زمن سابق، وفي بلد آخر. وبلغة لا يعرفها صاحبها في يقظته. وهذا قريب من ظاهرة (التقمص). أما في روايته (رجل تحت الصفر) التي تدور أحداثها في النصف الثاني من القرن (الحادي والعشرين) فإن الدكتور (شاهين) يخترع جهازاً يحول الأجسام المادية إلى أثيرية لا تمكن رؤيتها إلا من خلال شاشات الأجهزة التلفزيونية.

وأما رؤوف وصفي فيتحدث في قصته (عالم آخر) (١٩٧٤) عن مخلوقات دقيقة لا تُرى إلا بالمجهر. لكنها تتسم بالذكاء الشديد، وتستطيع أن تقرأ ما يدور في ذهن محدثها قبل أن ينطق به.

وهذا كله إنما يدل على أن (الخيال العلمي) عند هؤلاء الأدباء إنما ينطلق حراً بلا حدود، عبر الأزمنة الفلكية والأمكنة الفضائية

٤- الاتجاهات المضمونية:

تتعدد الاتجاهات المضمونية في (أدب الخيال العلمي)، فمن غزوالفضاء، إلى البحث عن عوالم مفقودة على سطح الأرض أوفي أعماق المحيطات، إلى البحث عن الخلود وإعادة الشباب إلى الخلايا الهرمة، إلى الظواهر الخارقة المدهشة التي تعلل تارة بالحاسة السادسة، وأخرى بالروح... إلخ.

ويشكل (غزوالفضاء) الاتجاه الأوسع في موضوعات أدب (الخيال العلمي) كماً ونوعاً. وقد عالج طالب عمران فيه غزوالفضاء من قبل سكان الأرض، كما عالج في قسم آخر غزوالأرض من قبل كائنات الكواكب الأخرى، وذكر أسماء الكواكب التي زارها أبطاله (القمر، والمريخ ... الخ) كما ذكر أسماء الكواكب التي اخترعها خياله (ميماس، أوروس، المارد، ريموس، الكوكب الفوسفوري، الثقب الأسود ... إلخ) وأحياناً لم يكن يذكر أسماء الكواكب المنشودة مكتفياً بتصوير كائناتها وحضاراتها، ومصاعب الرحلة إليها. ورائده في هذا الاتصال الكوكبي الحضاري هوالتعاون مع حضارات الكواكب الأخرى في سبيل اكتشاف الفضاء، وعقد صداقات مع كائنات

العوالم الأخرى، رغبة في نشر قيم الحق والخير والعدل، ليس بين البشر فحسب بل وبين سكان العوالم الأخرى، مما يجعل أدبه ذا رسالة حضارية سامية.

والاتجاه الثاني الذي عالجه طالب عمران في أدب الخيال العلمي هو(الظواهر الخارقة المدهشة) حيث غاص إلى أعماق خفايا النفس البشرية، واكتشف حالات كثيرة من الطاقات الروحية المخزونة والتي يعبر عنها العلم أحياناً باسم (الحاسة السادسة)، وذلك في قصصه التي تروي القدرات الخارقة، والتنبؤ والاستبصار، وقراءة أفكار الآخرين، والتخاطر، والأحلام، والتقمص، والتنويم المغناطيسي، والأسرار الخفية للروح ...إلخ.

كذلك عالج عمران في أدبه التكاثر الخلوي، والاستنساخ، والبحث عن الخلود عن طريق السبات الشتوي، حيث يجمد الجسم عشرات السنين، ثم يوقظ ثانية، ليبدأ حياته من جديد، في عصر آخر، أوالخلود عن طريق تحويل (مادة) الجسم إلى (طاقة) خالدة.

أما في (البحث عن عوالم مفقودة) على سطح الأرض، فقد عالج عمران القارة المفقودة (أطلنطيد)، والحضارات العربية القديمة في قصصه ورواياته العلمية.

٥- البناء الفني:

غالباً ما كانت (الرواية) هي الجنس الأدبي الذي كتب به أدباء (الخيال العلمي) أدبهم، لأن صدرها يتسع للوصف والأحداث وبناء الشخصيات، بخلاف القصة القصيرة التي هي في الأصل ومضة أوإضاءة لموقف شعوري، وعلى الرغم من ذلك فقد لجأ أدباء الخيال العلمي أحياناً إلى القصة القصيرة يعبرون من خلالها، عن حدث يركزون عليه جل اهتمامهم، أوعن شخصية في موقف فعل يريدون إظهار أهميته.

وقد وضع طالب عمران في مجال الرواية خمس روايات علمية، وفي مجال القصة القصيرة خمس عشرة مجموعة قصصية لاتقل قصص المجموعة الواحدة عن خمس قصص، وهذا يعني أنه وضع أكثر من ثمانين قصة في مدى عشرين عاماً(بين ١٩٧٨ - ١٩٩٨)، وهذا بالطبع إنتاج كثيف وغزير. فإذا أضفنا إليه الكتب العلمية والدراسات التي أنتجها لأصبح لديه ٢٨ كتاباً أصدره خلال هذه الفترة المذكورة، أي بمعدل كتاب

ونصف في العام الواحد. بالإضافة إلى برامجه في التلفزيون السوري والإذاعة السورية، وليس من كبير فرق بين قصصه القصيرة ورواياته، فقد تصبح القصة رواية صغيرة إذا ما زيد فيها الوصف، وقد تصبح روايته قصة قصيرة إذا ما حذف منها بعض الوصف والمشاعر، وهذا لا يقلل من أهميتها ولا يعني أن روايته تحوي حشواً زائداً، وإنما هورجل علمي يكتب بدقة ويعرف للكلمة حقها، ومن هنا جاءت رواياته قليلة الكم، لأنها أصلاً مختزلة، لا زوائد فيها.

وعلى الرغم من أن عمران يضع السرد القصصي في خدمة الأفكار العلمية، إلا أن هذا لم يجعل روايته أوقصته تتسم بالجفاف العلمي، لأنه استطاع بمهارة الفنان أن يحقق المعادلة المستحيلة: المضمون العلمي في الشكل الفني. ويحفظ التوازن بين هذين الاتجاهين المتعارضين، فيلتحمان في وحدة كاملة ينصهر فيها الشكل بالمضمون.

وقد توزعت مضامين أدبه على محاور: غزوالفضاء، والبحث عن الخلود، والحاسة السادسة، والبحث عن مناطق مجهولة على سطح الأرض. ودعا في هذه المحاور جميعاً إلى السلام ليس على مستوى العالم الأرضي فحسب، بل وعلى مستوى الكون كله. فإذا كان رواد أدب الخيال العلمي الغربيون قد جعلوا البشر يغزون الكواكب الأخرى، أوتغزوهم كائنات تلك الكواكب، فإن عمران جعل هذه العلاقة بين سكان الأرض وكائنات الكواكب الأخرى علاقة محبة وسلام وتعاون من أجل التغلب على المشكلات الكونية.

وإذا كان عمران قد وقف إلى جانب العلم وأظهر ضرورته وإيجابياته فإنه بالمقابل قد حذّر من خطورته وبيّن سلبياته: فهوسلاح ذوحدين، يستعمل في الخير لصالح البشرية، في التقدم العلمي، وتغيير البيئة، والقضاء على الأمراض، وعلى التلوث، وعلى التصحر. كما يستعمل في الشر ضد البشرية كما في الحروب والقنابل (الذرية) و(الهيدروجينية) التي شجبها ورفض (الديكتاتورية) والقمع والكبت والاستبداد.

من هنا يمكن القول: إن طالب عمران هورائد أدب الخيال العلمي في الأدب السوري المعاصر. وإلى الرغم من أن هذا الأدب لم يُلتفت إليه إلا مؤخراً، بسبب

طغيان القصص الاجتماعي: الرومانسي، والواقعي، فإنه عوض بفنية عالية في القصة والرواية، وبإخلاص شديد لهذا النوع الأدبي. فلم يوزع اهتماماته في مجالات شتى أدبية أوثقافية، وإنما حصر كل اهتمامه في هذا المجال وحده، فأنتج الرواية والقصة القصيرة والدراسة العلمية، والمسلسلات التلفزيونية والأحاديث الإذاعية. مصوراً كائنات العوالم الأخرى، ومجتمعاتها، والتطور العلمي المذهل الذي وصلت إليه، وداعياً إلى قيم الخير والمحبة والسلام.

مجموعة قصصية واحدة من خمس عشرة مجموعة قصصية في نتاجه خرجت على (أدب الخيال العلمي) فكانت قصصها الست غير علمية، هي (تلك الليلة الماطرة)، إلا إذا استثنينا منها قصة (حين تبكي الألواح) التي يمكن أن تُعد من أدب الحضارات القديمة التي اكتشفت حديثاً. وظل الراوي ستة أشهر حتى استطاع فك طلاسمها، ومع ذلك فإنه كان يرى في نومه، وخلال أيام عديدة، ما يتصل بالقصة القديمة التي توضح كبت الملوك القدماء للحريات، وإقامة دولهم على الظلم والتجسس، ومحاربة الحب ومنعه من التداول بين الناس.

أما القصص غير العلمية الأخرى فهي: (الرعب والجرأة) التي تصور كيف تدمر الحروب كل ما بنته البشرية خلال رحلتها الطويلة من الغابة إلى المدينة. وقصة (رجل الكهف) التي تصور كيف كان يعيش الإنسان البدائي في الغابة، مع زوجته وأطفاله، وضد غيره من البشر والحيوانات الأخرى، حتى اهتدى مصادفة إلى (الكهف) الذي يقيه شر الأعداء. لكنه هوجم أيضاً فيه، فاضطر إلى الهرب إلى البحر (غابة المياه الكبيرة) حيث استطاع من بعد أن يبني على سواحله أولى الحضارات الإنسانية وأقدمها.

والجميل في القصة أنها تصوّر بداية ميل الرجل الوحشي للمرأة، وارتياحها إليه، وبداية معرفته صنع السلاح الذي يدافع به عن نفسه، ويقتنص به فرائسه من الحيوانات (عصا ينتهي طرفها بحجر مسنّن مربوط). وبداية معرفته للرحمة التي جعلته يعطف على زوجته وأولاده، فيكوّن الأسرة، ومن ثم يكون المجتمعات البشرية. وبداية معرفته للطب حيث يسقي أطفاله المرضى شراب الأعشاب.

وقصة (العملاق) التي تصور ظلم الإقطاعيين للفلاحين، فإذا وقف أحدهم في وجه سيده، مطالباً بحريته، نال العقاب الأقسى. وهكذا قطع البغي لسان (فارس) العملاق الذي سيظل عملاقاً، حاضراً ومستقبلاً، لأنه لم يصبر على الضيم والذل، وسيظل يقاتل بإمكانياته المحدودة، حيث قطع لذنب الإقطاع (قاسم) أصابعه.

وأما قصة (تلك الليلة الماطرة) التي سُميت المجموعة باسمها، فتصف حياة كاتب ينهي الفصل الأخير من روايته، بعد منتصف الليل، فإذا بجرس الباب يقرع، ولما كان يعيش وحده، فقد فتح الباب، فإذا سيدة مبللة بالمطر تنتظر إذنه بالدخول. قالت له: إنها قادمة من مدينة ساحلية، وأن السيارة قد تعطلت، فلجأت إلى هذا البيت. وقال لها: إنه يعيش وحيداً بعد أن هجرته زوجته الأجنبية التي تعرف عليها أثناء دراسته، ولكنها لم تستطع الحياة هنا، فعادت إلى وطنها. صنع لها شاياً، فقالت له: إنها كانت متزوجة، وهنا قطع حديثهما صوت جرس الباب الخارجي. فتحه فإذا وجوه بعض أفراد الشرطة: أعلموه أنهم يبحثون عن سجينة هاربة من المشفى المركزي، وأنها قد قتلت زوجها، وقد أبلغهم السائق أنه أنزلها في هذه المنطقة، فإذا علم شيئاً عنها عليه إبلاغ المخفر.

سمعت حديثهم من خلف الباب. فطمأنها إلى أنهم قد مضوا. قالت: إنها قد قرأت كل كتبه، وأنها درست الحقوق، وكانت البنت الوحيدة المدللة عند أبويها. وقد زوجوها رغماً عنها لرجل في الستين من عمره، لكنه غني. وأنها لم تقتل زوجها، بل كرهته منذ الليلة الأولى التي هجم فيها عليها كالوحش. وعندما دفعته عنها اصطدم رأسه بحافة السرير فانفجرت الدماء منه. لم تقتله، وإنما كانت السبب في قتله. فحكمت عليها المحكمة بالسجن خمسة عشر عاماً قضت منها خمسة، ثم عندما علمت بوفاة والدها، ومرض والدتها (بالسرطان) وهي تعالج في مشفى الطب النووي بالعاصمة. هربت لترى أمها، فصعدت السيارة الذاهبة إلى العاصمة، ولكن السائق أنزلها لأنها لا تحمل نقوداً. طمأنها الكاتب، ووعدها أن يصحبها غداً لزيارة والدتها في مشفى العاصمة.

وأما قصة (الممر) فسنعالجها في الفقرة التالية، لأنها أفضل مثال عن الخصائص الذاتية للكاتب طالب عمران.

٦- الخصائص الذاتية:

في معرفة الخصائص الذاتية للكاتب طالب عمران لن نلجأ إلى (البيوغرافيا) أو(السيرة الذاتية)، وإنما سنلجأ إلى عكس ذلك، إلى أعماله الأدبية لتفسير حياته وشخصيته ومعرفة خصائصه النفسية. وستكون قصة (الممر) (١٩٨٦) منطلقنا إلى ذلك. وفيها يروي عمران سفر قافلة تقصد مدينة (دويري) التي تعني بلغة أهلها(نبع السحاب)، لأنها مرتفعة تعانق السحب. كانت القافلة المكونة من الجمال والبغال تحمل المؤن التي فشلت وسائل النقل الحديثة في الوصول إليها. وكان (أمجد) راغباً في التعرف على عادات أهلها وتقاليدهم، ودراسة الآثار الغريبة. وكانت المدينة حافلة بما يبحث عنه من آثار قديمة، ومخطوطات، وملائكة تستوطن المدينة العالية التي لا يعيش فيها إلا الناس الطيبون الذين يؤمنون بالله، ويحترمون القوانين العادلة التي سنّها أجدادهم. و(الأم الكبيرة) هي التي تدير شؤون المدينة. وهي ملجأ حقيقي لكل معذب أومفقود.

رأى (أمجد) نفسه في الحلم مع (ليلى) يسيران في طريق مشجر ويداهما متشابكتان. وبينما هما كذلك إذ لاح فارس على جواده، فاندفعت إليه، وألقت برأسها على صدره. فرفعها بين ذراعيه، وانطلق بها بعيداً دون أن يأبه بصراخ (أمجد) المتكرر.

جلس (أمجد) على طرف صخرة، فإذا بيد حانية توضع على كتفه. كانت أم (ليلى) تبتسم في وجهه وهي تقول: لا عليك يا ولدي. سوف تعود عن طيشها. كان يبكي على صدرها كطفل صغير وهي تربت على ظهره. وفجأة رأى نفسه على قمة جبل شاهق، ووجه (ليلى) وفارسها على صخرة. تدحرجت الصخرة مندفعة إلى الوادي وليلى فوقها، بينما قفز فارسها ناجياً بنفسه.

كان من الممكن أن يكونا زوجين سعيدين، لولا أن ماضيها أتعبه. لقد تصرفت بطيش في علاقاتها مع الشبان. ولم تكن والدتها تكبح جماحها. وهي التي كرهت الرجال بعد زواجها الفاشل، واستخدمتهم للتسلية واللهو، منتقمة منهم حين تراهم يتعذبون في حبها.

بدت (دويري) المدينة / الحلم خرافية وسط السحب التي تحيط بها. قال الشيخ: إنهم سيعبرون (ممرات الموت) قبل وصولهم المدينة. وهي ممرات ضيقة بين الصخور، يقال: إن كائنات مجهولة تستوطنها، وتسبب الأذى والمرض والجنون لمن كان شريراً، فتعوق وصوله إلى المدينة. أما الأخيار فيعبرونها بيسر وسهولة. وصلت القافلة الممرات الضيقة المغطاة بالصخور، فاستقبله شيخ بلحية بيضاء مرحباً به في أرض الأحلام، وقائلاً له: أنت رجل مبارك بفكره الوقاد وعقله. نريدك أن تتعرف على أحلامك في أماكن انطلاقها.

وحين اختفى الشيخ فجأة، ظهرت فتاة صغيرة تشبه أخته الصغيرة سناء التي ماتت. تقدمت منه وبيدها باقة من الورد قائلة:

–مرحباً بك يا أخي.

– سناء؟

–نعم.

– وماذا تفعلين هنا؟

– أعيش مع أصحابي في أرض الأحلام. ما تريده تراه هنا. من تحبه يعش هنا. سواء كان ميتاً أم حياً. هنا أرض الأحلام. عالم يختلف عن عالمكم. الحب والسلام والسعادة هي القوانين التي تحكمنا.

أفاق من نعاسه على يد تمسّد شعره. كانت (ليلى) تجلس قربه وتداعب شعره. انتفض مذهولاً وهويقول:

–ما الذي جاء بك؟

– كنت تحلم بي، فجئت إليك.

قالت له: إن حمامات حملنها إلى هنا، ثم تحولن كالسحر إلى فتيات صغيرات كانت أخته إحداهن. وقالت له: إن الموتى هنا لهم قدرات كبيرة. بينما الأحياء مقيدون بأجسامهم الخاملة. وأن عليه أن يضحي من أجل الآخرين، لينضم إليهم.

تجول مع (ليلى) في سهول فسيحة خضراء. وشربا مياهاً مذاقها كالعسل، وطارا فوق المروج والبساتين. استقبله شيخ كبير السن ذولحية بيضاء، مرحباً وقائلاً: "أنت نقي العاطفة أيها الشاب. حلمك بخلاص العالم من سجانيه وجلاديه، جعلك تتفوق في بحثك عن الحكمة وسر المعرفة ".

قصة (الممر) هذه تشبه قصة أخرى لعمران هي (نبع السحاب) وقد سماها الكاتب بنبع السحاب لأن المدينة المقصودة عالية بين السحاب. والقصتان تتشابهان في المثل العليا التي تدعوان إليها، وفي اسم البطل (أمجد) فيهما، وفي (الأم الكبيرة) التي تحكم المدينة الفاضلة. وفي (الممرات) الضيقة التي ينبغي اجتيازها قبل أن يصل المرء إليها. فمن كان خيّراً اجتازها بسهولة، ومن كان شريراً تعرض للأذى والجنون. وقد اجتازها (أمجد) في القصتين بسهولة. وعلى حين استقبله شيخ في القصة الأولى مرحباً ومثنياً على أعماله الخيرة، فإن (الأم الكبيرة) هي التي استقبلته في القصة الثانية مرحبة أيضاً ومثنية على نقاء قلبه وعاطفته. ثم تفترق القصتان بعد ذلك فتكتفي الأولى بلقاء الأحبة الذين غادروا الحياة، في حين يتصل (أمجد) في القصة الثانية بكائنات الكواكب الأخرى عن طريق التخاطر، ليصفوا له عوالمهم الخالية من البغضاء والأحقاد، والتي تعيش بأمان وسلام. ويعرض علماؤهم عليه التعاون من أجل تخليص الكرة الأرضية من تلوث البيئة الذي سوف يدمرها، ومن ثقب (الأوزون) الذي سوف يحرق الأشجار والنبات والحيوان والإنسان، ومن النفايات الذرية التي تستقبلها الدول الفقيرة، عن طريق أبناء مسؤوليها، لتدفن في صحاريها وبحارها فترة، ما تلبث بعدها أن تتسرب إشعاعاتها فتكون الكارثة التي تدمر الزرع والضرع والإنسان.

وقد انتهت القصة الأولى بلقاء (أمجد) بحبيبته (ليلى) ولكن ليس عن طريق الحلم، وإنما عن طريق التخاطر. حيث اعتذرت له عن المظاهر الفارغة التي غرتها، وعن (الفرسان) الذين يختالون ببدلاتهم المذهبة والذين انشغلت بهم عنه. وأمها تقول لها: "فقدت أطهر رجل على وجه الأرض. رجل يعطي ولا يفكر بالأخذ".

وهكذا يضع عمران إصبعه على الجرح في قصتيه اللتين تدعوان إلى الخير والسلم والحرية: "يمكنك أن تكون شريراً لوتركت لنفسك ولطموحاتك ولأمانيك مجالاً للحركة دون أن تلقي بالاً لمن حولك. ويمكنك أيضاً أن تكون مثالاً للخير فيما لوكبحت رغباتك عن الانفلات بلا قيود، والاقتناع بأنك لست المخول بالحياة وحدك على هذه الأرض، تفعل ما تريد، ويخضع لك الجميع، فأنت جزء من كل ". ويشير إلى أسباب التلوث الذي حل بالكوكب الأرضي فيجعله في أنانية الإنسان المستغل الماضي في صناعته التي تطلق في كل لحظة ما يلوث الأجواء، ويقضي على الأحياء. ولم يعد التلوث في المحيط البيئي نفسه، بل انتقل إلى النفوس، فتلوثت بالفساد والأنانية والطمع والجشع. ومن هنا اقتتالها الدائم وصراعها المستمر مع بعضها بعضاً، مما يهدد الجنس البشري بالزوال. ومن هنا – أيضاً – الحلم بمدن فاضلة يحكمها أناس ذوونزعة خيرة، ويقطنها بشر يجسدون الخير والعدل والإنسانية والتقدم العلمي في سلوكهم الحضاري.

ألا نستنتج من هاتين القصتين حب الكاتب للخير، وتخصيصه أدبه في سبيل المحبة والتعاون والسلام؟. وهل تنبع هذه القيم إلا من نفس فاضلة وشخصية كاملة؟.

في قصة (تلك الليلة الماطرة) كان بإمكان الكاتب الذي يعيش وحيداً أن يستغل لجوء امرأة إلى بيته، بعد منتصف الليل، فيمضي على عادة الأدباء الاجتماعيين في وصف محاسن وجهها، ونهديها، وردفيها، ثم يغويها، ويجرها إلى سريره كنعجة للذبح. ولكنه ليس من هؤلاء الذين يزينون الزنا أويفرغون مكبوتاتهم الجنسية في أدبهم: "اقترب من الصورة المعلقة في الصالة، والتي تمثله مع زوجته التي هجرته. فهاجمته الذكريات: ترى أين هي الآن؟ وماذا فعل بها أولئك الأنذال؟ أظلوا على سيطرتهم التامة عليها لدرجة جعلتها لا ترى إلا من خلال عيونهم؟ ".

هذه الجملة ترد أيضاً بمعناها في قصة (الممر). وهي تؤكد حادثة انغرست في شعور الكاتب فلم يستطع فكاكاً عنها، فأوردها في أكثر من قصة، وفي أكثر من موقف ومن مناسبة. وهي تؤكد أيضاً سماحته حتى مع هاجرته. واتساع قلبه الكبير حتى مع الأنذال الذين أغووها وغرروا بها.

وفي قصته (مساحات للظلمة) يتابع عمران تثبيت القيم التي نذر نفسه وقلمه من أجلها: قيم الحق والخير والعدل. فيجعل شعار بطل القصة: "الرابطة الإنسانية هي الأساس في فرز الجيد من الرديء ". ويجعل بطله متفوقاً في شد اهتمام الناس. في حديثه متعة، وفي صوته نغمة. وقد عاشر جميع الطبقات والأجناس، فلم يحظ بمن يسرّ إليه بالحقيقة. كانوا جميعاً مزيفين، يظهرون خلاف ما يبطنون، حكاماً، ووزراء، وأمراء، ورؤساء، ولصوصاً، وقطاع طرق، وسيدات مجتمع، ومثقفين، وكتاباً ... الكل ينافق في سبيل الوصول إلى هدف أناني بعيد عن النبل.. حتى أولئك البسطاء الذين بدوا له في البداية نموذجاً فريداً للثورة والعدل. كانوا مندفعين نحوالمركز والوظيفة والمال. وما أن استلموا مراكزهم حتى بدؤوا يتخلون عن المبادئ التي ناضلوا من أجلها، وارتفعوا من خلالها على أكتاف آلاف البسطاء الطيبين الذين رأوا فيهم خلاصهم.

وبعد أن وصل اشمئزازه من الناس إلى الذروة بحث عن حل لخلاص نفسه وعدم تلوثها بمستنقع الناس، فلم يجد غير العزلة. ومن عزلته تلك بدأ يكتب ممجداً القيم الإنسانية الباقية على مر العصور: قيم العدل والحق والحرية، فلامه الكثيرون على أنه لم يتسلق كغيره صهوات الشعارات، ولم يتزلف إلى المسؤولين، ولم يكتب ضد قناعات ضميره ونفسه. ولكن القلة النادرة أيدته وطالبته بالمزيد من الإبداع. فهذا العالم الثالث منجم غني لمن يريد أن يكتب، فما عليه سوى أن يصف ما يرى، ويسجل ما يسمع، حتى ينتهي إلى العجب العجاب، وإلى الواقع الذي هوأشد قسوة من الخيال.

وهكذا يتماهى الكاتب ببطله، ويجعله لسانه في التعبير عن حالته النفسية، وعن مطامحه وآماله. ومن هنا كانت أسماء شخصياته واحدة، تتكرر في أكثر من قصة مثل: (أمجد)، و(نادر)، و(أحمد) ...إلخ. وكلها يعبر لفظاً ومعنى عن النبل والخير الذي تختزنه

في أعماقها. فالدكتور نادر مثلاً هومدير الملجأ الموصد ضد الإشعاعات النووية، والذي يدير شؤون اللاجئين، في قصته (الخروج) وهورائد الفضاء الذي يغامر بروحه من أجل اكتشاف علمي بين الكواكب.

ولأن قصصه علمي فإن معظم شخصياته من العلماء الذين يحملون شهادة (الدكتوراه)، أومن المختصين في مجالات عملهم، كالهندسة، أوالطب، أوالتقنية ...إلخ وما يجمعهم ويوحد بينهم هورغبتهم في التقدم العلمي الإيجابي لخير البشرية، وسعيهم من أجل مستقبل إنساني يعم فيه الخير والعدل والسلام.

وإذا كانت ظاهرة توظيف الأشعار التراثية والأغاني الشعبية مشروعة في أدبنا المعاصر، وقد لجأ إليها كثير من الأدباء لإغناء مضامينهم. فإن عمران لجأ إليها أيضاً ولكن ليس كغيره ممن يوظفون أشعار غيرهم. فقد جاء بأغان وأشعار هي من إبداعاته أيضاً. وليست تضميناً، على الرغم من أنها تأكيد على الموقف الذي يعالجه في موضوعه، واختار لها قالب شعر (التفعيلة) لكونه أيسر في تسجيل نبضات المشاعر، ولعدم تقييده الشاعر في قالب مفروض عليه مسبقاً لكي يصب فيه انفعالاته.

ففي قصة (حين تبكي الألواح)[1] يضع البطل أشعاراً، وهوشاعر يحب ابنة الملك وتحبه، ولكن الملك أمر بنفيه من المدينة لأنه شهر بظلمه، فكانت أشعاره متنفس الشعب المقهور، ومنها ما وضعه الكاتب على لسان بطله، مخاطباً حبيبته:

أراك في عيني غزال وديع

وفي زقزقة العصافير والعنادل

وفي نسائم الصباح العليلة

وحين أنام أحلم بك

الحراس المدججون بالسلاح والبساطير الصلبة

(١) في مجموعته القصصية: تلك الليلة الماطرة .

وبالعيون الوقحة والضحكات المستهترة

أصبحت كوابيسي

قال لي شيخ مسن: ارحم نفسك يا بني

إن العمر يضيع، والأسى يقتل الجسد

أكره الظلم مذ تفتحت عيناي على النور

ولكن الظلم يطاردني في كل مكان

ولن أقف عن الدفاع عن إنسانيتي

أحمل هموم الحزانى والمقهورين

وقلبي يستوعب العالم

كم هوضئيل الفرق بين الشاعر والمحب والكاتب، لقد تماهى الكاتب في بطله، فجعله صورة عنه، أولسان حاله، يعبر من خلاله عن معاناته، وعن آلامه وآماله، وعن مطامحه في عالم حر نظيف.

وعندما يُلقى القبض على الحبيبين ويحكم عليهما بالحرق، وكل جريمتهما الحب، وأنهما يعملان وفقاً لأحد قوانين الطبيعة، يتأوه الشاعر / الكاتب، وتخرج الزفرات من أعماق نفسه، ممتزجة بالكلمات الشاعرة:

ما أكثر الأقزام في هذا العالم البائس

العمالقة بإنسانيتهم بدؤوا يختفون

وأتى عصر الفئران المذعورة

كل الناس حولي يئنون من العذاب

والجلادون يتشفون

وينسون أن يومهم الموعود قادم

لماذا ينسى الإنسان أنه ميت لا محالة؟

ويقتل كأنه يعيش أبداً؟ [٢]

ظاهرة أخيرة نجدها في أدب طالب عمران العلمي هي أن أبطال قصصه بالإضافة إلى كونهم يعبرون عن قيم الحق والخير والعدل التي يتبناها الكاتب، والتي تعبر عن نفسيته المحبة لهذه القيم النبيلة، فإن تسمية أبطاله أيضاً تشترك في هذه السمات وتعبر عنها، فأسماؤهم جميعاً (سامر، جواد، أمجد، ماجد، سائد، نادر) وكلها يدل على القيم السامية التي تحملها، كما أن بناء الأسماء من حيث التركيب النحوي هي (أسماء فاعلين). واسم الفاعل يدل على معناه: فـ (سامر) بطل قصة (شحنة الدماغ)، وبطل قصة (ليس في القمر فقراء)، و(أمجد) بطل قصة (نبع السحاب)، و(سائد) و(طارق) بطلا رواية (عوالم من الأمساخ)، و(ماجد) و(نادر) و(يمان) هم أبطال رواية (فضاء واسع كالحلم) ...إلخ. بالإضافة إلى أن كل أبطاله علماء وأن معظمهم دكاترة في مجالات اختصاصهم.

(٢) المرجع السابق.

الفصل الثاني
حضارات العوالم الأخرى

١- الاتصال بالحضارات غير الأرضية

هل الكون مأهول بمخلوقات أخرى؟

أم نحن وحدنا في الكون؟

وهل هنالك حضارات أخرى غير أرضية؟

تلك، وغيرها أسئلة تلح على أذهان العلماء وأدباء (الخيال العلمي).

وإذا كانت هنالك حضارات أخرى غير أرضية، فهل يمكن الاتصال بها؟

إن ذلك يمكن أن يتم عن طريق:

١ - اللاسلكي والأمواج الكهرطيسية والنبضات.

٢ - الأطباق الطائرة

٣ - الأقمار الصناعية ومحطات الفضاء

٤ - البث والتلسكوبات الجبارة

إن سرعة بث المعلومات متناسبة طرداً مع عرض مجال التردد، أي أنه كلما صغر طول الموجة (الكهرطيسية) حيث يزداد التردد، فإن حجم المعلومات التي يمكن بثها

يزداد أيضاً ويمكن بث مليار بيت (معلومة) في الثانية باستخدام الموجات (اللاسلكية) السنتيمترية.

لكن الموجات (اللاسلكية) لا يمكن استخدامها كقناة بث برامج غنية بالمعلومات بين حضارات بلغت مستويات تطور أعلى من حضارتنا، إذ أن حجم المعارف الكبيرة لهذه الحضارة يستدعي استخدام قنوات إعلامية مكثفة، ويمكن لإشعاع (اللايزر) أن ينجح كقناة إعلامية ممتازة.

وإذا كان المستوى التكنولوجي الحالي للحضارة البشرية لا يسمح لها بالانضمام إلى الحوار (اللايزري) المفترض بين الحضارات الأخرى، فإنه يمكن الإنصات إلى هذا الحوار أوتتبعه بوساطة (تلسكوبات) ضخمة.

وقد نفذت مجموعة من العلماء السوفييت مرصداً ضخماً فيه (تلسكوب) بمرآة قطرها ستة أمتار في شمال (القفقاس)، تابع لأكاديمية العلوم السوفيتية، بغرض البحث عن إشارات (لايزرية) في الفضاء الكوني، وهي المرة الأولى التي يجري فيها تتبع مثل هذه الإشارات.

ولكن إلى أي مصدر من مصادر الإشعاع (اللايزري) يتوجه التلسكوب الجديد؟

لقد قرر العلماء السوفييت برئاسة العالم الفلكي (شفارتسيان) أن المنطقة الملائمة لانبثاق الحضارة الكونية هي المنطقة التي تنتمي نجومها إلى الفئة التي تصدر طيفاً شبيهاً بالذي تصدره الشمس، فاختاروا عشرات من النجوم المشابهة للشمس، ضمن مجال نصف قطره (٦٥) سنة ضوئية، وليكون البحث أجدى يجب أن نفترض أن مستوى الحضارات الأخرى التي نرصد وجودها ليس متقدماً كثيراً علينا.

إن البحث عن حضارات ذكية في الكون يمكن أن يوصلنا إلى نتائج ملموسة عن طريق استخدام مولدات (اللايزر). ومن المعروف أن طول موجة (الكوانتوم) المرئي أقل بنحومليون مرة من طول موج(الكوانتوم) اللاسلكي، لذلك فمرآة (التلسكوب) تجمع الأشعة المرئية في حزمة أضيق بمليون مرة من حزمة (اللاسلكي).

وإذا وُجهت مثل هذه الحزمة (الليزرية) الدقيقة إلى نجم يبعد نحو(٤٠) سنة ضوئية، فإن المساحة العرضية له حين بلوغه النجم تصل إلى سعة منظومتنا الشمسية، أي أن أي راصد على أي كوكب يدور حول النجم المذكور بمقدوره أن يسجل الإشارات (الليزرية) الوافدة إذا كانت ذات طاقات قياسية، وليست ضعيفة تضيع في الفضاء قبل أن تلتقطها أجهزة رصد الحضارة المفترضة.

وتشير الحسابات التي قام بها علماء الفلك إلى أن الإرسال (الليزري) أرخص كلفة، وأغنى بالمعلومات من الإرسال (اللاسلكي)، حين يكون هذا الإرسال موجهاً نحوما يقرب من مليون نجم مشابه للشمس. ويقع هذا العدد في مجال كروي يقارب نصف قطره ألف سنة ضوئية.

وبما أن أقرب نجم إلينا يبعد عنا نحوأربع سنوات ضوئية ونصف، وأن هذا النجم ليس من مرتبة الشمس، وبالتالي فإنه ليس من نفس الفئة التي تصدر طيفاً شبيهاً بالذي تصدره الشمس، لذلك فهولا ينتمي إلى المنطقة الملائمة لانبثاق الحضارة في هذا الكون المزدحم بالنجوم.

فإذا افترضنا أن أقرب نجم إلينا ينتمي إلى المنطقة التي عرفناها بمركز انبثاق الحضارة يبعد عنا نحو(٢٠) سنة ضوئية، فإن الرسالة المحمولة على إشعاع (ليزري) يلزمها (٢٠) سنة ضوئية لتصل إلى الكائنات العاقلة التي نتوقع وجودها. فإذا كان ردهم فورياً فإنه يلزم (٢٠) سنة ضوئية لنحظى برسالة جوابية. وقد تمضي سنوات قبل أن نفك طلاسمها، أويفكون طلاسم رسالتنا. وقد تمضي قرون قبل أن نصل إلى لغة مشتركة، أوزيارات متبادلة بوساطة محطات فضائية متطورة[1]

أترى كم هوقصير عمر هذا الإنسان على هذه الأرض؟

أليس أقل من نبضة في عمر هذا الكون المترامي الأطراف؟

لسنا وحدنا في هذا الكون. نتيجة علمية واضحة توصل إليها الدكتور عمران عن

---

(١) د. طالب عمران – الحاسة السادسة، ١٩٩٠، ص٩٧

اقتناع، وهويتأمل عمق الكون واتساعه، وضآلة حضارتنا، وضحالة معارفنا التي نعتز بها أحياناً اعتزازاً مرضياً، غافلين عن عظمة ما نجهل، وتفاهة ما نعلم، وفي نفوسنا كبرياء كاذبة من أننا الأسياد القادرون العارفون ... ونحسب أننا سنعيش أبداً، والموت قاب قوسين أوأدنى. دون أن نقبل تلك الحقيقة. منفوخين بغرورنا وأنانيتنا، على الرغم من أننا لا نشغل من هذا الكون الواسع الفسيح الأرجاء سوى حيز صغير مهمل.

٢- اللقاء بكائنات الحضارات غير الأرضية:

أما الأطباق الطائرة فيعتقد بعضهم أنها رسائل سكان الكواكب الأخرى إلينا. وزعم كثيرون أنهم شاهدوها، أوشاهدوا كائناتها. ومضى الخيال ببعض أدباء (الخيال العلمي) إلى أن جعلوا منها غزاة لأرضنا، على الرغم من أن كل معلوماتنا عنها إنما هي معلومات افتراضية، لم يؤيدها العلم الحديث، كما أنه لم ينفها. ولعل (علم) القرن القادم يكون أكثر تطوراً فيصل إلى ما لم يصل إليه علمنا الحالي، ويبتّ في هذا الأمر مستقبلاً، علماً بأن القرن والألف، وحتى المليون عام ليست شيئاً بالنسبة للزمن الكوني، وأن كرتنا الأرضية التي عمرها ملايين لم تبدأ فيها الحضارة إلا منذ ستة آلاف عام فقط.

والسؤال الذي يلح على الأذهان، ويشغل بال علماء الفلك هو: هل هذه الأطباق الطائرة حقيقة واقعية؟ أم هي نوع من الخيال؟

وقد شغل هذا السؤال علماء الفلك مذ ألقى الأمريكيون قنبلتهم الذرية الأولى على (هيروشيما) في اليابان، فبدأت تظهر تلك الأجسام الغريبة، فتكتب عنها الصحف، ويروي مشاهدتها شهود عيان، وقد شكلت اللجان العلمية لدراستها.

وقد رويت عدة مشاهدات لها: ففي عام (١٩٤٧) شاهد الطيار (أرنولد)، وهويقود طائرته، أجساماً طائرة غريبة في الجو"تطير كأطباق صغيرة قافزة فوق المياه". وقدر ارتفاعها بـ (٣) كم، وسرعتها بـ (٢٨٠٠) كم/سا، وبعدها عنه بـ (٤٠) كم. ولذلك لم يتبينها جيداً.

وفي العام نفسه شاهد الطيار (سميث) الذي كان يقود طائرة ركاب، أجساماً مستديرة مفلطحة، فاستدعى المضيفة ليتأكد من أن ما يراه حقيقة. فبهرت الفتاة وهي ترمق الأجسام الطائرة المجهولة. واتصل برج المراقبة ليتأكد من ظهور تلك الأجسام على شاشة الرادار في القاعدة، فأبلغوه أن الرادار لم يكتشف شيئاً. وتبيّن لأفراد طاقم الطائرة أن الأجسام التحمت مع بعضها في كتلة واحدة ثم اختفت.

وبعد أقل من ثلاثة أشهر من تلك الحادثة أرسل أحد قادة المراكز الجوية تقريراً للقيادة الأمريكية، يؤكد فيه أن كل أقسام المركز تؤكد أن الأجسام الطائرة المجهولة هي حقيقة واقعة، وليست خيالاً.

وبعد ستة أشهر من مشاهدة (سميث) شوهد في سماء (لويزفيل) في (كنتكي)، جسم فضي ذوشكل بيضوي، يقارب قطره المئة متر. يطير وهويشع ضوءاً أحمر. فاتصل بعض مشاهديه بمطار (غودمان فييلد) حيث رصده برج المراقبة هناك، وأصدر قائد القاعدة أمراً بإقلاع سرب من الطائرات لكشفه. وقاد السرب (مانتيل) وهوطيار ماهر، اشترك في الحرب العالمية الثانية، ومنح عدة أوسمة لشجاعته. فتابع الجسم الطائر، وقال: إنه قرص ضخم، في أعلاه قبة تدور. ويدور حول نفسه بسرعة عظيمة. وهومصنوع من معدن خاص، ويتغير لون إضاءته البراقة من الأصفر إلى الأحمر بالتدريج، وأنه بدأ يطير بسرعة خارقة. ثم اختفت طائرة (مانتيل) وعثروا عليها، بعد بحث طويل، محطمة.

وفي عام (١٩٤٨) شاهد بعض العلماء جسماً طائراً مجهولاً فوق قاعدة (الرمال البيضاء) المخصصة للتجارب على الأسلحة الصاروخية. وبوساطة قياس الزوايا قدرت سرعة الجسم الطائر بـ (٢٧) ألف كم في الساعة، وقدرت سرعة صعوده في الجو بـ ٤ كم في الثانية.

وفي العام نفسه شوهد طبق طائر يصدر ضوءاً أحمر، ويكاد يصطدم بالطائرة (دي – سي ٣) التابعة للخطوط الجوية الشرقية. وقد انحرف في اللحظة الأخيرة، بحركة جنونية، وارتفع مختفياً بين الغيوم. وقد استطاعت موجات حركته هز الطائرة.

ووصف الجسم بأنه بشكل سيجار طوله (٣٥م)، وقطره ضعف قطر الطائرة، وليست له أية أجنحة، وفي مقدمته شيء يشبه هوائي الرادار. وقال مساعد الطيار: إن له نوافذ وبه أنوار ساطعة.

وفي العام (١٩٤٨) شاهد عمال الرادار التابع للطيران الياباني على شاشاتهم لمدة ساعة مناورة بين جسمين مجهولي الهوية. ولدى التدقيق تأكد أنه ليست هناك أية طائرات في الجوتابعة لأي سلاح جوي آخر. وتبين أن تلك الأجسام على شكل أطباق، وهي تطير بشكل فوري وعكسي، وكأن لها أنظمة دفع معقدة. وخرج العلماء والفنيون وضباط الدفاع العسكري بنتيجة مفادها أن تلك الأجسام هي من خارج الكرة الأرضية، وأن تفجير سكان الأرض للقنبلة الذرية قد أقلق الحضارات الكونية فجعلها تزور الأرض لتعرف ما حدث.

وفي الاتحاد السوفييتي بدأت مشاهدات الأطباق الطائرة في عام (١٩٤٦)، وأن مشاهدات كثيرة لها قد حدثت، ولكن لم يُعلم عنها حتى لا تصبح عرضة لاختراع القصص التي كثيراً ما تكون مزعجة للسلطات. وتبين أن تلك الأجسام لها مواصفات الأجسام التي شوهدت في بقية بلدان العالم، وعلى الرغم من عدم فتح المجال أمام الناس ليرووا مشاهداتهم عنها، فإن الاعتقاد بأنها من خارج الأرض كان مؤكداً.

وفي عام (١٩٦٧) كتب الدكتور (زيغل) وهوأخصائي في معهد الملاحة الجوية (بموسكو) إن الرادارات التقطت، في الاتحاد السوفييتي، خلال العشرين سنة الماضية، صوراً عديدة لأجسام طائرة مجهولة الهوية، وأن هناك رواد فضاء سوفييت شاهدوا من محطاتهم المدارية حول الأرض أجساماً غريبة تقترب منهم، وتراقبهم، ثم تبتعد وتختفي.

وقد أكد د. (زيغل) أن مصدر هذه الأجسام هوالفضاء الخارجي، وأنها محطات متطورة من عوالم متحضرة متفوقة، وأعلن أمام مؤتمر حضارات الفضاء الذي عقد عام (١٩٦٧) في الاتحاد السوفييتي عن وجود حضارات أخرى في مجرتنا. وأن الأطباق الطائرة هي رسائلهم إلينا.

وأعلن الدكتور (كوبريفتش) رئيس أكاديمية العلوم في جمهورية (روسيا البيضاء) أن هذه الأجسام المجهولة التي تطير في جوالأرض هي موجهة من قبل كائنات عاقلة قادمة من الفضاء الخارجي في رحلة استكشاف لكوكب الأرض، حيث ظلت هذه الكائنات تراقب الناس بحذر، دون أن تتصل بهم مباشرة، إلا فيما ندر. ولا بد أن يكون تطور تلك الكائنات مذهلاً لدرجة أنهم رأوا في البشر مخلوقات بدائية متخلفة.

ثم لم يعد الأمر مقتصراً على اللقاء من النوع الأول، والذي ترى فيه الأطباق الطائرة عن بعد، فقد أصبح اللقاء من النوع الثاني الذي يميز الكائنات العاقلة داخل الطبق، ومن النوع الثالث الذي يتم فيه اللقاء بين البشر وكائنات الطبق. وهذا ما أكدته أيضاً الحوادث الموثقة.

من ذلك ما رواه المواطن البرازيلي (بواس) الذي مر بتجربة اللقاء من النوع الثالث، في عام (١٩٥٧)، فقد كان يقود الجرار الزراعي، فرأى نجماً يهبط من السماء ويقترب منه حتى حط على الأرض أمامه. كان جسماً بيضوياً، بهوائيات معدنية عريضة. وفوقه جهاز يدور بسرعة فائقة، ويرسل ضوءاً أحمر. وقد استند قسم من أسفله على ثلاثة أرجل أصاب (بواس) رعب شديد، فحاول تشغيل محرك الجرار للهرب، لكنه تعطل. فقفز منه، وحاول الهرب، فأمسكه كائن ضئيل الحجم، دفعه (بواس) فوقع على الأرض. لكن ثلاثة آخرين رفعوه وهم في دهشة من حركاته، وأصعدوه درجاً صغيراً إلى داخل الطبق، فرأى غرفة يصدر من سقفها ضوء شديد. ثم أدخلوه غرفة أخرى، وخلعوا ملابسه وسط صراخه، وتأكيدهم له بأنه لن يتعرض للأذى. دلّك أحدهم جسمه باسفنجة مبللة بسائل شفاف، وأجروا عليه اختبارات عديدة دامت نصف ساعة. استخدموا فيها أجهزة غريبة. ثم تركوه متعباً منهكاً. وكانوا جميعاً يرتدون ألبسة من قطعة واحدة كالعمال، تلتصق تماماً على أجسامهم الضئيلة. وكانت وجوههم مغطاة بالأجهزة. ثم دخلت امرأة قصيرة جميلة دون ملابس فأثارت فيه شعوراً غريباً دفعه إلى مغازلتها. وحين خروجها أشارت إلى بطنها. وكأنها تقول له إنه "أدى المهمة المطلوبة". وقد خطر له أن يسرق أداة من عندهم، فمنعوه بقسوة، وفهم

أنه ما دام عاقلاً فلن يُصاب بأذى. ثم جعلوه يقوم بزيارة أقسام المركبة والتعرف عليها. ثم أنزلوه منها، بعد أن ظل بينهم مدة أربع ساعات وربع.

وقد أرسل رسالة بالحادث إلى صديقه الصحفي الذي حضر مع طبيب لمعاينته، وقدم الطبيب تقريراً مطولاً عن حالة (بواس)، حيث لم يعد يستطيع النوم، ولم يعد يستطيع تركيز أفكاره. وكان يحسّ بالصداع والغثيان الدائمين، ويشعر بالنعاس الشديد حتى في النهار. ولوحظ أثر جرح صغير في ذراعه بعد ثمانية أيام من الحادث. كان متقيّحاً متورماً. وحين اندمل ترك مكانه أثراً أحمر اللون. ثم ظهرت في جسمه بقع ملأى بالقيح، لم تشف إلا بعد ثلاثة أسابيع، وتركت مكانها آثاراً حمراء.

وقد أكد الطبيب أن حالته العامة طبيعية، وأنه ليس مصاباً بأية أعراض نفسية. وقد أكد هذا طبيب آخر. وتم فحص مكان الجسم الطائر فوجدت آثار إشعاعية واضحة.

ويؤكد الدكتور طالب عمران في كتابه: الحاسة السادسة (ص٨٧) أن أطرف حادثة عن الأطباق الطائرة حدثت عام (١٩٥٠) حيث كلّفت المؤسسة العامة للطائرات النفاثة المهندس (فراي) بتأسيس نظام المناورات للأسلحة الموجهة عن بعد، في قاعدة الصواريخ (الرمال البيضاء) بولاية (نيومكسيكو) في جنوبي الولايات المتحدة.

وحين كان يتجول في حقل تجارب الصواريخ، رأى جسماً يهبط فجأة أمامه. فدار حوله، وقدر ارتفاعه بثمانية أمتار، وقطره بتسعة أمتار. ولم تكن به فتحات. وكان ينبعث منه وهج بلون بنفسجي لا يكاد يُرى. وكان ناعم الملمس. وحرارته تزيد عن حرارة الجوالعادي. وقد ضرب بأصابعه على سطحه الصقيل، فسمع صوتاً يقول له: "لا تلمسه. لايزال حاراً".

فارتعب، وتراجع إلى الخلف. ثم عاد الصوت يقول:

"لست أمريكياً". وكأنه جواب لفكرته. وتابع الصوت: "ظنك أني أمريكي يدل على أنني نجحت في تعلم لغتكم خلال عامين. لم آت إلى كوكبكم قبل الآن. وربما

تمضي أربع سنوات قبل أن أتمكن من التلاؤم مع جوكوكبكم وجاذبيته. غاية رحلتنا هي دراسة قدرة الإنسان على التكيّف مع البيئة. نرغب في دراسة إمكانية تهيئة طاقته العقلية لتفهم أفكار بعيدة عن تفكيره التقليدي الحالي. إن أجدادنا قاموا برحلات عديدة إلى الأرض خلال القرون الماضية. وقد فشلوا في تحقيق غاياتهم. ونأمل أن نستطيع الآن اللقاء مع أناس متعقلين متزنين يفسحون المجال لتقديم المساعدة إلى أهل الأرض في مسيرة التطور". ثم تابع الصوت: "لا شك أنه يصعب عليك سماع صوتي. فأنت على الرمل. ومن الأفضل القيام برحلة صغيرة. انظر إلى هذه اللعبة أمامك. إنها موجهة عن بُعد. صُممت لتكون محطة للشحن بمقاعد. أنا أتكلم معك من مركز القيادة في السفينة الكبيرة الأم على ارتفاع (١٤٥٠)كم".

وفجأة انفتح باب المركبة، فرأى (فراي) حجرة. دخلها، فسمع الصوت يقول له: "أترغب في القيام برحلة إلى (نيويورك) خلال نصف ساعة؟". كانت (نيويورك) بعيدة. لكن (فراي) رأى نفسه يطير بالمحطة، بسرعة كبيرة، ولم يشعر بأي تأثير لهذه السرعة ولهذا الارتفاع الكبير(٣كم) عليه. فاستغرب، وهوالمهندس، عدم إحساسه بالسرعة والارتفاع. وقد وصلت المركبة خلال ثوان إلى ارتفاع كبير، وانخفضت فوق (نيويورك)، ثم ارتفعت من جديد، بعد أن حامت فوق (نيويورك)، وازداد ارتفاعها وتسارعها حتى وصلت إلى قاعدة (الرمال البيضاء)، فخرج منها (فراي) شبه متجمد، وارتفعت المركبة بخط عمودي إلى الفضاء، وهي تتوهج بلون برتقالي، واختفت، بعد أن خلفت فراغاً من سرعتها الجنونية كاد يفقده توازنه ويسقط على الأرض.

وقد قدم (فراي) تقريراً كاملاً عن تجربته، شرح فيه كل ما رأى، ولم ينشر تقريره إلا في عام (١٩٦٢) باعتباره سرياً عن منطقة عسكرية.

في قصته (جسم طائر مجهول الهوية)[٢] يسرد د. عمران حادثة وقعت في عام (١٩٦١) لـ (بارني) وزوجته اللذين كانا يقطعان الطريق بسيارتهما، ففوجئا بنجمة مضيئة حطّت أمامهما، فإذا هي طبق طائر. فأوقف (بارني) سيارته. وشاهد سلّماً

---

(٢) في مجموعته القصصية: خفايا النفس البشرية ١٩٩٤.

صغيراً ينزل من الطبق الطائر. وحين حاول (بارني) تشغيل محرك سيارته للهرب، لم يستجب له المحرك. وأحس وزوجته برعشة كهربائية، وبصوت أزيز، ثم فقدا الوعي.

وبعد مدة عادت إليهما ذاكرتهما، ووجدا نفسيهما في سيارتهما، في مكان يبعد عن المكان الذي فقدا فيه وعيهما ساعتين ونصف.

أما كيف حصل لهما ذلك وماذا جرى لهما خلال تلك المدة، فظل عندهما لغزاً، حتى عام (١٩٦٤) حيث ظهرت عند (بارني) قرحة معدية، فلجأ إلى طبيب نفسي، عالجه بالتنويم المغناطيسي، فسمع منه عجباً، عن لقاء بكائنات من عوالم أخرى ترتدي ألبسة غريبة. وكأنها أقزام شرسة، من جنس مغولي. ذات وجوه عريضة مسطحة، وعيون كبيرة مائلة بنهايات حادة وممتدة على جانبي الوجه، وأنوف صغيرة فطساء. ورؤوس كبيرة. وقد أدخلوهما المحطة الغريبة، ووضعوا كلاً منهما في غرفة. وجردوهما من ملابسهما. ووضعوهما تحت أجهزة غريبة، كشطت عينات من جلدهما، واقتلعت نماذج من شعرهما وأظفارهما. ثم أطلقوهما، وغادر الطبق الأرض.

وعندما أخضعت الزوجة للتنويم المغناطيسي أكدت القصة والمعلومات التي أفضى بها زوجها، وهوتحت التنويم المغناطيسي.

وقد هزّت هذه القصة الرأي العام الأمريكي، عندما أعلنها الطبيب النفسي الذي نومهما مغناطيسياً. وأكدت العالمة الفلكية الأمريكية (فيش) أن الخارطة التي كان الزوجان قد رأياها مرسومة على الجدار الداخلي للمركبة واتفقا على رسمها، تشير إلى النجمة (سيتا) التي تبعد عنا نحو(٣٦) سنة ضوئية. ويُعتقد أن الطبق الطائر جاء منها.

والواقع أنه على الرغم من أن التنويم المغناطيسي أصبح علماً قائماً بذاته، فإن استخدامه لا يزال محصوراً في عيادات الأطباء النفسيين، على الرغم من أنه نجح في الكشف عن كثير من الحوادث الكاذبة التي رواها الناس عن الأطباق الطائرة، كما أنه أكد بعض هذه الحوادث، مثبتاً إياها، وكاشفاً عن اللاشعور الذي كثيراً ما يخفيه الشعور.

وفي قصته (كائنات من كوكب أوريانا) يروي د. عمران أنه في (إسبانيا)، وفي إحدى ضواحي (غرناطة)، وفي عام (١٩٨٢) لجأ المحبان (ميغيل) و(فلورندا) إلى خلوة في بناء قديم متداع. وعندما شاهدا سلماً حجرياً، هبطاه، من باب حب الاستطلاع والفضول، فإذا صفّان من الزنزانات التي لاينفذ إليها الضوء، دخلا واحدة، فانغلق بابها الحديدي عليهما. وانقطعا عن العالم.

وعندها بدأ الشاب يبحث عن منفذ دون جدوى، بينما انخرطت الفتاة بالبكاء. قرأ الشاب على الجدران أن السجن كان تابعاً لمحاكم التفتيش، قبل أربعمائة عام. طرق الباب بيديه وبالحجارة علّ أحداً يسمعه. ولكن دون جدوى. حاولا الصراخ والدق مراراً. ولكن لا مجيب، فهما في زنزانة سجن قديم تحت الأرض. ففقدا الوعي.

وعندما استيقظا كانا في حالة يرثى لها من اليأس والبؤس، وقد بدأت الصراصير والجرذان تتسلق جسميهما. في تلك اللحظة هدر صوت آلية، وحطّت قريباً من المكان مركبة فضائية، هبط منها (رون) و(ريدا) وسلّطا كاميراتهما (اللايزرية) يستطلعان وجود نوع من الحياة على الأرض. وقد وجدا الشابين فحملهما العقل الإلكتروني (روبي) إلى المركبة مغمى عليهما. وحين استيقظا وجدا نفسيهما في الفضاء. حدثتهما (ريدا) بلغتهما.

أما على الأرض فقد أعلم أهلهما بفقدهما، فانطلقت الشرطة والمباحث والكشافة والكلاب البوليسية تبحث عنهما.

وأما في المركبة الفضائية فقد دار الحوار التالي:

-تصور يا (رون) أعطتنا محطة جمع المعلومات كل شيء عن الكائنات العاقلة التي تستوطن هذا الكوكب.

-إنه كوكب مضطرب يا (ريدا) لونحت كائناته منحى الخير لكانت حضارتها متفوقة.

-هذان الشابان يتمتعان بصفات رائعة. فالحب يغلف قلبيهما، وهما مستعدان للتضحية كل في سبيل الآخر.

-اسمعي ما يقوله العقل المركزي عن (ميغيل): إنه ابن عائلة ثرية. يحب المطالعة وقراءة الشعر والرياضة، ولا يحب الصخب والاختلاط بالناس دون تمييز.

وتحلم الفتاة بأنها تطير فوق مروج خضراء، والناس يتبسمون لها، وهي ترقص. ثم تصعد مع فتاة (أوريانا) في الفضاء، وتدور حول كوكب أخضر اللون، وتدخل في غيوم ملونة.

- لم تكونا تحلمان. نقلناكما لكوكبنا لتتعرفا عليه عن كثب.

-ماذا؟

-عن طريق الحلم. إنه سهل بالنسبة لنا. كوكبنا (أوريانا) في مركز المجرة. جئنا إليكم في زيارة عابرة. كوكبنا يدور حول نجم حجمه يقارب حجم شمسكم. يعرّفانهما على الحياة في كوكب (أوريانا): حياة متحضرة راقية، وصناعات متطورة نقية من التلوث والنفايات والإشعاع، ليس لها مخلفات، خالية من الرواسب. لكل عمله ووظيفته الاجتماعية. ومع اطراد التقدم العلمي أصبحت الولادات هي الغالبة، لأن العلم حاصر أسباب الإصابة بالأمراض، وقدم الكثير من الإنجازات لإطالة العمر.

-ما متوسط العمر عندكم؟

-يمكننا أن نعيش آلاف السنوات، قد لا يُصيب الموت أحدنا إلا بحادث عارض. وهذا نادر الحدوث. نحن نؤمن بالمحبة والسلام والحوار الخلاق بين الحضارات.

وعندما يدعوانهما للذهاب معهما إلى الكوكب (أوريانا) لأنهما خلاقان ومبدعان وجديران بالأمانة، يعتذران قائلين: "لوهرب كل من لديه القدرة على مقاومة الظلم لعمّ البلاء الكوكب".

استيقظ الشابان بعد مدة، فوجدا نفسيهما في وسط منطقة صخرية. ظنا أنهما كانا يحلمان بأناس من كوكب آخر في المجرة يدعى (أوريانا). وكان حلمهما مشتركاً. وعندما عثرت عليهما الشرطة وفرق الكشافة، بعد ثلاثة أيام من البحث، وجدوهما بصحة جيدة، لكنهما لم يستطيعا تفسير الزمن المفقود.

وبعد مدة ظهرت بثور على يد (ميعيل)، وعلى بطن (فلورانـدا)، وحين راجعا الطبيب شاهد ثقوباً كثيرة في جسديهما نتيجة تناول حقن لم يدريا بها، ثم صارا يعانيان من كوابيس وأحلام غريبة عن مخلوقات لطيفة من كوكب آخر، وعندما استشارا طبيباً نفسياً فنومهما مغناطيسياً، عرف السبب، إنها كائنات كوكب آخر، اتصلت بهما، وهذه الآثار تدل على ذلك الاتصال.

هذه اللقاءات التي هي من النوع الثالث الذي تتواصل فيه كائنات الكواكب الأخرى بالبشر على الأرض، وتترك هذه الكائنات غير الأرضية آثارها على أجساد البشر الذين اتصلت بهم، جعلت العلماء في حيرة: فهم يرفضون وجود حياة عاقلة على أحد كواكب مجموعتنا الشمسية (عدا الأرض)، ويستبعدون وصول هذه الكائنات من كواكب أخرى في المجرة، لبعدها الهائل عنا. فإذا تم هذا التواصل، فإنه يعني أن هذه الكائنات الأخرى قد بلغت من التقدم الحضاري مستوى لم يصل إليه بشر الأرض بعد، ونحن نقيس الأمور على مستوى (علمنا). و(علمنا) لم يصل بعد إلى مستوى توظيف مركبات فضائية تخترق المسافات الهائلة بسرعات عالية، أكبر من سرعة الضوء، (إلا في أدب الخيال العلمي). وبما أن التنويم المغناطيسي (علم) محايد، يكشف ما في خفايا النفس البشرية ويفضح الكذب، فإنه يثبت حالات هذا التواصل بين كائنات الحضارات الأخرى والبشر.

وفي قصته (لقاء من النوع الثالث)[٣] يسرد لنا د. عمران قصة عالم رياضيات متفوق في حقل اختصاصه، ولكنه مهمل في وطنه، شأنه في ذلك شأن كل المتفوقين في العلوم، فهم يرفضون العمل في مخابر الغرب المتقدم الذي يغريهم بالرواتب العالية والحياة المرفهة، ويؤثرون العمل في بلدانهم برواتب لا تكاد تسد رمقهم، وبيئات متخلّفة، وهم معرضون يومياً للقمع والاضطهاد من قبل سلطات بلدانهم التي لا تقيم للعلم وزناً، ولا للثقافة أي اعتبار، بل إنها تعمل على كبت العلم والثقافة، لأنها ليست بحاجة إلى علماء ومثقفين (عارفين) يناقشونها الحساب، وإنما هي بحاجة إلى جهلة وأميين يحنون الرقاب في حظيرة القطيع.

---

(٣) في مجموعته القصصية: السبات الجليدي ١٩٩٣

أما كائنات العوالم الحضارية فهي تبحث عن أمثال هؤلاء العلماء المهملين في أوطانهم، والمنسيين في بلدانهم لتستفيد من علمهم، وتفيدهم في آن.

وقد تعرض الدكتور لهذه الحالة، إذ ظلت سيارة تلاحقه عدة أيام، ثم توقفت ونزل منها ثلاثة رجال وامرأة، كانوا يرتدون لباساً موحداً، وجوههم حمراء مشعة، ويضعون نظارات شمسية على عيونهم، طمأنوه بأنهم أصدقاء، وبأنهم يتبعونه ليروا رد فعله، وذكرت له الفتاة تفاصيل عن حياته إنهم يعرفون أنه مبدع مكافح وأن في داخله إحباطاً مستمراً يمنع عنه توهج الإبداع، ويعرفون أنه مضطهد في وطنه، فقد شاهدوا بساطير القوم تدوسه في الشارع، ولم ينقذه منها سوى تلامذته الذين رجوا ذوي الوجوه العابسة أن يتركوه لأنه أستاذ في الجامعة، قالت له الفتاة: إنهم جاؤوا إليه من مكان بعيد، وقبل ذلك حاولوا الاتصال مع بشر الأرض، فكان رد هؤلاء عدوانياً، مما جعلهم يسدلون النسيان على ذاكرة البشر ليدرؤوا عن أنفسهم خطر الملاحقة، وقد التقط جهاز الذاكرة في محطتهم ذبذبات دماغ الدكتور بالغة الشدة، فلاحقوه ليعرفوا المزيد عنه.

ثم رغبوا منه في أن يقوم بجولة معهم ليتعرف إلى حضارتهم، رافقهم بسرور، فانطلقت محطتهم الفضائية المتطورة تمخر عباب الفضاء السحيق، لتحط على كوكب مزدان بالخضرة، تحيط به غيوم شفافة ملونة، شاهد وجوهاً لطيفة مشعة بالحياة والمحبة، كانت المدينة خالية من الشرطة والوجوه العابسة والسحنات المقلوبة. بدت له الكائنات أشبه بالبشر، لكنهم يعملون في بناء صرح مجتمعهم دون كلل، بهرته التقنية المتطورة، والحضارة المتقدمة.

قالت له الفتاة: "ليتكم تتعلمون أن تحكموا العقل، وتحترموا الإبداع والتوهج والنبوغ العلمي، لوفعلتم ذلك لكان إنجازكم مدهشاً ".

استفاق من غفوته، فإذا هووراء مقود سيارته، على طريق يبعد عن المدينة، وكأن كل ما مر به كان مجرد حلم أورؤيا، فلجأ إلى صديقه الطبيب النفسي، فنومه هذا مغناطيسياً، وبعد أن استيقظ من التنويم المغناطيسي أسمعه شريط التسجيل الذي سجل

به صوته وهومنوم مغناطيسياً: كاد يردد عبارات غير مفهومة من مثل: لماذا أخذتموني، لست أرغب الذهاب إلى عالمكم.. إلخ.

هكذا يكرر د. عمران موضوعته (ثيمته Theme) في أكثر من قصة: عالم متفوق لكنه مهمل في بلده، تلتقيه كائنات الكواكب الأخرى، فتريه حضارتها المتفوقة، وحبها للعلم والسلم، لكن قومه لا يؤمنون بهاتين القيمتين، ولذا فهوعلى غير وفاق معهم، لأنهم يريدونه أن يكون مثلهم، ونسخة طبق الأصل عنهم: تافهاً، جاهلاً، منافقاً، متزلفاً، متسلقاً، لا يهتم بعلم أوخلق، وإنما كل همه ملء بطنه وتفريغ فرجه، ولهذا كثرت في البلدان المتخلفة المطاعم والملاهي، حتى إن بين المطعم والمطعم ملهى، وكثيراً ما دمج أصحاب المشاريع الاستثمارية الخدمية الذين يتوخون الربح السريع العاجل، كثيراً ما دمجوا الأمرين، فجعلوا المطعم ملهى، والملهى مطعماً، حيث يأكل المرء وهوينزف شهوة، أوينزف شهوة وفمه يتحرك بالتعويض.

وهكذا تحطم بلدان العالم الثالث أبناءها المتفوقين بإهمالها لهم، وعدم توفير المناخ الملائم لإبداعهم، فتهمّشهم قبل أن تهشمهم، ويحيّدون أنفسهم قبل أن يحيّدهم الآخرون الذين لا يريدون رؤية مَنْ هوأفضل منهم علماً أواستقامة، لذلك فهم يضعون العصي في عجلة سير حياته، من أجل تحطيم امتيازه، وجعله مثيلاً منخرطاً في القطيع.

وفي قصته (الطبق الطائر)[٤] يتابع د. عمران اهتمامه بالتواصل بين كائنات الكواكب الأخرى ذات الحضارات المتقدمة، وبشر الأرض، فيصور اندفاع شهاب من السماء، ما يلبث أن يقترب ويتضخم بسرعة، فإذا هوطبق طائر يحط أمام العالم الفلكي (عاصم) الذي كان يقود سيارته في الطريق الصحراوي، وإلى جانبه زوجته (مريم). وقد توقفت السيارة، على الرغم من محاولته تشغيلها دون جدوى. وخرج كائن عملاق من بطن الطبق الطائر، وكأن رأسه يناطح السحاب، فمد يده إلى السيارة وحملها بإصبعيه، ثم وضعها على راحة كفه، وكأنها لعبة أطفال بالنسبة له، وبعد قليل وصلهما صوت يقول بالعربية: "السلام لغة العقل، نحن أصدقاء جئنا في زيارة لكوكبكم من كوكب (المتألق) الكائن في مركز المجرة".

---

(٤) في مجموعته القصصية: السبات الجليدي ١٩٩٣

تعرف (عاصم) و(مريم) على (تارا) العملاق اللطيف، على الرغم من ضخامته الهائلة، وبينما هم كذلك إذ داهمتهم الطائرات الحوامة والشاحنات الكثيرة التي تحمل جنوداً تنطق عيونهم بالشر والشرر، ومذياع السيارة يبث: "هبطت مساء اليوم سفينة فضائية مجهولة، ونزل منها كائن عملاق، يبدوأنه سيشن عدواناً ظالماً على كوكبنا بقصد استعباد أبنائه، وقد اتخذنا الاحتياطات اللازمة لمحاصرته والقضاء عليه. ويقول مراسلنا: إن العملاق سحق سيارة صغيرة تقل زوجين، أبلغ أهلهما عن اختفائهما في ساعة متأخرة ".

صرخت (مريم) وهي تركض صوب المهاجمين، وتشير إليهم بالتوقف:

-ماذا تفعلون؟ توقفوا.

قال آمر الهجوم لمساعده:

-مَنْ هذه المرأة التي تندفع صوبنا تريد إيقاف رتل المدرعات من التقدم؟ إنها مجنونة.

-إنها تلوح بمنديل أبيض يا سيدي.

-لاشك أن لها علاقة بهذا الجاسوس الفضائي الغريب.

-هل نطلق عليها النار ياسيدي؟

هكذا يميز الكاتب بين عقليتين: إحداهما مسالمة تؤثر الصداقة والسلام والتعاون بين حضارات الكون من أجل انتصارات علمية أكبر، وهي تتمثل في موقف العملاق (تارا) والعالِم (عاصم) وزوجته، وثانيتهما نظرة الجنود الذين ظنوا أن هذا الوافد الغريب جاء ليستعبدهم، ولهذا فهم يحاولون القبض عليه أوتدميره دون اهتمام بالعلم أوالسلام أوبالصلات الكونية.

بيد أن العملاق صعد والآلي إلى المركبة الفضائية، فانهالت عليها القذائف والصواريخ كالمطر، فلم تتأثر، وانطلقت إلى الفضاء الخارجي.

قال عاصم: ما أكثر شرور الإنسان يا مريم، لم يرتكب هذا الكائن اللطيف جرماً، أتى يستكشف ويكون صداقات مع الناس هنا.

لكن آمر الهجوم اعتبر الرجل والمرأة سبب فشل الهجوم فاتهمهما بالتعاون مع جواسيس العالم الخارجي، بغية السيطرة على الأرض، فأمر بإلقاء القبض عليهما لتقديمهما إلى المحاكمة. وفي المدينة اتهمهما قاضي التحقيق بأنهما متعاونان مع جاسوس، فحكم عليهما بالإعدام. ثم دفعوا بهما إلى زنزانة معتمة رطبة في انتظار بزوغ الفجر لتنفيذ حكم الإعدام بهما.

وعند الفجر أيقظهما السجان بغلظة، وجرهما إلى منصة الإعدام، والمتفرجون يهدرون فرحين.

في تلك اللحظة طغى هدير على الأصوات الأخرى، وخيّمت سحب دخانية بيضاء تكاثفت حتى لم يعد أحد يرى شيئاً أمامه، وامتدت يد عملاقة تتلقف عاصماً ومريماً اللذين أحسا بخدر يسري في جسميهما، وفقدا الوعي.

وعندما استيقظا من غيبوبتهما وجدا نفسيهما في قاعة واسعة. دخل (تارا) بجسمه العملاق قائلاً:

-أنا آسف، تأخرت عليكما، كنت أنتظر لأرى نوع العقاب الذي هيأه لكما أولئك الناس، لأنكما ساعدتماني. إن كائناتكم ظالمة.

وعلى شاشة عريضة أراهما كوكبه (المتألق) الذي يدور حول نجم حجمه ثلاث مرات حجم الشمس، أزرق اللون يشبه الكرة الأرضية، ذوسحب شفافة، ويدور حوله قمران، أقربهما بحجم القمر التابع لكوكب الأرض، وعليهما محطات ومراكز بحوث لدراسة طبيعة جوالكوكب.

ثم التفت إليهما قائلاً: في مجتمعنا لكل منا عمله وتوجهه ووظيفته الاجتماعية، ومع اطراد التقدم أصبحت الولادات هي الغالبة، إن العلم حاصر أسباب الإصابة بالأمراض، وقدم الكثير من الإنجازات لإطالة العمر، فأحدنا يمكن أن يعيش آلاف السنين، وقد لا يصيبه الموت إلا بحادث عارض، وهذا نادر جداً.

عرض عليهما العملاق (تارا) أن يذهبا معه إلى كوكبه، ليعيشا هناك لأن مجتمعهما ظالم، لكنهما رفضا مغادرة أرضهما التي إذا كانت تغص بالأشرار، وتدين للطغاة، فإن فيها أيضاً من يتمتعون بصفات الوداعة والفكر الخلاق المبدع، على الرغم من قلتهم أمام الغالبية المستسلمة، ولأنه لوهرب كل من لديه القدرة على المقاومة لعم البلاء الكوكب، وعلى الرغم من أن المقاومة غير مجدية، فإنهما لم يكونا يائسين من المستقبل.

وتبدوخاتمة القصة قنبلة تنفجر بين يدي القارئ على الطريقة (الموبا سانية)، حين يجعل الكاتب هذا كله مجرد حلم. ولكن كيف يفسران وجود المجسم إلى جانب سريرهما، وعليه مجموعة كواكب لا تشبه المجموعة الشمسية، وهذا دليل على أنهما لم يكونا في حلم، بل هما في (يقظة).

وهذه (القفلة) المفاجئة هي التي تعطي القصة واقعيتها، وتبتعد بها عن (الفانتازيا). وبهذا يبدوالكاتب بارعاً في هذا اللعب (أوالإبداع) الفني بأدواته التي يجيد توظيفها.

الفصل الثالث

كائنات العوالم الأخرى

تبدو كائنات العوالم الأخرى، لدى أدباء (الخيال العلمي) الغربي ذات مظهر فيزيائي منفر، فهم في (حرب العوالم) (لويلز)، ذووفم غريب وشفة عليا مدببة، دون شفة سفلى وذقن، ودون حواجب. وهم في رواية (أوائل الرجال على سطح القمر) (لويلز) أيضاً: "بشعون، ذوومنظر منفر منفوش بالأشواك، يشبه حشرة معقدة جداً، مجهز بمجسات بشكل أسواط، وبذراع كبيرة ذات مظهر معدني تخرج من جسم أسطواني لماع، وخوذة هائلة مصفحة برؤوس تخفي شكل الوجه، وعينان خضراوان متباعدتان، كثيرتا البروز".

وأما عند (هال كليمنث) في قصته (الإبرة) فهي كائنات هلامية، دقيقة جداً، لاتعيش إلا باحتلال أجسام الكائنات الأخرى الأكثر صلابة، وقد دخل أحدها في جسم شاب آدمي، عن طريق مسامه، فأحدث فيه تغييرات بيولوجية مروعة.

كما جعلتها (كاترين ماكلين) في قصتها (الصور لاتكذب)ذات أحجام (ميكروسكوبية)، ولهذا لم تظهر في الصور التي التقطت لها، ومن ثم فإنه لم يكن هنالك دليل على قدومها إلى كوكب الأرض.

وهذا بخلاف ما يراه (جون وايندام) في قصته (يوم النباتات) الذي يصف فيه كائنات العوالم الأخرى على أنها عبارة عن نباتات ذكية، يبلغ طولها حوالي مترين، وتسير على ثلاثة نتوءات كالجذور المقطوعة، وتطلق من سيقانها سماً مميتاً للبشر.

وهكذا تتراوح أشكال كائنات العوالم الأخرى، عند أدباء (الخيال العلمي) الغربي بين أشكال شبيهة بالبشر إلا أنها منفرة وعلى فروق فرعية، أوعلى شكل أشجار متحركة، أوهي كائنات دقيقة جداً لا ترى إلا بالمجهر.

وأما قدرات هذه الكائنات غير الأرضية فمذهلة، حيث لا تقتصر قدراتها على الأسلحة التدميرية التي تملكها فحسب، وإنما أيضاً على القوى النفسية المشحونة بها، فهي تهدد كرتنا الأرضية بالدمار، وهي تقرأ أفكار الآخرين قبل أن ينطقوا بها..

وعلاقتها ببشر الأرض تتراوح بين الحرب والحب: فالمجابهة معلنة منذ التماس المباشر الأول، والعدوان هوطريقة التماس العادي، وبالمقابل فهناك علاقات حب جنسي بين الطرفين، فرواية (العشاق الأجانب) تشير إلى الحد الأقصى من التسامح في العلاقات الجنسية بين البشر والكائنات غير الأرضية، وفي رواية (المتشرد) يصف (ليبر) علاقة جنسية مع (قطة) كبيرة. وفي رواية (غروب المريخ) (١٩٢٣) يجعل (ألكسي تولستوي) رائد الفضاء الأرضي يحب أميرة المريخ (آيليتا) ابنة حاكم المريخ، فتبادله الحب بدورها.

وأما أشكال كائنات الكواكب الأخرى في أدب (الخيال العلمي) العربي فتتراوح أيضاً بين الأشكال القريبة من أشكال البشر مع اختلافات طفيفة، والأحجام الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة، ففي قصة (غزاة من الفضاء) (١٩٧٨) للكاتب المصري رؤوف وصفي وصف لهذه الكائنات بأنها كتل هلامية شرهة إلى (بروتوبلازما) الإنسان الحي. وفي قصته (عالم آخر) (١٩٧٤) يصف كائنات العوالم الأخرى بأنها مخلوقات دقيقة جداً لاترى إلا بالمجهر، لكنها تتسم بالذكاء الشديد، وهي تقرأ ما يدور في ذهن الإنسان قبل أن ينطق به، وتحتل أجساد البشر.

ولعل الكاتب المصري نهاد شريف من أكثر أدباء (الخيال العلمي) العربي الذين وصفوا كائنات العوالم الأخرى، ففي قصته (المزرعة الكونية) يصف كائنات الكوكب (هوتيمينا) بأنها أكثر رقياً وتطوراً من البشر، وأنها تغزوالكرة الأرضية لتصطاد بني البشر، فتتخذ من أعضاء أجسادهم قطع غيار لها، ولتجعل من أمخاخهم قوة تستخدمها

في إنتاج الطاقة الفكرية التي تدير محطات الكهرباء لديها، بعد أن ضعفت شمسها المركزية، وأوشكت أن تخمد.

أما الكائنات (الهوتيمينية) فتشبه البشر، ولكن ما يغطي أجسادها ليس جلداً ولا أردية، وإنما هوطلاء سميك، وهي ترى وتسمع وتتحدث من خلال مسام فيه. كما أنها ليست خلايا من لحم وعظام كالبشر، وإنما هي مخلوقات تطورت عبر نصف مليار عام من التقدم العلمي والتفوق التقني، فأصبحت كائنات نصف مصنعة، أي أنها استعاضت عن أجزاء من أجسامها بأخرى مصنعة غير قابلة للتلف، ومن ثم فإنها تستطيع قراءة أفكار المرء قبل أن يتفوه بها.

وفي قصته (وجهان لحقيقة واحدة) يظهر نهاد شريف وصول العلماء المصريين إلى كوكب (المشتري) عام (١٩٩٩) في سفينة متطورة، لكنها تقع في أسر كائنات هلامية غامضة تجري تجاربها على الإنسان القادم من كوكب الأرض.

أما العلاقة بين هذه الكائنات وبين البشر، فهي علاقات استغلال للبشر من قبل كائنات العوالم الأخرى، بخلاف البشر الذين لا يتطلعون إلى الوصول إلى هذا التقدم العلمي الذي وصلت إليه الحضارات الكونية الأخرى، وإنما هم يكتفون بإقامة العلاقات الجنسية مع نساء هذه الكائنات.

وأما طالب عمران فتتراوح أشكال كائنات العوالم الأخرى لديه بين الأشكال القريبة من أشكال البشر، مع بعض التنويعات المختلفة، والأزهار الجميلة ذات العطر الشجي، ففي قصته (ذلك الثقب الأسود)[١] يصور عمران كائنات الكوكب (زيتا) كما يلي: رأس مفلطح كبير، وعينان واسعتان، وأذنان كبيرتان منتصبتان، ورأس خال من الشعر، ورقبة طويلة، وجسم نحيل، وأيدٍ كثيرة. بينما يصور كائنات (كوكب الأحلام)[٢] بأنها أزهار جميلة تغني فتصيب المرء بغيبوبة تفقده عقله إذا ما استمع إليها أونظر إلى جمالها.

---

(١) في مجموعته القصصية: شحنة الدماغ ١٩٩٦

(٢) في مجموعته القصصية: كوكب الأحلام ١٩٧٨

وفي قصته (الأشباح)[٣] يصور عمران كائنات عاقلة ذات أشكال شبيهة بأشكال البشر، لكنها لاتعرف الكذب والنفاق والخداع والحقد والأنانية، وتؤمن بالعلم والعقل وسيلة اتصال سلمي بين عوالم الكون، وعندما تساءل (إبراهيم) في سرّه عن الموت والشيخوخة لديهم أجابوه مباشرة، لأنهم يقرؤون أفكاره: "قد يعيش أحدنا مئة عام، أوألف عام، وذلك تبعاً لقدرة الكائن على العطاء، فما دام قادراً على العطاء فإنه يعيش، وحين تخف قدرته على العطاء، فإنه يبدأ بالذبول ".

ومن الملاحظ أن كائنات العوالم الأخرى في أدب عمران هي كائنات عاقلة، وعلى مستوى حضاري متطور جداً أكثر من بشر الأرض بكثير، ولهذا فهي تؤمن بالعقل الذي يبدع العلم، وبالعلم الذي يبدع الحضارة، وبالسلام الضروري للحضارة كي تعيش مدة أطول، وتؤمن لأفرادها الرفاهية والهناء.

---

(٣) في مجموعته القصصية: أسرار من مدينة الحكمة ١٩٨٨

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر:

١ ـ د. طالب عمران ـ العالم من حولنا ـ دراسة ـ ١٩٧٦

٢ ـ د. طالب عمران ـ نافذة على كوكب الحياة ـ دراسة ـ دمشق ١٩٨٠

٣ ـ د. طالب عمران ـ في الخيال العلمي ـ دراسة ١٩٨٠

٤ ـ د. طالب عمران ـ في العلم والخيال العلمي ـ دراسة ١٩٨٩

٥ ـ د. طالب عمران ـ الحاسة السادسة ـ دراسة ١٩٩٠

٦ ـ د. طالب عمران ـ الكون يكشف أسراره ـ دراسة ١٩٩١

٧ ـ د. طالب عمران ـ سحر الأسطورة ـ دراسة ١٩٩١

٨ ـ د. طالب عمران ـ كوكب العاصفة ـ دراسة ١٩٩٣

٩ ـ د. طالب عمران ـ العابرون خلف الشمس ـ رواية ـ دمشق ١٩٧٩

١٠ ـ د. طالب عمران ـ خلف حاجز الزمن ـ رواية ـ دمشق ١٩٨٥

١١ ـ د. طالب عمران ـ فضاء واسع كالحلم ـ رواية ١٩٩٧

١٢ ـ د. طالب عمران ـ عوالم من الأمساخ ـ رواية ١٩٩٧

١٣ ـ د. طالب عمران ـ رجل من القارة المفقودة ـ رواية ١٩٩٧

١٤ ـ د. طالب عمران ـ كوكب الأحلام ـ قصص ـ ١٩٧٨

١٥ ـ د. طالب عمران ـ صوت من القاع ـ قصص ـ ١٩٧٩

١٦ ـ د. طالب عمران ـ ضوء في الدائرة المعتمة ـ قصص ـ ١٩٨٠

١٧ ـ د. طالب عمران ـ ليس في القمر فقراء ـ قصص ـ ١٩٨٣

١٨ - د. طالب عمران – محطة الفضاء – قصص – ١٩٨٧
١٩ - د. طالب عمران – أسرار من مدينة الحكمة – قصص – دمشق ١٩٨٨
٢٠ - د. طالب عمران – تلك الليلة الماطرة – قصص – دمشق ١٩٩١
٢١ - د. طالب عمران – ثقب في جدار الزمن – قصص – ١٩٩٢
٢٢ - د. طالب عمران – مساحات للظلمة – قصص – دمشق – ١٩٩٢
٢٣ - د. طالب عمران – السبات الجليدي – قصص – دمشق – ١٩٩٣
٢٤ - د. طالب عمران – خفايا النفس البشرية – قصص – ١٩٩٤
٢٥ - د. طالب عمران – الخروج من الجحيم – قصص – ١٩٩٤
٢٦ - د. طالب عمران – الذي أرعب القرية الآمنة – قصص – ١٩٩٥
٢٧ - د. طالب عمران – بئر العتمة – قصص – ١٩٩٥
٢٨ - د. طالب عمران – شحنة الدماغ – قصص – دمشق – ١٩٩٦

ب – المراجع

١ – محمد عزام – الخيال العلمي في الأدب، دار طلاس – دمشق ١٩٩٤
٢ – محمد عزام – الأسلوبية منهجاً نقدياً – وزارة الثقافة – دمشق ١٩٨٩
٣ – محمد عزام – التحليل الألسني للأدب – وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٤

من كتب الناقد محمد عزّام

•في مناهج النقد الأدبي:

١ – الأسلوبية منهجاً نقدياً

٢ – التحليل الألسني للأدب

٣ – النقد . . والدلالة: نحو تحليل سيميائي للأدب

٤ – مصطلحات نقدية: من التراث الأدبي العربي

•في نقد الشعر:

١ – بنية الشعر الجديد

٢ – الحداثة الشعرية

٣ – قضية الالتزام في الشعر العربي

٤ – الموازنة

•في نقد الرواية:

١ – وعي العالم الروائي

٢ – البطل الإشكالي في الرواية العربية

٣ – الفهلوي: بطل العصر في الرواية الحديثة

٤ – فضاء النص الروائي: مقاربة بنيوية تكوينية

•في النقد الأدبي:

١ – أدب الخيال العلمي

٢ – اتجاهات القصة المعاصرة في المغرب

٣ – المسرح المغربي

٤ – استراحة المحارب: جماليات شعر العماد مصطفى طلاس على ضوء منهج التحليل الظاهراتي للأدب.

المحتوى

الباب الثالث: خصائص أدب (الخيال العلمي) عند طالب عمران

حسن يوسف اللويشي

INFINITE IMAGINATION
TALEB OMRAN
THE PIONEER OF SCIENCE FICTION LITERATURE

Khayāl bi-lā Ḥudūd
Ṭālib 'Umrān
Rā'id Adab al-Khayāl al-'Ilmī
Muḥammad 'Azzām

محمد عزام
خيال بلا حدود
طالب عمران
رائد أدب الخيال العلمي

نشأت الكتابة في أدب الخيال العلمي عند الغربيين منذ أواخر القرن التاسع عشر. وازدهرت في مطلع القرن العشرين.. ثم التفت أدباؤنا العرب إلى هذا اللون من الأدب مؤخراً، فكتب فيه المصريون خاصة والمغاربة.

ثم خصص الدكتور طالب عمران من سورية جهوده كلها لمعالجة أدب الخيال العلمي، فوضع أكثر من ثلاثين كتاباً فيه.. فأحدث بذلك اتجاهاً خاصاً في سورية، وريادة تستحق الدراسة التي قدمها هذا الكتاب على نحو منهجي علمي..

ونحن بحاجة إلى مثلها.

SROUR ALWANI 2000

DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/

